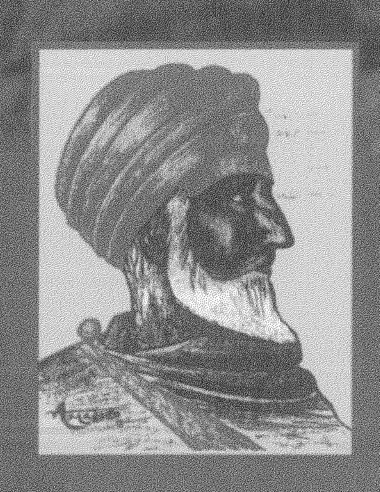
د. علي حسن موسى

شيوخ الجبل الإسماعيلية









د. علي حسين موسى

شيوخ الجبل
الإسماعيلية

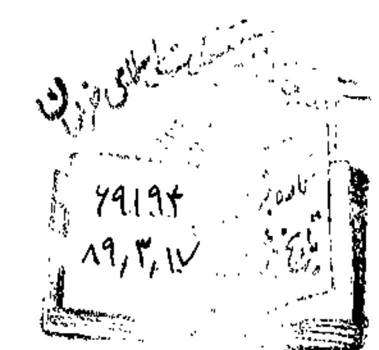
وقفة مطولة مع عدد من الأبطال الإسماعيليين الذين كانوا و مازالوا منارة للثورة و الثائرين ضد الظلم، و المؤمنين بأن النضال و التضحية هما طريق النصر، و بأن الشهادة حياة.

و هذا ما أبقى لسان ذكر الفدائيين الإسماعيليين حياً لا يموت، الذين شكلوا مدرسة، كان ترجمانها حديثاً التنظيم الفدائي للحسن نصر اللهَ في لبنان الذي أذهل العالم في صموده صيف (2006 م) بوجه الأعداء، و غيره من التنظيمات الفدائية المقاومة للظلم و الاحتلال في العالم أجمع.

و إن شيوخ الجبل الذي يتم تناولهم في هذا الكتاب، هم القادة العظام، الذين عرفوا باسم شيوخ الجبل، و هم كثيرون، و لكن الذين تكنوا بذلك حقيقة بإيمانهم الراسخ و بطو[...] عبد الملك [...]سن بن ال[...]شد الذين [...]سن القص[...]

الكتـــــاب: شيوخ الجبل الإسماعيلية
المــؤلــف: أ. د. علي حسن موسى
عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

الطبعة الأولى



(٠٩٤٤٣٥٨٠٥٠)

د. علي حسن موسى

شـــيوخ الجـبل الإسماعيلية

دمشق ١٤٢٨ هـ
٢٠٠٧ م

الإهداء

إلى

الحسن

والحسين

علي




المحتويات





المقدمة

لكل حركة، بل لكل تنظيم رجالاته وأبطاله. ولكل دولة زعماء وقادة، تتحدد زعاماتهم ومنازلهم من أعمالهم لصالح أتباعهم الذين منحوهم الثقة واتكلوا عليهم فيما يخصهم ويخص أهلهم، وفيما يتعلق بدولتهم وعقيدتهم والمبادئ التي أعلنوها لشعبهم. وكم تشكلت دول وعاشت أمم، وظهرت ممالك وإمارات، وذكرت كتب التاريخ من أسماء لحكام لها لا يُعدون ولا يحصون، ولم يكونوا للأجيال المتلاحقة عبر القرون أكثر من مجرد أسماء. نقلب صفحاتها دون توقف عند أحد منها، أو نتوقف عند اسم لاقترانه بجرائم تاريخية بحق الإنسانية، أو يشدنا اسم لاستغرابنا كيف أصبح سلطاناً أو إمبراطوراً، ليس لشيء إلا لأنه ولد لأب سلطان، وليس له من السلطنة إلا قطيع من حائر الرؤوس الذين يخشون على رؤوسهم إن انتصبت أن تتكسر. وأسماء ظهرت وتبرقت وتلمعت وسرعان ما كبت وانطفأت بمجرد أن أحاط التراب جثمانها. وأسماء كانت رجالاً بأفعالها، صادقة بأقوالها، عالمة بعالمها، ساحرة بحديثها، كاشفة أسرار غيرها، كاتمة لقوتها، وفية لمبادئها، أمينة على شعبها، مجاهدة بعقيدتها، مؤمنة بنهجها، مستحدثة خططها، شجاعة في قتالها، معشوقة من جماهيرها، صادقة في نواياها، رحيمة بالرحيم بها، دموية لحماية أهلها، قوتها بإيمانها وولاؤها لمن ائتمنها.. والكثير مما يقال فيها مما حير المؤرخين والسياسيين ورجال الدين المتنورين، في أبعاد شخصيات مثلما وصف وذكر.. وهم قلة في التاريخ.

لم يعرف التاريخ الإسلامي على الأقل، حركة ثورية وتنظيماً دينياً قيادياً، وفكراً فلسفياً مبدعاً، وولاء متفانياً، وعقيدة راسخة، مثل الحركة الإسلامية الإسماعيلية التي ملأت شهرتها الآفاق منذ ظهورها ككيان سياسي متمثلاً في الدولة الفاطمية، ودولة القرامطة، ومن ثم الدولتين الإسماعيليتين النزاريتين في كل من إيران وسورية (دولة مصياف) اللتين كانتا من صنع بطلين اسماعيليين هما الحسن بن الصباح مؤسس الدولة الإسماعيلية النزارية في إيران، وسنان راشد الدين مؤسس الدولة الإسماعيلية في مصياف، وما شهدته مناطقهما من أبطال آخرين قبلهم وبعدهم تركوا بصمة في إنجازاتهم.

وفي هذا الكتاب لنا وقفة مطولة مع عدد من الأبطال الإسماعيليين الذين كانوا وما زالوا منارة للثورة والثائرين ضد الظلم ، والمؤمنين بأن النضال والتضحية هما طريق النصر، وبأن الشهادة حياة. وهذا ما أبقى لسان ذكر الفدائيين الإسماعيليين حياً لا يموت، تمثل في التنظيم الفدائي للحسن نصر الله في لبنان الذي أذهل العالم في صموده صيف (٢٠٠٦) بوجه الأعداء. وإن الأبطال الإسماعيليين الذين نتناولهم هم القادة العظام، الذين عرفوا باسم شيوخ الجبل، وهم كثيرون، ولكن الذين تكنوا بذلك حقيقة هم أربعة: أحمد بن عبد الملك بن عطاش (شيخ الجبل الأول) والحسن بن الصباح (شيخ الجبل الثاني) وسنان راشد الدين (شيخ الجبل الثالث) وموسى بن حسن القصار (شيخ الجبل الرابع). ومهما حاولنا الإبحار في بحورهم فلن نبلغ الهدف، ما دامت الأقلام لم تجف وما دام القلم يخط أسماءهم وأعمالهم.

وكلي أمل أن أكون قد وفقت فيما أقدمت على تناوله من شخصيات، حار الكثيرون في أمرها، ورفعها البعض إلى حد الأسطورة، وقمصّها البعض دور الآلهة بجناتها المبتدعة، وإيمان أتباعها فيما تخطط، وتنفيذهم لما تأمر به. ولو

سمح أولئك لأنفسهم بعيداً عن التعصب الأعمى بدراسة المذهب الإسماعيلي والتفقه فيه، والتبحر في مكنوناته لما بقوا حتى اليوم في ضلالتهم هائمين وعن الحقيقة مبتعدين وكارهين.

أ. د. علي حسن موسى





الفصل الأول

شيخ الجبل الأول

ابن عطاش

- مناطق التوغل الإسماعيلي في إيران
- الدعوة الإسماعيلية الأولى في إيران
- ولادة ابن عطاش ونشأته
- أعمال ابن عطاش
- حروب ابن عطاش مع السلاجقة

. مناطق التوغل الإسماعيلي:

لقد انتشر الإسماعيليون الذين شكلوا دولتي آلموت في إيران ومصياف في سورية في الأراضي التي كانت خاضعة للعباسيين بدولهم ودويلاتهم وممالكهم العديدة التي تكونت في مراحل ضعفهم الأطول من مراحل قوتهم، ونذكر من تلك الدول التي كان للحركة الإسماعيلية فيها وجود، منذ منتصف القرن الثالث الهجري: الدولة الصفارية، الدولة السامانية، الدولة الزيارية، والدولة الغزنوية، والدولة البويهية، ومن ثم الدولة السلجوقية التي في ربوع سلطاتها ظهر شيوخ الجبل الإسماعيليون، وتكونت الدولتان الإسماعيليتان وازدهرتا، وعاشتا في صراع مرير مع سلاطين السلاجقة منذ تأسيس دولتهم سنة (٤٣٣ هـ/١٠٤٠م) وحتى انتهائها (٥٩٠ هـ/١١٩٣م). كما عاش إسماعيليو سورية في صراع أقل مرارة مع الزنكيين والأيوبيين والمماليك، ومع جحافل المغول القادمة من الشرق التي أنهت دولة إيران الإسماعيلية، وقوى الإفرنج والصليبيين الذين قدموا من الغرب، وليكتب لدولتهم في سورية الانحلال في عهد المماليك.

. الدعوة الإسماعيلية الأولى في إيران:

إن أول اتجاه للدعاة الإسماعيليين في إيران كان باتجاه شمالها وشمالها الغربي، وكانت بدايته في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، حيث أوفد عبد الله بن ميمون القداح رجلاً يدعى **خلف (خلف الحلاج)** إلى تلك المنطقة (الري وآبه وقم)، وأقام في قرية (كلين) من نواحي (بشابويه). وفي ذلك يذكر (نظام الملك) في كتابه (سياسة نامه): "إن أول الدعاة الإسماعيلية رجل يقال له



خلف، أوفده عبد الله بن ميمون القداح قائلاً له[1]: توجه إلى الري فسائر من في الري وآبه وقم وكاشان وولاية طبرستان (مازنداران) رافضة يدعون للشيعة وسوف يستجيبون لدعوتك"[2]. وهذا يدل على أن الدعوة الإسماعيلية ركزت اهتمامها على المناطق المصطبغة بالصبغة الشيعية. شكل (١).

وبعد وفاة خلف تولى الدعوة ابنه **أحمد بن خلف**، وساعده في أمور الدعوة رجلٌ يدعى (غياث) سماه أحمد نائباً له. وكان غياث أديباً ونحوياً بارعاً، ولقد بدأ بمناظرة أهل السنة وتلقين الناس المذهب الإسماعيلي، فأقبل عليه الكثيرون. ولم يكن القرن الثالث الهجري يوشك على الانتهاء حتى كان المذهب الإسماعيلي شاع وانتشر في شمال غرب إيران.

وخلف أحمد بن خلف وغياث ـ الذي انتقل إلى خراسان ـ داعٍ كبيرٍ ومشهور هو كبير الدعاة **ابو حاتم الرازي** الذي ازدهرت الدعوة الإسماعيلية في عهده. ووجه الدعاة إلى طبرستان وأذربيجان وأصفهان، وتولى هو بنفسه الدعوة في الري، وقد استطاع أن يجذب حاكمها أحمد بن علي (المتوفي سنة ٣١١ هـ/٩٢٣م)[3] ويضمه إلى صفوف الإسماعيلية. كما استجاب إلى الدعوة الإسماعيلية عدد كبير من أهل الديلم، وفي ذلك يقول (البغدادي) في كتابه

---

[1] عبد الله بن ميمون القداح: هو احد ابرز واشهر الدعاة الإسماعيلية في التاريخ الإسماعيلي، وحجة الإمام في عصره. أصله من جنوب العراق العربي (سواد العراق)، عاش في عهد الإمام عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق (الوفي أحمد) وأقام فترة طويلة في سلمية حيث كان يقيم الإمام، وكان له دوراً في نشر الدعاة في مناطق مختلفة ومن ثم نشوء دول إسماعيلية (الدولة القرمطية، الفاطمية). ووالده ميمون القداح الذي عاصر الإمام جعفر الصادق وجعل منه حجاباً وستراً على حفيده محمد بن إسماعيل أول أئمة الستر الإسماعيلية.

[2] إن السنة المتعصبين يرون في الشيعة رافضة.

[3] يحدد البعض وفاته في سنة ٣١٢ هـ أو ٣١٣هـ.

(الفَرق بين الفِرَق): "ودخل أرض الديلم رجل من الباطنية يعرف بأبي حاتم، فاستجاب له جماعة من الديلم، منهم أسفار بن شيرويه".

وبعد وفاة أبي حاتم الرازي (سنة ٣٢٢ هـ/٩٣٣م) أصيبت الدعوة الإسماعيلية في الشمال الغربي من إيران بالضعف وقلّ أتباعها[1].

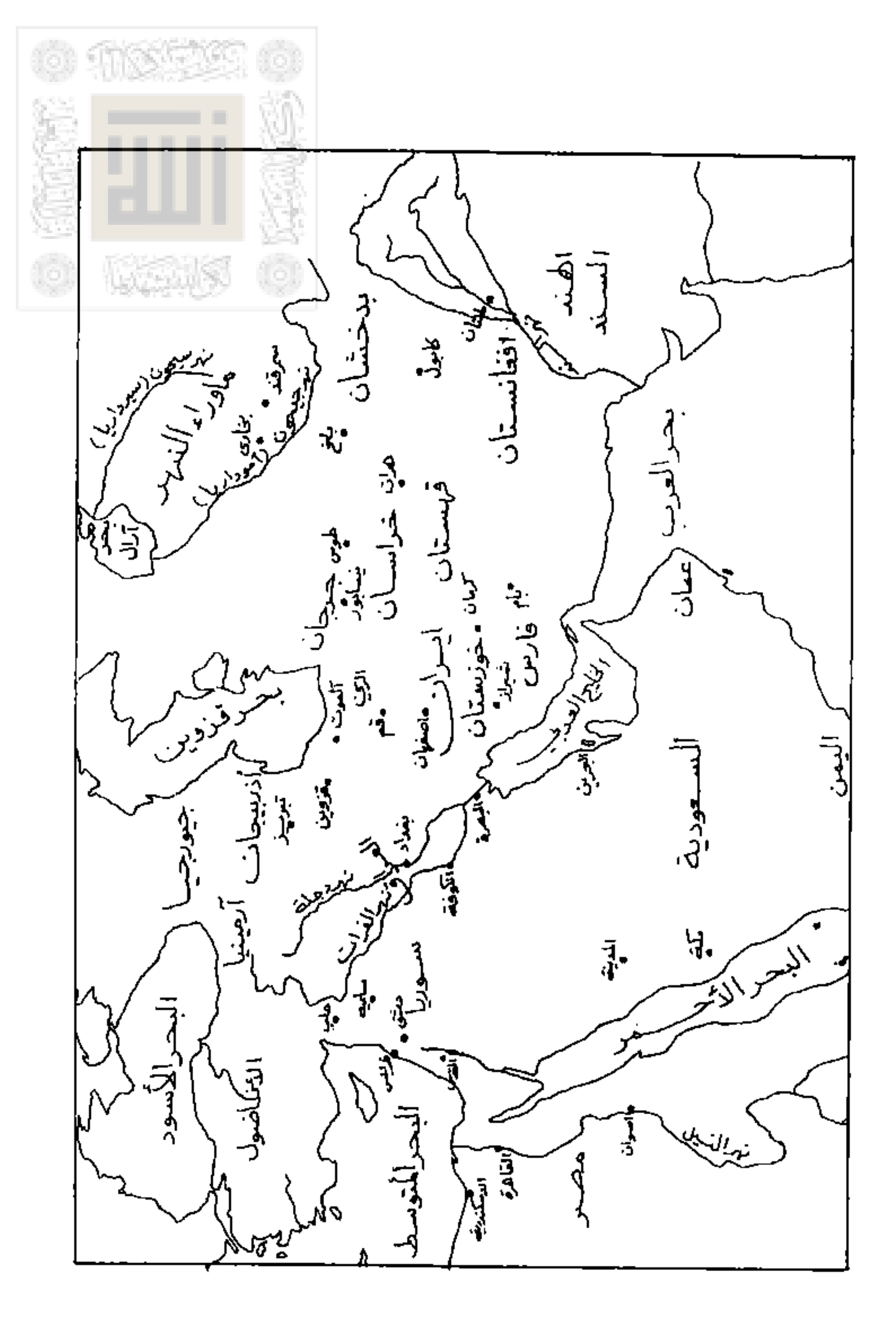
وبعد الرازي ظهر اسم داعٍ هو **عبد الله الكوكبي**. وتلاه أحد الدعاة المشهورين في تاريخ الدعوة الإسماعيلية وهو **ابو يعقوب السجستاني**، الذي تألق اسمه في الربع الثاني من القرن الرابع الهجري، وهو القادم من سجستان والمولود فيها، والذي امتد نشاطه في الدعوة إلى خراسان. ولتبدأ بعدها مرحلة الداعي عبد الملك بن عطاش الذي امتلك أول قلعة من قلاع الإسماعيلية وهي قلعة كردكوه.

أما الدعاة الإسماعيلية في خراسان وما وراء النهر: فهم: أبو عبد الله الخادم، وأبو سعيد الشعراني، والحسين بن علي المروروذي، والنسفي، وكذلك أبو يعقوب السجستاني، وناصر خسرو. وقد جاء ذكر أول الدعاة في كتاب (جامع التواريخ)، "ومن دعاة خراسان وفقاً للترتيب الزمني، ابو عبد الله الخادم، وهو أولهم، وهو من جهة أولاد ميمون القداح". وقد أُرسل هذا الداعي في عهد الإمام عبيد الله المهدي (٢٦١ ـ ٣٢٢ هـ/٨٧٤ ـ م٩٣٣).

وبعد وفاة الخادم (سنة ٣٠٧ هـ/٩١٩م) تولى أمور الدعوة الداعي **ابو سعيد الشعراني**، وفي ذلك يقول (ابن النديم في فهرسه): "كان عبيد الله المهدي أنفذ في سنة سبع وثلاثمائة أبا سعيد الشعراني إلى خراسان، فموه على القواد بذكر التشيع واستغوى خلقاً كثيراً".

---

[1] عرف الإسماعيلية بأسماء عدة منها: الباطنية، السبعية، الحشاشية، النزارية...الخ



شكل (١) مناطق الدعوة الإسماعيلية في إيران

ولقد أعقب أبا سعيد الشعراني (المتوفي نحو ٣٢٤ هـ/٩٣٥م) الداعي الحسين بن علي المرورودي، وهو الأشهر الذي كان له أكبر الأثر في ازدهار الدعوة في خراسان. ويقول (نظام الملك): "إن غياثاً الباطني كان قد تمكن من اجتذاب الحسين المرورودي إلى صفوف الباطنية، وكان ذلك في أثناء فرار غياث إلى خراسان". ويبدو أن انضمام المرورودي إلى صفوف الإسماعيلية حدث في السنوات الأخيرة من القرن الثالث الهجري.

ولما قاربت حياة الحسين المرورودي على الانتهاء ـ وقضى أيامه الأخيرة في مرو الرود بخراسان ـ فوض أمر الدعوة إلى محمد بن احمد النخشبي المشهور بالنسفي، وجعله نائباً له. وكان النسفي أحد فلاسفة خراسان والمتفقهين في المذهب الإسماعيلي، ولقد أوصاه (المرورودي) ببذل جهده ليترك نائباً عنه في خراسان، ويعبر هو نهر جيحون ويذهب إلى بخارى وسمرقند، فيدعو الناس بهما إلى المذهب، وأن يركز جل اهتمامه على اجتذاب بعض الأعيان في بلاط أمير خراسان الساماني نصر بن أحمد إلى المذهب. ولقد عمل النسفي بوصية المرورودي، واستطاع أن يضم إلى المذهب الإسماعيلي الأمير الساماني نصر بن أحمد نفسه.

وأعقب النسفي في رئاسة الدعوة بخراسان ابو يعقوب السجستاني، الذي قضى الشطر الأول من حياته في خدمة الدعوة كرئيس لها في الري، وربما حدث هذا في الثلث الأول من القرن الرابع الهجري، ثم انتقل لرئاسة الدعوة في خراسان بعد النسفي الذي توفي (سنة ٣٣٢ هـ/٩٤٣م).

وفي سنة (٤٤٤ هـ/١٠٥٢م) تولى رئاسة الدعوة في خراسان حجة الإمام ناصر خسرو (ولادته سنة ٣٩٤ هـ/١٠٠٣م ـ وفاته سنة ٤٨١ هـ/١٠٨٨م).

ولا يمكننا إغفال داعيين من كبار الدعاة، وفيلسوفين وفقيهين إسماعيليين، كل منهما كان بحد ذاته مدرسة تدل عليهما كتاباتهما التي تركاها عبر العديد من مؤلفاتها. وهما:

١. نابغة الدعاة **احمد حميد الدين الكرماني**، المتوفى سنة (٤١١ هـ/١٠٢٠م)، صاحب المؤلفات الفلسفية الدينية المتميزة بعمقها، ومن أهمها (راحة العقل). وهو الذي لقب بحجة العراقين (العربي والفارسي)، وكبير الدعاة الإسماعيليين بجزيرة العراق، في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله.

٢ـ **المؤيد في الدين هبة الله بن موسى بن عمران الشيرازي**، ابن الداعي الإسماعيلي في فارس موسى بن عمران. ولد المؤيد سنة (٣٩٠هـ/٩٩٩م) وتوفي سنة (٤٧٠هـ/١٠٧٧م). وتدرج المؤيد في مراتب الدعوة حتى صار حجة جزيرة فارس. وفي سنة (٤٣٩هـ/١٠٤٧م) انتقل المؤيد إلى القاهرة في عهد الملك البويهي، أبو كاليجار، وعينه الخليفة المستنصر كبيراً للدعاة، ولقد استطاع المؤيد بلباقته وسعة علمه وقوة بصيرته أن يوحد بين بلاد العراق ومصر حيناً من الزمن، وأن يثير أمراء العراق على طغرلبك السلجوقي والعباسيين، فينضوي هؤلاء الأمراء جميعاً تحت راية أبي الحارث البساسيري القائد الإسماعيلي. وقد استطاع المؤيد أن يكون جبهة قوية أوقعت الهزيمة بالسلاجقة في سنجار. وبفضل المؤيد استطاع البساسيري أيضاً ومن معه من العرب الظفر بالخليفة العباسي، فأسقطوه من فوق عرشه، وخطبوا للمستنصر الفاطمي في العراق عاماً كاملاً (٤٥٠ ـ ٤٥١ هـ/١٠٨٥ ـ ١٠٥٩م)[1].

[1] استخدم في الكتاب كل من التقويمين الهجري والميلادي. وعموماً فإن كل (٣٣) سنة هجرية (سنة قمرية) تعادل (٣٢) سنة ميلادية (سنة شمسية كما تدعى). ولذا يحدث أحياناً أن جزءاً من سنتين هجريتين يقع في سنة ميلادية، او أن السنة الهجرية توزع على سنتين ميلاديتين.

. ولادة ابن عطاش ونشأته:

ابن عطاش الأب، والابن، من الدعاة الإسماعيليين الأوائل البارزين في إيران والعراق، ومن القادة الأولين للحركة الإسماعيلية في بلاد المشرق العربي والفارسي، واللذين غطيا الجزء الأعظم من فترة حكم السلاجقة.

فمن هو الأب: إنه عبد الملك بن عطاش الذي كانت حياته في عهد الإمام المستنصر بالله (٤٢٧هـ /١٠٣٦م ـ ٤٨٧هـ /١٠٩٤م). وكان حكيماً متعمقاً في علوم الفلسفة والفقه ومعلماً بارزاً لعلوم عصره، وكبيراً للدعاة الإسماعيليين، وقد تتلمذ على يديه ابنه أحمد الذي أصبح في مدة وجيزة من الدعاة الإسماعيليين البارزين. ومن الدعاة المشهورين في عهده الذين وضعهم الإمام تحت إمرته، نذكر: الداعي أبو نجم سراج، والداعي أبو مؤمن، وكذلك الحسن بن الصباح في بداياته.. وغيرهم، وقد نشر دعاته في أرجاء مختلفة من إيران وسورية.. وغيرهما. شكل (٢).

وليس هناك ما يدل على مكان ولادته ولا حتى تاريخها، إلا أنه من معرفة تاريخ ولادة ابنه الأكبر أحمد التي يحددها البعض في سنة (٤٣٧ هـ/١٠٥٤م)، فإن ولادة عبد الملك بن عطاش يمكن أن تكون في سنة (٤١٥ ـ ٤١٧هـ/١٠٢٤ ـ ١٠٢٦م).

وكان عبد الملك بن عطاش داعي الدعاة في أصفهان في أوائل الستينات من القرن الخامس الهجري (٤٦٠ هـ / ١٠٦٧م) ورئيساً للدعوة الإسماعيلية في طول وعرض المناطق الوسطى والغربية من بلاد فارس: من كرمان وحتى أذربيجان[1]. وربما كان مسؤولاً عن نشاطات الدعوة في بعض المناطق الأخرى

[1] المقصود ببلاد فارس هنا: إيران بمناطقها المختلفة.

أيضاً. ومن الواضح إن ابن عطاش كان يتلقى توجيهاته العامة من القاهرة وكان يلقى الاحترام بسبب علمه حتى ضمن الدوائر السنية. شكل (٢).



شكل (٢) صورة تخيلية لعبد الملك بن عطاش

شكل (٣) أهم المراكز العمرانية الحالية في إيران

وباعتباره الداعي في أصفهان، فقد صار وراء النشاطات الاسماعيلية المتجددة في العديد من أرجاء الممتلكات السلجوقية. ويكفيه أهمية أنه كان مسؤولاً أيضاً عن إطلاق حركة الحسن بن الصباح المستقبلية في خدمة الحركة الإسماعيلية.

أما **أحمد بن عبد الملك بن عطاش الملقب بشيخ الجبل الأول**، فلقد ولد في مدينة نيسابور الإيرانية سنة (٤٣٧هـ/١٠٤٥م). ولقد غدا في فترة وجيزة من

كبار الدعاة الإسماعيليين كوالده، الذي أوفده إلى القاهرة مقر الإمامة ومركز العلم سنة (٤٦٠هـ/١٠٦٧م) ليمضي فيها وقتاً تلقى خلاله علومه الدينية، وليعود إلى الري في سنة (٤٦٤ هـ/١٠٧١م) حيث أصبح داعي دعاة العراقين (الفارسي والعربي)[1].

ولقد عمل الداعي أحمد بن عطاش في مقاطعات مختلفة من إيران والتقى بالحسن الصباح الذي أعجب بصفاته وبما يمتلك من علم ومعرفة وسعة إطلاع بشؤون الدعوة الإسماعيلية، وشدة تمسكه بإمامه وعقيدته، ونصحه بالذهاب إلى القاهرة لينهل من مناهلها، وليكون على مقربة من الإمام. كما التقى بالداعيين أبو ناظم وأبو مؤمن، ولقد أمكن بمساعدتهم نشر العقيدة الإسماعيلية في مناطق مختلفة من إيران وأقطار أخرى (أذربيجان ، دمشق، صيدا، عكا، الطائف.. الخ).

وبينما كان والد أحمد داعياً دينياً، فإن أحمد كان داعياً وعسكرياً، حيث بذل مجهوداً كبيراً في سبيل إنشاء جيش إسماعيلي عقائدي تمكن بوساطته من الاستيلاء على العديد من القلاع بالقرب من أصفهان.

. أعمال ابن عطاش:

إلى جانب مهارة أحمد بن عبد الملك بن عطاش وعبقريته الدينية، فقد كان قائداً حربياً فذاً ومدافعاً صلباً عن عقيدته، فقد تمكن من الاستيلاء على عدة أماكن هامة في أذربيجان وسورية. كما أنه احتل قلعة الفيردوس (al – Firdaws) في قهستان، وأسس فيها مدرسة إسماعيلية خرجّت منها أكثر من (٣٠٠٠٠) من الدعاة الإسماعيليين الذين توزعوا على مختلف

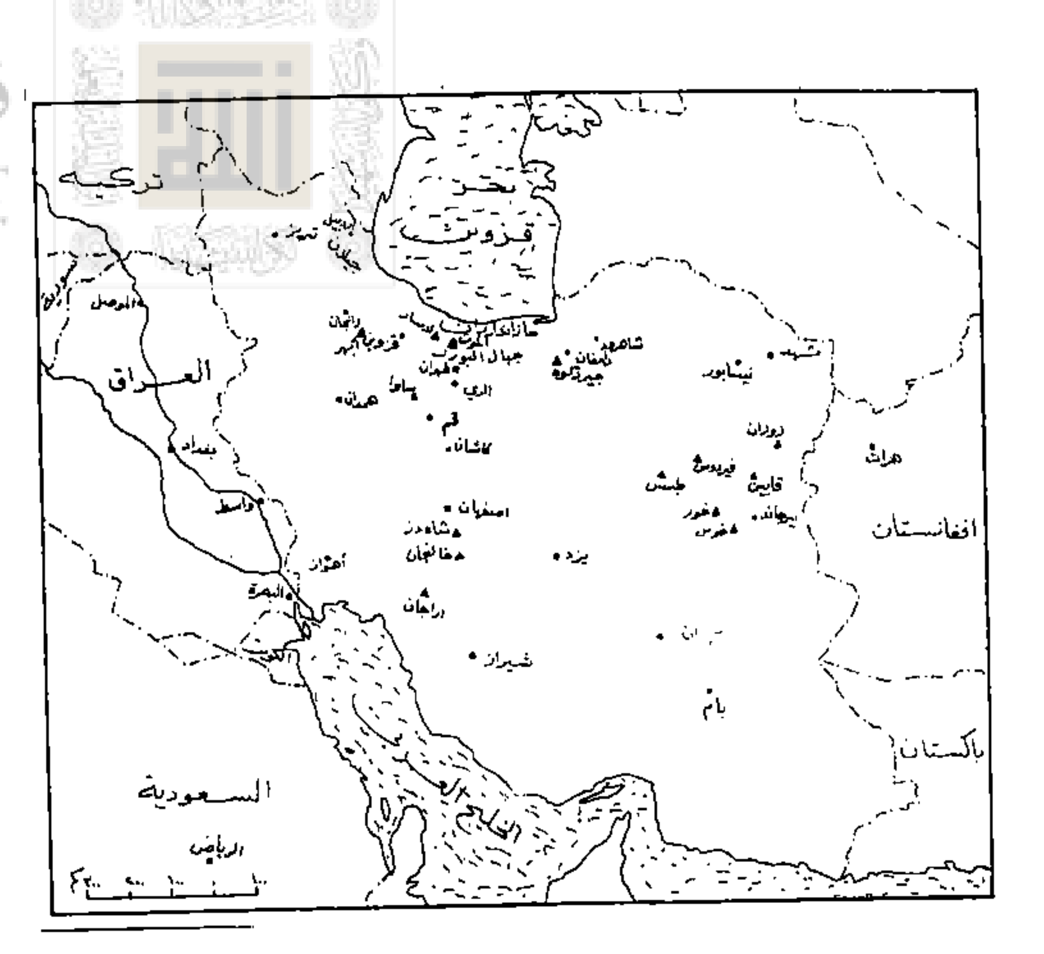
(1) تشير بعض المراجع (عكاوي) أن ابن عطاش ذهب إلى القاهرة سنة (٤٧٠)، غير أن سنة (٤٦٠) هي الأكثر استخداماً.

المناطق، ناشرين مذهبهم، وكانت هذه القلعة قد شيدت من قبل أحد السلاطين السلاجقة.

وفي سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) استولى أحمد بن عبد الملك بن عطاش رئيس الدعوة الإسماعيلية في أصفهان على قلعة شاه دز الواقعة على جبل يبعد قرابة ثمانية كيلومترات إلى الجنوب من أصفهان، مستغلاً النزاع الذي وقع على عرش السلاجقة بين بركيا رق بن السلطان ملكشاه، وأخيه محمد. وكانت قلعة شاه دز قد بناها السلطان السلجوقي ملكشاه في الفترة (٤٦٥ هـ - ٤٨٥ هـ/١٠٧٢ - ١٠٩٢م). ويعد استيلاء الإسماعيلية على هذه القلعة من الأحداث المهمة والخطيرة التي هددت سلامة الدولة السلجوقية وأمنها.

وكان أحمد بن عبد الملك قد تولى رئاسة الدعوة الإسماعيلية في أصفهان خلفاً لأبيه. ويتحدث (ابن الأثير) عن قوة هذا الداعي السياسية في أصفهان وما حولها بقوله: "كان يرسل أصحابه لقطع الطريق وأخذ الأموال، وقتل من قدروا على قتله، فقتلوا خلقاً كثيراً لا يمكن إحصاؤهم، وجعلوا له على القرى السلطانية وأملاك الناس ضرائب يأخذونها ليكفوا عنها الأذى، فتعذر بذلك انتفاع السلطان بقراه والناس بأملاكهم.."

ويبدو أن الإسماعيلية في أصفهان لم يتمكنوا من تثبيت أقدامهم إلا بعد استيلائهم على شاه دز ومنذ ذلك الحين وهم ينتزعون من أيدي السلاجقة يوماً بعد يوم جزءاً من المناطق التي تقع تحت سيطرتهم، فهاهم يستولون بعد حين على قلعة خالنجان التي تبعد نحو (٣٠) كم إلى الجنوب من أصفهان، وكذلك احتلوا قلعة شيركوه، وقلعة قاين ـ شكل (٤) ـ. وفي سورية امتلكوا قلعتي القدموس وبانياس... وغيرهما.



شكل (٤) توزع اهم واشهر القلاع الإسماعيلية في إيران

والظاهر أن ابن عطاش كان يعمل في أصفهان مستقلاً عن ابن الصباح في آلموت، ولم تكن هناك وحدة بين رئيسي المنطقتين، فقد خلف أحمد بن عطاش والده في رئاسة الدعوة بأصفهان، بينما تولى ابن الصباح رئاسة الدعوة في الري، وظلا كلاهما كما يرى البعض، يعمل منفرداً حتى بعد نجاح ابن

الصباح في آلموت ونجاح ابن العطاش في أصفهان، في الاستيلاء على مناطق شاسعة من أراضي الدولة السلجوقية[1].

. حروب ابن عطاش مع السلاجقة:

كان سلاطين السلاجقة دوماً يحاولون النيل من الإسماعيلية، والقضاء على معاقلهم، وقبل وفاة السلطان ملكشاه (٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢م)، كان قد أرسل جيشاً عرمرماً لمحاربتهم، لكنه مني بالهزيمة النكراء أمام قوة وبأس المقاتلين الإسماعيليين، وهذا ما زاد من الثقة والقدرة على المجابهة والانتشار، مما جعل الدعوة الإسماعيلية تنشط بعد وفاة السلطان السلجوقي ملكشاه وتولي ابنه (بركيارق) بعده، وتتغلغل داخل البلاط السلجوقي لبركيارق وبين صفوف جيوشه. وهذا ما نجم عنه تحول أعداد كبيرة من أمراء بركيارق وجنوده إلى الإسماعيلية، بحيث أن بعضاً من قواد السلاجقة . كما يقول ابن الأثير: سأل السلطان الإذن بالمثول أمامه بالدروع خوفاً من مهاجمة الإسماعيلية لجنوده. حتى أن بعض المعارضين لبركيارق اتهموا عسكره بالتحول إلى الإسماعيلية، وبأن بركيارق يتعاون مع الإسماعيليين في هجماتهم على القادة المعارضين لبركيارق، علماً أن حياة بركيارق نفسه كانت قد تعرضت للتهديد من قبل الفدائيين الإسماعيليين.

وعلى كل حال، فإن تعاظم قوة الإسماعيليين دفعت بركيارق المقيم في غربي فارس للتحرك ضدهم، على أن يقوم أخوه سنجر المقيم في خراسان بخطوة مماثلة في منطقته، مما جعل بركيارق يقوم بعدة مذابح ضد الإسماعيليين في أصفهان وبغداد، وللعديد من قادة السلاجقة ممن اتهموا

[1] بعد عودة الحسن بن الصباح من مصر سنة (٤٧٣هـ/١٠٨٠م) توزعت الدعوة الإسماعيلية في إيران بين ثلاثة رؤساء: أحمد بن عبد الملك بن عطاش في أصفهان، وناصر خسرو في خراسان، والحسن بن الصباح في الري.

بتحولهم إلى الإسماعيلية، بينما قام سنجر بقتل العديد من الإسماعيليين في قهستان - أو استرقهم - ، ومع ذلك لم يفقد الإسماعيليون أي قلعة من قلاعهم.

وعندما استلم السلطنة السلطان محمد بعد وفاة أخيه بركيارق سنة (٤٩٨هـ/١١٠٥م) شعر بخطورة الإسماعيليين وتنامي قوتهم ليعلن الحرب عليهم، فشن سلسلة حملات ضدهم خلال سنتين من توليه الحكم، ونجح في وضع حد لثورتهم المتسعة باضطراد. غير أن الحملة العسكرية الكبرى هي التي وجهها السلطان محمد وتولى قيادتها كانت باتجاه قلعة شاه دز في سنة (٥٠٠ هـ/١١٠٧م) التي كانت معقلاً لابن عطاش ومركزاً لقيادته ومقراً للقيادة الإسماعيلية، ولم يستطع السلطان السلجوقي الاستيلاء بسهولة على القلعة لذكاء ابن عطاش ومناوراته التي وجدت تأييداً لها من أصدقاء ومتعاطفين مع الإسماعيليين داخل المعسكر السلجوقي نفسه، حيث تمكن ابن عطاش من إشغال السلاجقة بسلسلة من المفاوضات مشركاً علماء أصفهان السنة في مجادلات دينية مستفيضة ومطولة، ففي رسالة بعث بها إلى السلطان، قال أحمد: إن الإسماعيليين مسلمون حقيقيون، يؤمنون بالله والنبي محمد ويعملون بفرائض الشريعة، ولا يختلفون عن السنة إلا فيما يتعلق بمسألة الإمامة، ولذلك فإنه ليس للسلطان حق شرعي يخوله اتخاذ أي عمل ضدهم، لا سيما أن الإسماعيليين كانوا على استعداد للاعتراف بسيادة السلطان ودفع الجزية له. ولقد أسفرت تلك الرسالة عن قيام جدل ديني، إذ أن معظم مستشاري السلطان وفقهاء السنة وعلماءهم كانوا ميالين إلى قبول دعوى الإسماعيليين. بينما وقف قلة ضدهم، وخاصة أبو الحسن علي بن عبد الرحمن السمنجاني - وهو شخصية دينية شافعية بارزة متعصبة وحاقدة - ، معتبرين أن الإسماعيليين بعيدين عن الإسلام، ليقنعوا السلطان بذلك وبرفض طلب أحمد بن عطاش في رسالته.

وبانتهاء المناورات السلمية وتواصل حصار القلعة الهامة عند الإسماعيليين، أخذ أحمد بن عطاش يساوم على قلاع بديلة، غير أن هذه المفاوضات انتهت بقيام فدائي إسماعيلي بمهاجمة أحد أمراء السلطان وإصابته بجراح، وازداد مع ذلك ضغط الحصار على القلعة من جديد، ولم يبق أمام أحمد بن عطاش سوى أحد خيارين، إما التسليم وإما تحمل الحصار والقتال، وكانت الكفة تميل نحو التسليم حفظاً لأرواح الإسماعيليين في القلعة بعد أن تبين عدم القدرة على المواجهة، ووافق أحمد بن عطاش على شروط التسليم، على أساس أن يمنح الأمان لقسم من حامية شاه دز العسكرية للخروج من القلعة والذهاب إلى قلاع نزارية أخرى في آرجان وقهستان، بينما يستسلم الباقون ويتجمعون في جناح واحد من أجنحة القلعة عند تلقيهم نبأ وصول المغادرين من الحامية بسلام، وعندئذ سيسمح لهم بالذهاب إلى الموت. غير أن أحمد بن عطاش تراجع عن النزول من القلعة وقرر القتال حتى النهاية، وواجه السلاجقة ببسالة هو والمجموعة الصغيرة من المقاتلين الإسماعيليين الذين لم يكونوا يتجاوزون الثمانين مقاتلاً، ورتب الأمراء لقتالهم، فكان يقاتلهم كل يوم أمير، فضاق الأمر بهم، واشتد الحصار عليهم فاستبسلوا في معاقلهم، ونفذت الأطعمة منهم، ففتحت قلعتهم بعد أن سقط معظم المقاتلين الإسماعيليين قتلى، ولم يتمكن من النجاة سوى قلة قليلة، وأُخذ شيخ الجبل أحمد بن عطاش أسيراً وزج به في السجن أسبوعاً، ثم طوف به في شوارع أصفهان، وسلخ جلده حياً ليموت.

أما زوجة أحمد بن عطاش ففضلت أن تقذف بنفسها من أعالي أسوار القلعة على أن تؤخذ أسيرة من قبل الأعداء، ففعلت ذلك وهي بكامل زينتها من الجواهر، وقتل ابن أحمد أيضاً، وبُعثَ برأسه ورأس والده إلى الخليفة

المستظهر في بغداد، وهذا تم في سنة (٥٠٠هـ/١١٠٧م). وفي أثناء حصار السلاجقة لقلعة شاه دز، كانوا قد دمروا قلعة خالنجان.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن تاريخ محاصرة القلعة واحتلالها الذي ذكره ابن الأثير (٤٩٥ هـ/١١٠١م) هو غير التاريخ الذي ذكره آخرون غيره (دفتري، ج٤٨/٣-٥٠، محمد السعيد جمال الدين، ص٩٤، وغيرهما).

ومما قاله (ابن الأثير) في وصفه لاحتلال القلعة وما أحاط بذلك من مفاوضات ومناورات، ما يلي:

"في هذه السنة(٤٩٥هـ/١١٠١م) ملك السلطان محمد القلعة التي كان الباطنية ملكوها بالقرب من أصبهان واسمها شاه دز وقتل صاحبها أحمد عبد الملك بن عطاش وولده. وكانت هذه القلعة قد بناها ملكشاه واستولى عليها بعده أحمد بن عبد الملك بن عطاش، وسبب ذلك أنه اتصل بدزدار كان لها، فلما استولى عليها وكان الباطنية بأصبهان قد ألبسوه تاجاً وجمعوا له أموالاً، وإنما فعلوا ذلك به لتقدم أبيه عبد الملك في مذهبهم فإنه كان أديباً بليغاً حسن الخط سريع البديهة عفيفاً وابتلي بحب هذا المذهب، وكان ابنه أحمد جاهلاً لا يعرف شيئاً. وقيل لابن الصباح صاحب قلعة آلموت لماذا تعظم ابن عطاش مع جهله قال لمكانة أبيه، لأنه كان أستاذي. وصار لابن عطاش عدد كبير وبأس شديد واستفحل أمره بالقلعة، فكان يرسل أصحابه لقطع الطرق وأخذ الأموال وقتل من قدروا على قتله فقتلوا خلقاً كثيراً لا يمكن إحصاؤهم وجعلوا له على القرى السلطانية وأملاك الناس ضرائب يأخذونها ليكفوا عنها الأذى فتعذر بذلك انتفاع السلطان بقراه والناس بأملاكهم وتمشى لهم الأمر بالخلاف الواقع بين السلطانين بركيارق ومحمد.

فلما صفت السلطنة لمحمد ولم يبق له منازع لم يكن عنده أمر أهم من قصد الباطنية وحربهم والانتصاف للمسلمين من جورهم وعسفهم، فرأى

البداية بقلعة أصبهان التي بأيديهم لأن الأذى بها أكثر وهي متسلطة على سرير ملكه، فخرج بنفسه فحاصرهم في سادس شعبان، وكان قد عزم على الخروج أول رجب فساء ذلك من يتعصب لهم من العسكر، فأرجفوا أن قلج أرسلان بن سليمان قد ورد بغداد وملكها وافتعلوا في ذلك مكاتبات، ثم أظهروا أن خللاً قد تجدد بخراسان فتوقف السلطان لتحقيق الأمر. فلما ظهر بطلانه عزم عزيمة مثلها وقصد حربهم، وصعد جبلاً يقابل القلعة من غربيها ونصب له التخت في أعلاه واجتمع له من أصبهان وسوادها لحربهم الأمم العظيمة للذحول التي يطالبونهم بها[1]، وأحاطوا بجبل القلعة ودوره أربعة فراسخ، ورتب الأمراء لقتالهم فكان يقاتلهم كل يوم أمير فضاق الأمر بهم واشتد الحصار عليهم وتعذرت عندهم الأقوات، فلما اشتد الأمر عليهم كتبوا فتوى فيها: ما يقول السادة الفقهاء أئمة الدين في قوم يؤمنون بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حق وصدق وإنما يخالفون في الإمام. هل يجوز للسلطان مهادنتهم وموادعتهم وأن يقبل طاعتهم ويحرسهم من كل أذى فأجاب أكثر الفقهاء بجواز ذلك، وتوقف بعضهم فجمعوا للمناظرة ومعهم أبو الحسن علي بن عبد الرحمن السمنجاني وهو من شيوخ الشافعية فقال بمحضر من الناس يجب قتالهم ولا يجوز إقرارهم بمكانتهم ولا ينفعهم التلفظ بالشهادتين، فإنهم يقال لهم أخبرونا عن إمامكم إذا أباح لكم ما حظره الشرع أو حظر عليكم ما اباحه الشرع أتقبلون أمره فإنهم يقولون نعم وحينئذ تباح دماؤهم بالإجماع. وطالت المناظرة في ذلك، ثم إن الباطنية سألوا السلطان أن يرسل إليهم من يناظرهم، وعين أشخاصاً من العلماء منهم القاضي أبو العلاء صاعد بن يحيى شيخ الحنفية بأصبهان

(1) الذحول: الضرائب.

وقاضيها وغيره، فصعدوا إليهم وناظروهم وعادوا كما صعدوا، وإنما كان قصدهم التعلل والمطاولة، فلج حينئذ السلطان في حصرهم، فلما رأوا عين المحاققة اذعنوا إلى تسليم القلعة على أن يعطوا عوضاً عنها قلعة خالنجان وهي على سبعة فراسخ من أصبهان. وقالوا إنا نخاف على دمائنا وأموالنا من العامة فلابد من مكان نحتمي به منهم فأشير على السلطان إجابتهم إلى ما طلبوا فسألوا أن يؤخرهم إلى النوروز ليرحلوا إلى خالنجان ويسلموا قلعتهم، وشرطوا أن لا يسمع قول متنصح فيهم وإن قال أحدٌ عنهم شيئاً سلمه إليهم وأن من أتاه منهم رده إليهم، فأجابهم إليه، وطلبوا أن يحمل إليهم من الإقامة ما يكفيهم يوماً بيوم فأجيبوا إليه في كل هذا، وقصدهم المطاولة انتظاراً لفتق ينفتق أو حادث يتجدد. ورتب لهم وزير السلطان سعد الملك ما يحمل إليهم كل يوم من الطعام والفاكهة وجميع ما يحتاجون إليه فجعلوا هم يرسلون ويبتاعون من الأطعمة ما يجمعونه ليمتنعوا في قلعتهم، ثم إنهم وضعوا من أصحابهم من يقتُل أميراً كان يبالغ في قتالهم فوثبوا عليه وجرحوه وسلم منهم، فحينئذ أمر السلطان بإخراب قلعة خالنجان. وجدد الحصار عليهم، فطلبوا أن ينزل بعضهم ويرسل السلطان معهم من يحميهم إلى أن يصلوا إلى قلعة الناظر بأرجان وهي لهم وينزل بعضهم ويرسل معهم من يوصلهم إلى طبس وأن يقيم البقية منهم في ضرس من القلعة إلى أن يصل إليهم من يخبرهم بوصول أصحابهم فينزلون حينئذ ويرسل معهم من يوصلهم إلى ابن الصباح بقلعة ألموت، فأجيبوا إلى ذلك. فنزل منهم إلى الناظر وإلى طبس وساروا وتسلم السلطان القلعة وخربها. ثم إن الذين ساروا إلى قلعة الناظر وطبس وصل منهم من أخبر ابن عطاش بوصولهم، فلم يسلم السن الذي بقي بيده. ورأى السلطان منه الغدر والعودة عن الذي قرره فأمر بالزحف إليه فزحف الناس عامة ثاني ذي القعدة، وكان قد قل عنده من يمنع ويقاتل فظهر منهم صبر عظيم وشجاعة زائدة. وكان قد استأمن إلى

السلطان إنسان من أعيانهم، فقال لهم إني أدلكم على عورة لهم فأتى بهم إلى جانب ذلك السن لهم لا يرام، فقال لهم اصعدوا من ههنا فقيل إنهم قد ضبطوا هذا المكان وشحنوه بالرجال فقال إن الذي ترون أسلحة وكزاغندات قد جعلوها كهيئة الرجال لقلتهم عندهم. وكان جميع من بقي ثمانين رجلاً. فزحف الناس من هناك فصعدوا منه وملكوا الموضع وقتل أكثر الباطنية واختلط جماعة منهم مع من دخل فخرجوا معهم. وأما ابن عطاش فإنه أُخذ أسيراً فتُرك أسبوعاً ثم إنه أمر به فشهر في جميع البلد وسلخ جلده فتجلد حتى مات، وحشي جلده تبناً. وقتل ولده وحمل رأساهما إلى بغداد. وألقت زوجته نفسها من رأس القلعة فهلكت وكان معها جواهر نفيسة لم يوجد مثلها، فهلكت أيضاً وضاعت، وكانت مدى البلوى بابن عطاش اثنتي عشرة سنة".

إن استخدام (ابن الأثير) وما سواه من المؤرخين السنيين، من ألفاظ بذيئة بحق الإسماعيليين وقادتهم العظام، لهو دليل على تعصبهم الأعمى وتعاميهم عن الحقيقة، وميلهم إلى إعداء الإسماعيلية وحيادهم عن مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، التي كانت الهادية للإسماعيلية والموجه لهم عبر تاريخهم النضالي المرير تجاه أعداء الدين والإنسانية.




الفصل الثاني

شيخ الجبل الثاني

الحسن بن الصباح

- . مولده ونشأته
- . دراسته
- . قصص وحكايا
- . مؤامرة نظام الملك على الحسن
- . اعتناق الحسن بن الصباح المذهب الإسماعيلي
- . رحلة ابن الصباح إلى مصر
- . مغادرة الحسن مصر ورحلة العودة إلى إيران
- . الحسن بن الصباح في إيران
- . الحسن بن الصباح وآلموت



- مرحلة ما بعد الموت في حياة الحسن
- الحسن بن الصباح وقيام الدولة النزارية في إيران
- الحسن بن الصباح والتزاماته الدينية
- الحسن بن الصباح والتنظيمات الفدائية
- جنة الحسن بن الصباح الخيالية
- صراع الحسن بن الصباح مع السلاجقة
- وفاة الحسن بن الصباح
- مذابح الإسماعيليين في إيران
- أبرز المهمات التي قام بها فدائية الصباح
- ما بعد الحسن بن الصباح
- نهاية الدولة الإسماعيلية النزارية في إيران

يعد الحسن بن الصباح أشهر شخصية إسماعيلية عرفها التاريخ، بل يعد البطل المقدام، ذو العقل المتقد، والذي أظهر تفانياً مطلقاً في سبيل عقيدته وإمام زمانه، وما تزال الأقلام الصادقة والشريفة تسطر عنه ما يليق به، وما زالت بطولاته، وتنظيماته الدينية والعسكرية مثلاً يحتذى به. شكل (٥).



شكل (٥) صورة تخيلية للحسن بن الصباح

. ولادته ونسبه:

الحسن بن علي محمد بن جعفر بن الصباح، ينسب إلى سلالة الملوك الحميريين في اليمن، ولذا عُرف بالحسن بن الصباح الحميري.

كانت ولادته على ما يرى البعض في سنة (٤٣٢هـ/١٠٤٠م) في الري (Ray) حيث أمضى فيها طفولته المبكرة. بينما يرى البعض الآخر أن ولادته كانت في سنة (٤٣٩هـ/١٠٤٦م) في مدينة قم جنوب طهران. في حين يؤكد (ايفانوف) أن مولد الحسن بن الصباح لم يكن قبل عام (٤٤٠هـ/١٠٤٨م)، بمعنى أنه ولد في رأي آخرين في سنة (٤٤٥هـ/١٠٥٣م).

ومن جهة أخرى فإن (لويس برنارد) يرى أن ولادة الحسن ابن الصباح، كانت تقريباً في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي، أي إما في (٤٤٢هـ/١٠٥٠م) أو في (٤٤٣هـ/١٠٥١م).

على أننا لو أخذنا بعين الاعتبار تاريخ وفاة الحسن بن الصباح والمحددة في عام (٥١٧هـ/١١٢٤م)، فإن كل التواريخ لولادته سابقة الذكر غير دقيقة، ذلك أن كافة المؤرخين يشيرون إلى أنه عندما توفي كان عمره (٩٠) عاماً، وهذا يعني أن ولادته ربما كانت في سنة (٤٢٨هـ/١٠٣٧م).

ولقد قدم أبوه من اليمن إلى الكوفة، ومن الكوفة انتقل مع عائلته إلى قم، ومن قم ارتحلوا إلى الري فاستوطنوها، وهناك ولد الحسن بن الصباح.

. دراسته:

ولد الحسن بن الصباح في عائلة شيعية اثني عشرية في الري. كما يرى البعض. وفي عائلة إسماعيلية . حسب رأي آخر.. فأبوه كان قد اعتنق المذهب الاثني عشري وتفقّه به.

لقد قام والد الحسن على تعليم ابنه من عمر (٧ ـ ١٧) سنة في منزله، ليتزود منه بالمعرفة التامة في علوم عصره من الحساب والفلسفة واللغات. ويذكر (ابن الاثير): أن الحسن كان ذكياً جداً، مما سهل عليه اتقان علوم عصره بكفاءة عالية ومنها التنبؤ بالمستقبل. بقراءة الكف. والحساب.

ومما يورده المؤرخ (علاء الدين عطا مالك الجويني) في كتابه (جهانكشاي) قول الحسن بن الصباح: "منذ طفولتي، بل منذ السابعة من عمري، كان جلّ اهتمامي تلقي العلوم والمعارف والتزود بكل ما أستطيعه منها في سبيل توسيع مداركي، وكنت كآبائي قد نشأت على المذهب الاثني عشري في التشيع، ولم أكن أرى في غيره طريقاً للخلاص من آفات العالم".

. قصص وحكايا:

لقد قصت العديد من القصص، وحكيت الكثير من الحكايا، عن بدايات حياة الحسن بن الصباح، ومن تلك القصص المثيرة للجدل علاقته مع نظام الملك (الوزير السلجوقي) وعمر الخيام (الشاعر)، من أن الحسن بن الصباح تلقى تعليمه بعد سن (١٧) على أيدي العالم موفق الدين النيسابوري في مدينة نيسابور مع الشاعر عمر الخيام والوزير السلجوقي نظام الملك، وارتبطوا معاً برباط صداقة متين، وتعاهدوا على أن يقتسموا السعادة التي يحصلون عليها في حياتهم العملية، بحيث يساعد أحدهم الآخر. ولقد أصبح فيما بعد نظام الملك وزيراً في الدولة السلجوقية (في عهد السلطانين ألب أرسلان وملكشاه). وقصده بعد توليه الوزارة عمر الخيام، فرحب به أشد ترحيب وأكرم زيارته، وأمر بمنحه راتباً سنوياً ضخماً طيلة حياته. كما أن الحسن بن الصباح قصد الوزير نظام الملك مذكراً إياه بالعهد، وعرض عليه الوزير تعيينه والياً لإحدى المقاطعات الإيرانية، لكن الحسن رفض العرض، وطلب الدخول في خدمة

السلطان مباشرة. وكان غرض الحسن من ذلك كما يرى البعض أن لا يترك نظام الملك مستأثراً بالوزارة يفعل ما يشاء وأن يكون بذلك عين السلطان عليه.

ويبدو أن هذه القصة مفبركة ومصطنعة، وذلك للفارق الكبير في العمر بين نظام الملك والحسن بن الصباح، ذلك أن نظام الملك من مواليد سنة (٤٠٨هـ/١٠١٧م) والحسن بن الصباح من مواليد سنة (٤٢٨هـ أو ٤٢٧هـ). وهذا يعني أن نظام الملك يكبر الحسن بن الصباح بنحو (٢٠) سنة أو أكثر، ومن المستحيل في ظل هذا الفارق العمري أن يكونا معاً تلميذين في مدرسة واحدة ورفيقين. وفوق ذلك فإن نظام الملك - حسب الروايات - أنهى تعليمه في سنة (٤٤٠هـ)، ومركز تعليم (مدرسة) موفق النيسابوري انتهى (أغلق) أيضاً في سنة (٤٤٠هـ/١٠٤٨م).

ويجب أن نتذكر أن تاريخ ولادة الحسن في (٤٢٨هـ/١٠٣٦م) وإنه حتى سن (١٧) سنة، أي حتى سنة (٤٤٥هـ/١٠٥٣م) تلقى تعليمه في بيته على يد والده. وإنه قبل أن يصل الحسن بن الصباح إلى نيسابور، كان الشيخ موفق النيسابوري قد أغلق مركزه التعليمي.

ولقد ذكرت كتب التاريخ أسماء معلمي نظام الملك وأيضاً ما يتعلق ببرامج تعليمه، لكنها لم تذكر بين معلميه المعلم الشيخ موفق النيسابوري. ومن ثم فإنه لمن المستحيل أن يكون الحسن ونظام الملك رفيقي مدرسة واحدة عند المعلم الشيخ موفق. وكذلك من الخطأ أن نسلم بأن نظام الملك حاول أن يساعد الحسن في منحه وظيفة في الدولة السلجلوقية. وإذا كان الحسن بن الصباح قد دخل في الخدمة السلجوقية، فإن ذلك تم بفعل كفاءته وعلمه، وليس بمساعدة نظام الملك. ولقد احتل الحسن موقعه الوظيفي في بلاط السلطان ملكشاه وهو بعمر (٣٠) سنة، وكان عندها صاحب معرفة واسعة

وعلم غزير وكفاءة نادرة، مما جعله يلقى العطف والتقدير والثقة من السلطان السلجوقي آنذاك ملكشاه.

ولقد أثارت محبة السلطان ملكشاه للحسن وثقته به، الغيرة والحسد في قلب الوزير نظام الملك، الذي بدأ يحيك المؤامرات في سعي منه للتخلص من الحسن. وأُتفق يوماً أن طلب السلطان من الوزير نظام أن يعد له سجلاً جامعاً للموازنة في الدولة، وسأله عن الوقت المطلوب، فأجابه الوزير سنتان. غير أن السلطان كان على عجلة من أمره فاستدعى الحسن بن الصباح وطلب منه ذلك والمدة الممكن انجاز العمل فيها، فأجابه الحسن بأن المدة اللازمة هي (٤٠) يوماً، مما أثار دهشة السلطان واستغرابه، قائلاً للحسن: يبدو أنك لا تعرف شيئاً عن طبيعة هذا العمل، ذلك أن الوزير نظام طلب مدة أطول مما ذكرت بما لا يقارن. فأكد الحسن بن الصباح للسلطان أن إتمام هذا العمل لا يتطلب أكثر من شهر وبالأقصى أربعين يوماً. فسر السلطان وفرح كثيراً من ذلك، وأمر كُتّاب ديوانه تزويد الحسن بن الصباح بكافة المعلومات التي يحتاجها في عمله. وباشر الحسن عمله بسعادة كبيرة وهو على ثقة بنفسه وبقدرته على إنجاز ما طلب منه في المدة المحددة، وفعلاً تم ذلك. غير أن مؤامرة نظام الملك ضد الحسن بن الصباح قلبت الوضع رأساً على عقب.

- مؤامرة نظام الملك على الحسن (plot of Nizam alMulk):

لقد شعر نظام الملك أنه أصبح في خطر وأن الوزارة خالصة من يده، لعلمه بمقدرة الحسن وطول باعه في الأمور الحسابية والمالية. وأدرك أن الحسن ناجح في عمله لا محالة، فاضطرب واكتاب، وبعد تفكير طويل عمد إلى الحيلة والغدر واختار أيسر طريق وأبعدها عن الظنون لتشويه سمعة الحسن عند السلطان وأكابر الدولة.

فدعا من يثق به من غلمانه وأمره أن يعقد الصداقة المتينة مع غلام الحسن الخاص، ويرافقه إلى أماكن اللهو والمجون ويحاول أن يكسب ثقته ويطمئن إليه فإذا تم له ذلك فليعلم الوزير بالأمر، ففعل الغلام ما أمر به وأخذ يتودد لغلام الحسن حتى وثق به وآمن بإخلاصه كل الإيمان. أما الحسن فكان منصرفاً في منزله إلى تنظيم سجل الموازنة وجمع الإحصاءات والوثائق اللازمة في مختلف بلاد السلطنة، وكانت السجلات في ذلك الوقت مؤلفة من صحائف متفرقة غير متلاصقة بعضها ببعض وعلى رأس كل صحيفة رقمها وقد دوّن في داخلها حساب الولايات وارداتها وصرفياتها وذلك تحت عناوين مختلفة تتفق وأسماء الولايات، ولما علم نظام الملك ان الحسن قد أتم تنظيم السجل على الوجه الأكمل وحان وقت عرضه على السلطان، أوعز إلى غلامه الآنف الذكر وأمره أن يبعثر سجل الحسن ويقلب محتوياته رأساً على عقب بحيث تختلط أوراقه وصحائفه بعضها ببعض، وإذا ما فعل ذلك يعيد السجل إلى مكانه. ففعل الغلام ما أمره سيده.

وفي اليوم المحدد دخل الحسن على السلطان في الساعة المقررة وأخبره بأنه قد أنجز العمل الموكل إليه وأن السجل جاهز للتدقيق، ولم يكن الحسن يعلم بما آل إليه السجل، وهو غير شاك في أن يداً آثمة قد عبثت بأوراقه وذهبت بجهوده أدراج الرياح، وسرعان ما طلب منه السلطان حساب إحدى الولايات فمد يده إلى الموضع الذي وضع فيه رقم تلك الولاية كما أعده وسحب الورقة فخاب أمله، وسحب أخرى فإذا هي غيرها وثالثة ورابعة وخامسة والسلطان يسأله في كل مرة: أوجدتها؟ فيقول الحسن: نعم هذه هي وكلما سحب لا يجد ما يطلبه، فضاق صدر السلطان وظهر الغضب على محياه، فاغتنم نظام الملك الذي كان حاضراً هذه الفرصة التي كان ينتظرها بفارغ الصبر وتقدم إلى السلطان وقال له: إذا كان مولانا لا يثق بالأكفاء من رجاله المخلصين الذين

يعرفون السهل من الصعب، والممكن من المستحيل، وأصغى إلى مجنون ليس لديه خبرة بالأمور الحسابية ولا المالية فإنه لا محالة يجد تدجيلاً وتضليلاً.

وهكذا أخذ يعمل على تسميم آذان السلطان حتى أمر بالقبض على الحسن وكاد أن يقتله لولا حبه وتقديره السابق لخدماته الجليلة، وأخيراً استطاع الحسن الفرار وتوجه إلى الري.

غير أن (ابن الأثير) في كتابه (الكامل في التاريخ) يروي قصة أخرى عن سبب الصدام بين الحسن بن الصباح ونظام الملك، وهروب الحسن بن الصباح، حيث يقول ابن الأثير: "كان الحسن بن الصباح رجلاً شهماً كافياً عالماً بالهندسة والحساب والنجوم والسحر وغير ذلك. وكان رئيس الري إنساناً يقال له أبو مسلم، وهو صهر نظام الملك، فاتهم الحسن بن الصباح بدخول جماعة من دعاة المصريين عليه، فخافه ابن الصباح، وكان نظام الملك يكرمه، وقال له يوماً من باب الفراسة: عن قريب يضل هذا الرجل ضعفاء العوام. فلما هرب الحسن من أبي مسلم طلبه فلم يدركه.." بمعنى أن سبب خروج الحسن وفراره من الري - وليس المشار إليها في القصة الأولى - هو نشاطه الذي كان يمارسه في الدعوة وإيواؤه لمجموعة من الدعاة الفاطميين المصريين.

ولكن تبقى القصة الأولى هي الأكثر ترجيحاً وقبولاً وتداولاً في الكتابات الأخرى.

- اعتناق الحسن بن الصباح المذهب الإسماعيلي:

منذ العهد الأموي أصبحت إيران مركزاً للتشيع وللحركة الشيعية، وانتشر العديد من الدعاة الإسماعيلية في طبرستان والديلم والري.... وغير ذلك.

وحتى سن السابعة عشرة، كان الحسن من أتباع المذهب الاثني عشري. ولكن بعد ذلك أخذ بالاحتكاك بالدعاة الإسماعيلية والنقاش معهم. وقد أُعجب بمقدرة الدعاة الجدلية فوقع تحت تأثير الأمير ضراب من الري، الذي

ترك في نفس الحسن هوى وحباً للعقيدة الإسماعيلية، مما جعله يصمم على اعتناقها.

وفي تلك الفترة أصيب الحسن بمرض خطير، لم يكن يرجو الشفاء منه. وخشي أن يموت وهو لم يعتنق المذهب الإسماعيلي، بعدما أيقن بأن ذلك المذهب هو الحق. غير أن الحسن بإيمانه بقلبه وقوة إرادته شفاه الله من مرضه. وهذا ما حدا به إلى البحث للتعرف أكثر فأكثر على هذا المذهب ملتجئاً إلى داعيين إسماعيليين كبيرين، هما: الداعي أبو نجم سراج، والداعي مومن (Momin) الذي أجاز له كبير الدعاة آنذاك عبد الملك بن عطاش القيام بأمر الدعوة. وأراد الحسن أن يأخذ عن يدي الداعي (مؤمن) عهد البيعة، ليقول (مؤمن) للحسن: إن مرتبتك أعلى من مرتبتي فأنت حسن، أما أنا فمؤمن، فكيف آخذ عليك عهداً؟ يعني كيف آخذ منك البيعة لإمام؟ إلا أنه أخذ العهد من الداعي (مؤمن) بعد إلحاح، ليصبح بعد ذلك إسماعيلياً قلباً ولساناً وعملاً وسلوكاً وتضحية، وكان ذلك على ما يذكر البعض في عمر (٣٥) سنة أو (٣٦) سنة؛ أي في سنة (٤٦٣هـ/١٠٧٠م) أو سنة (٤٦٤هـ/١٠٧١م).

وفي ذلك يروي الحسن بن الصباح نفسه ما حفظه المؤرخون بقوله:

"حدث أن تعرفت في شبابي إلى أحد دعاة الإسماعيلية الفاطميين، ويدعى الأمير ضراب، وكان بين وقت وآخر يشرح عقيدة خلفاء مصر كما كان كثيرون غيره يقومون بذلك. فكنت إجادله جدالاً عنيفاً، وأخذ كل واحد منا يشيد بما هو عليه من عقائد مذهبية وآراء دينية، غير أن حججه الدامغة تركت عندي أثراً قوياً جداً، ثم افترقت عن الداعي قبل أن أعتنق مذهبه. لم أشك يوماً في إيماني بالإسلام، وإيماني أن هناك دائماً إلهاً قوياً يرى ويسمع كل شيء، وأن هناك نبياً ومحرمات ومحللات وجنة ونار ووصايا. كنت أفترض أن الدين والعقيدة يقتصران على ما يعرفه الناس بشكل عام والشيعة

بشكل خاص، ولم يخطر ببالي أن أسعى وراء الحقيقة خارج إطار الإسلام. كنت أظن أن عقائد الإسماعيلية هي نوع من الفلسفة، وأن حاكم مصر عبارة عن فيلسوف. وأن أمير ضراب كان رجلاً ذا شخصية قوية، وعندما اختليت به لأول مرة قال لي: إن الإسماعيليين يقولون كذا وكذا. فقلت له: ويحك يا صديقي، لا تتفوه بهذه الكلمات المنبوذة فهي معادية للدين. وحدثت نقاشات وخلافات بيننا، واستطاع دحض إيماني والقضاء عليه. أنا لا أعيد الفضل إليه، ولكن هذه الكلمات كانت كبيرة في قلبي. وقال لي أمير ضراب: في الليل وعندما تكون في فراشك فكر في كلامي وسترى أنه مقنع. وبعد قليل أصابني مرض الزمني الفراش، فخشيت أن تختطفني يد المنون قبل أن أتطهر باعتناقي المذهب الإسماعيلي، إذ كنت قد عزمت على اعتناقه بتأثير مناقشاتي مع الداعي، وقلت في نفسي: بالتأكيد هذا هو المعتقد الحقيقي، وبسبب خوفي الشديد لم أقرّ به. ولما عوفيت وتعرفت إلى أبي نجم السراج، رغبت إليه في أن يزيدني حديثاً عن مذهبه، وأخذت أفكر تفكيراً عميقاً في تعاليم هذا المذهب، ثم قدر لي أن أتعرف بالداعي مؤمن، وكان موفداً إلى مدينة الري من قبل عبد الملك بن عطاش داعي الدعاة في العراقين، فتوسلت إليه أن يقبل مني البيعة للخليفة الفاطمي بمصر، وأن يأخذ عليّ العهود والمواثيق، فتردد الداعي ثم أجابني إلى طلبي، وبذلك دخلت في الدعوة الإسماعيلية وأصبحت واحداً من أتباع الإمام الفاطمي بمصر. ولما وفد عبد الملك بن عطاش داعي الدعاة إلى الري مثلت بين يديه، ولما وقف على آرائي واختبر استعدادي عهد إلي ببث الدعوة، وبذلك أصبحت داعياً إسماعيلياً، ثم وجهني بقوله: "عليك بالوفود على القاهرة لتنعم بخدمة مولانا الإمام المنتصر".

- رحلة الحسن بن الصباح إلى مصر:

لما قدم عبد الملك بن عطاش داعي العراقين (العراق العجمي والعراق العربي) إلى الري في سنة (٤٦٤هـ/١٠٧١م) التقى بالحسن بن الصباح في الري، وأعجب به أشد إعجاب، فاختاره لأن يتولى نيابة الدعوة، وكبيراً لدعاته في تلك البلاد. ونصحه بوجوب الذهاب إلى مصر للتزود بالعلم والمعرفة المذهبية في دار الحكمة حيث هناك المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الشيرازي داعي الدعاة وحجة الإمام، ولكن الحسن بن الصباح وصل إلى مصر بعد وفاة المؤيد، إلا أنه وجد مبتغاه العلمي، وبما يؤمن له - أو يسهل له - الالتقاء بالخليفة الفاطمي آنذاك وهو المستنصر بالله.

وقبل مغادرة الحسن بن الصباح إيران إلى مصر، اشتغل بالدعوة نائباً لابن عطاش لمدة سنتين (٤٦٧ - ٤٦٩هـ) أقامها في أصفهان، حيث انتقل من الري في سنة (٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م) إلى أصفهان.

غادر الحسن بن الصباح أصفهان سنة (٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م) متوجهاً إلى مصر عن طريق أذربيجان مروراً بميافارقين، فالموصل، فسنجار، ومن ثم الرحبة، ودمشق وصيدا وصور. ومن عكا ركب البحر ليصل إلى مصر في (٣٠ آب سنة ١٠٧٨- ١٠٧٩م / الأربعاء ١٨ صفر سنة ٤٧١هـ) في عهد المستنصر بالله (٤٢٧- ٤٨٧هـ/١٠٣٦-١٠٩٤م). وكان في استقباله داعي الدعاة في مصر (أبو داؤود) الذي استقبله بحفاوة، وقد شاركه في ذلك النبلاء والأعيان. وطيلة مدة إقامته في مصر (القاهرة) كان مشمولاً برعاية ورضى الإمام المستنصر (الخليفة الفاطمي)، فأغدق عليه وقربه، وأمره بدعاء الناس إلى إمامته.

وبقي الحسن بن الصباح في مصر مدة سنة ونصف. ولم يلتق خلال تلك المدة الإمام المستنصر، غير أن المستنصر كان واقفاً على أمره ومتتبعاً أخباره،

وممتدحاً إياه في أكثر من مرة. إلا أن (ابن الأثير) يذكر: أن الحسن بن الصباح لقي المستنصر شخصياً وسأله عن الإمام بعده من هو؟ فقال له: نزار.

وكان أمير الجيوش في مصر آنذاك بدر الدين الجمالي[1]، وهو المتسلط والحاكم المطلق، وكانت زوجة المستعلي الابن الأصغر للمستنصر، ابنة بدر الدين الجمالي، الذي كان يريد أن يجعل من المستعلي خليفة لأبيه المستنصر، علماً أن المستنصر كان قد نص على إمامة ابنه الأكبر نزار من بعده. وكان الحسن بن الصباح يقوم آنذاك في مصر بالدعوة لنزار وليس للمستعلي، لهذا ساءت العلاقة مع بدر الجمالي الذي أخذ يحيك الدسائس والمؤامرات ضد الحسن، في محاولة لإبعاده عن مصر. وليقوم بدر الجمالي بسجن الحسن في سجن دمياط، ولقد ذكرت هذه الحادثة في كتاب (جامع التواريخ)، كالآتي: "حدث في ذلك الوقت تعيين ولي العهد في مصر فاختار المستنصر ابنه نزار وكان بدر الجمالي يحبذ تعيين المستعلي، وناصر الحسن ابن الصباح التعيين الأول، فغضب بدر الجمالي ولم يرض بما كان يبديه المستنصر للحسن من احترام، فعمل على سجنه ثم طرده من مصر".

إلا أنه لحسن حظ الحسن بن الصباح أن جدار السجن انهار فجأة في أحد الأيام، مما أتاح له الفرصة لهروبه وخروجه بالتالي من مصر.

---

[1] بدر بن عبد الله الجمالي: ارمني الجنس والأصل. اشتراه جمال الدولة بن عمار غلاماً، فترعرع وشب في كنفه حتى أصبح رجلاً من رجاله المعدودين، ومن ذوي الآراء وعرف بقوة العزم وشدة المراس، ونسب إلى جمال. عينه الخليفة المستنصر والياً على إمارة دمشق وعندما اختل نظام الدولة في مصر، وحدثت الفتن، استدعاه المستنصر إلى القاهرة لإخماد الفتن وإحلال النظام، وكان حضوره إلى القاهرة يوم الأربعاء أواخر جمادى الأول سنة (٤٣٣هـ/١٠٤١م)، فولاه المستنصر تدبير أمور الدولة، وعهد إليه الوزارة وقيادة الجيش. وأصبح الحاكم في دولة المستنصر والمرجوع إليه. كانت وفاته سنة (٤٨٧هـ) بعد أن سلم الوزارة لولده الفضل.

لقد كان بدر الجمالي يطمع في أن يصبح الحاكم العسكري والديني والدنيوي، فضلاً عن تكليفه بأمر الوزارة وقيادة الجيش، كما كان يطمع في رتبة القضاء والدعوة. فما أن توفي المؤيد في الدين الشيرازي داعي الدعاة (سنة٤٧٠هـ/١٠٧٧م) حتى قبض بدر الجمالي على زمام الدعوة وأصبح يسيطر على رئاسة الدعوة، والأمور الدنيوية. ولما دخل الحسن بن الصباح مصر، خاف الجمالي على رئاسة الدعوة لما عرف عن الحسن من سعة العلم وحسن التدبير والتعمق في الأمور الدينية، لذلك بذل وسعه لإقصاء الحسن والتخلص منه مهما كان الثمن، وبالفعل تم له ما أراد.

. مغادرة الحسن مصر ورحلة العودة إلى إيران:

بعد خروج الحسن بن الصباح من السجن، أصدر بدر الجمالي أمراً بنفيه إلى بلاد المغرب. بعد أن كان قد أمضى في مصر نحو (١٨) شهراً. فأبحرت السفينة من الإسكندرية سنة (٤٧٣هـ/١٠٨٠م) مع جماعة من الإفرنج، متوجهة حسبما هو مقرر لها إلى المغرب. غير أن البحر كان هائجاً، مما جعل الرياح توجه السفينة شرقاً إلى ساحل بلاد الشام بدلاً من أن توجهها غرباً، ولينزل الحسن من السفينة في عكا.

وفي البحر الهائج والسفينة تتلاطمها الأمواج، والركاب في هلع وخوف مما ستؤول إليه حالهم بعدما أيقنوا أن نهايتهم وشيكة. غير أن الحسن رغم ذلك، كان هادئاً وغيرَ مرتاب، ولا هلع، مما أثار انتباه الركاب ودهشتهم، ليجتمعوا حوله ويسألوه عن سر طمأنينته وهدوئه، فطمئنهم بأن السفينة بأمان ولن تغرق، وهذا وعد من الله والإمام له بالنجاة. وما أن بلغت السفينة ميناء عكا ورست فيه بسلام، حتى أقبل الركاب إليه يقبلون قدميه ويتبركون به، واعتنقوا جميعهم مذهبه.

ومن عكا اتجه الحسن بن الصباح إلى حلب، وبعدها ولى وجهته باتجاه بغداد، ومن ثم خوزستان، ليصل إلى أصفهان في سنة (٤٧٣هـ شهر ذي الحجة/١٠ حزيران ١٠٨٠م). وكان وهو في رحلته عبر بلاد الشام والعراق يدعو لمذهبه أينما حل، مستجيباً له عدد كبير من الناس. شكل (٦).

. الحسن بن الصباح في إيران:

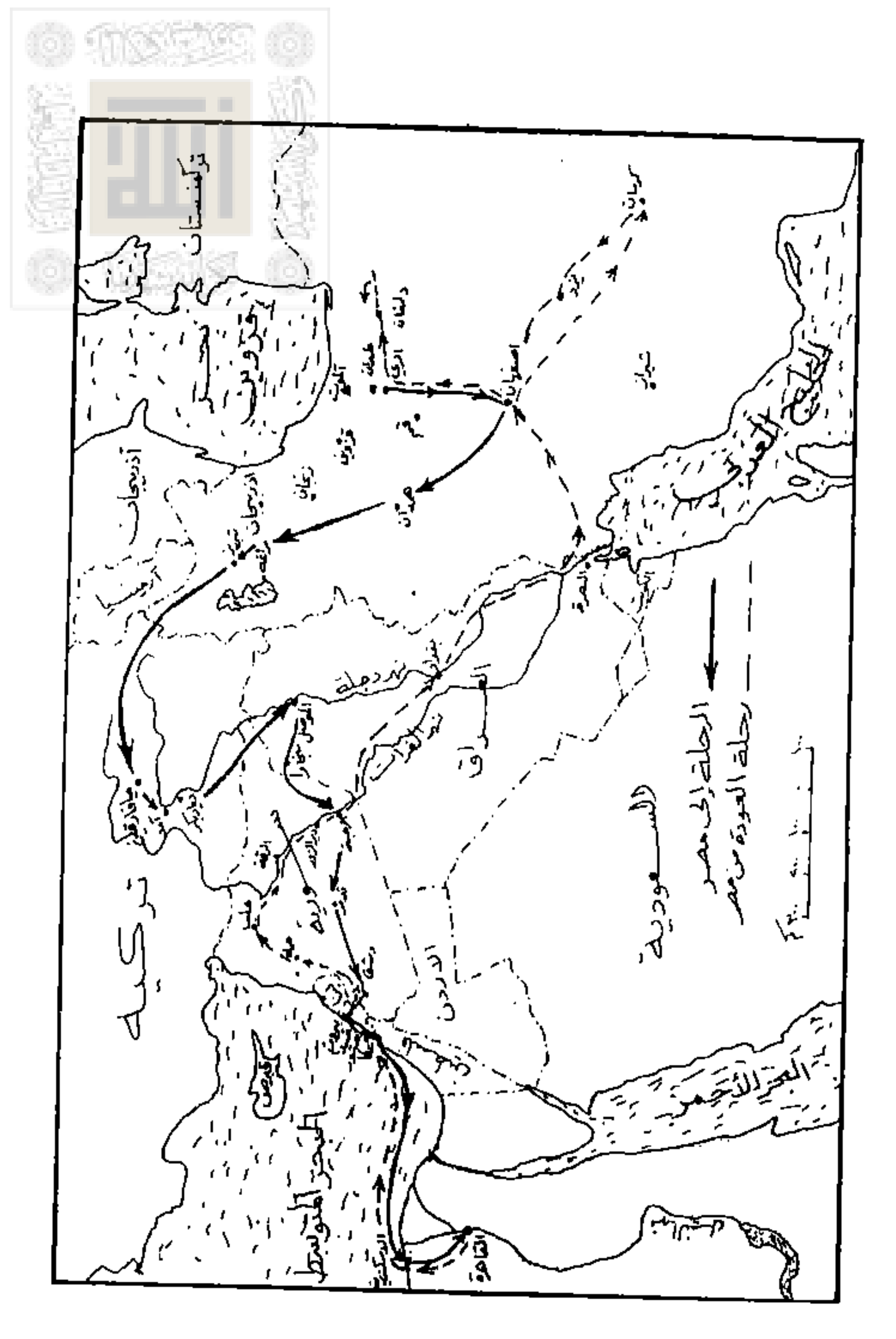
بعد بلوغ الحسن بن الصباح أصفهان، توجه إلى كرمان ويزد ليبقى فيهما مدة من الزمن داعياً[1]، وليعود بعد ذلك إلى أصفهان، وليذهب منها إلى خوزستان، وليتوجه من هناك عن طريق الصحراء إلى فريم (مدينة تقع في المنطقة الجبلية شرقي مازنداران) وإلى شهرياركوه (جبل شهريار، والظاهر أنه عبارة عن سلسلة جبال فيروزكوه وسودكوه الحالية، وكانت فريم هي مدينته الرئيسية)[2].

ومن ثم توجه إلى دامغان التي أقام فيها ثلاث سنوات، ومن هناك وجه عدداً من الدعاة إلى أندجرود (إحدى نواحي آلموت الأربعة: فيشان، أندجرود، آثان، بالارودباد)، وولايات أخرى لكي يدخل الناس في الدعوة. وبعد ذلك ذهب إلى جرجان، وطرز، وسرحد، وجناشك، ثم عاد أدراجه من هناك، ذلك أن نظام الملك كان قد كلف أبا مسلم الرازي (صهر نظام الملك ورئيس الري)، بالقبض على الحسن بن الصباح، مما أعاق من إمكانية توجهه إلى الري، لذلك اتجه إلى ساري، ومنها وصل إلى قزوين عن طريق دنباوند (دوما فند) وخور الري، وهكذا تحاشى الري وعيون نظام الملك.

---

[1] كرمان ويزد مدينتان إيرانيتان.

[2] من المحتمل أن تكون بلدة شهرياركوره هي شاهرود القريبة من دامغان.



شكل (٦) مخطط لرحلة الحسن بن الصباح من إيران إلى مصر، والعكس

وقد أرسل من قزوين مرة أخرى داعياً إلى آلموت، وكان يتولاها رجل يقال له علوي مهدي من قبل ملكشاه، وآلموت (إله أموت) يعني عش العقاب، فقد كانت العقبان تبني أعشاشها بها.

وتروى قصة الحسن بن الصباح بعد عودته من مصر، كما وردت في كتاب (تاريخ فاتح العالم /جها نكشاي، لمؤلفه عطا ملك الجويني)، كالآتي: "ولما عاد الحسن بن الصباح من مصر توجه إلى أصفهان، وكان قد ذاع صيت مقالته وانتسابه إلى الباطنية والدعوة التي كان يقوم بها. وكان الأشخاص الذين يروون فيه وفي الإسماعيلية خطراً عليه يطلبونه، فكان يتوارى لهذا السبب. وفي أول عودته إلى أصفهان ذهب إلى دار الرئيس أبي الفضل، الذي كان قد قبل دعوته خفية، وأقام بها مدة، وعندما كان الرئيس يقابله كانا يتبادلان أطراف الحديث ويناقشان همومهما ومتاعبهما. وذات يوم، في أثناء الشكوى من الزمان وحكاية تعصب السلطان وأركان دولته، تأوه الحسن بن الصباح وقال: "واأسفاه! لو كان معي رجلان بقلبي واحد لكنت قلبت هذا الملك رأساً على عقب". فظن الرئيس أبو الفضل أن الحسن قد أصيب بأعراض الماليخوليا من كثرة الفكر وشدة الخوف ومباشرة الأسفار المحفوفة بالخطر، وإلا فكيف يمكنه بشخصين متحدين أن يقلبوا رأساً على عقب ملكاً لسلطان تقع تحت خطبته وسكته البلاد من مصر إلى كاشغر، ويسير تحت لوائه الألوف ما بين راجل وراكب، يجعل العالم يضطرب بإشارة واحدة، فأمعن في النظر في هذا، وقال لنفسه: "إنه ليس رجلاً من أهل اللغو والقول الجزاف، فلا شك أنه أصيب بمرض عقلي". وعلى ضوء هذا الظن أخذ يعد العدة لعلاج مرض الماليخوليا دون أن يطلع الحسن. فأعد مشروبات معطرة وأغذية مقوية للمزاج ومرطبة للدماغ تليق بمن يعاني من مصاب بمثل هذه العلة، وحملها إليه في الوقت المعتاد لتناول شرابه وطعامه. وعندما شاهد

الحسن بن الصباح نوع الشراب والطعام وقف على ما يدور في خلد الرئيس أبي الفضل، وعزم على الرحيل في الحال. ولقد أكثر الرئيس من التضرع والرجاء، ولكنه رفض البقاء، ويقال إنه ذهب إلى كرمان، ثم عاد بعد ذلك وتمكن في آلموت، وقتل نظام الملك على يد الفدائيين، ومات السلطان ملكشاه بعد نظام الملك بأربعين يوماً، واختلت أمور المملكة واضطربت أحوالها، وظهر الاضطراب والفوضى في الولايات. وانتهازاً لتلك الفرصة قوي أمر الحسن بن الصباح، فكان يلجأ إليه كل من أصابه خوف. فانتهز الرئيس أبو الفضل المذكور الفرصة وذهب إلى آلموت، وانخرط في زمرته. وذات يوم اتجه الحسن إليه وقال: "لا نعرف على وجه التحقيق من منا كان مصاباً بالماليخوليا أنا أم أنت؟ لقد رأيت أني عندما وجدت رفيقين لمعاونتي وفيت بقولي، وبرهنت على دعواي". فوقع الرئيس أبو الفضل ساجداً عند أقدامه وطلب المغفرة.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن الحسن بن الصباح ركز جهوده في نشر الدعوة الإسماعيلية على أقصى شمال بلاد فارس في مقاطعتي جيلان ومازنداران الجبليتين المشرفتين شمالاً على بحر قزوين، وعلى هضبة إيران التي كان يسكنها الديلم الذين يدينون بالمذهب الشيعي.

ولقد وجد الحسن بن الصباح القبول عند شعوب الديلم والمازنداران والجيلان في اعتناق المذهب الإسماعيلي، ولم يكن همه فقط الحصول على أنصار بين شعوب تلك المناطق، وإنما كان هدفه إيجاد مواقع محصنة وآمنة يجعل منها مركز انطلاق الدعوة ونشرها في مناطق مختلفة، ووجد ضالته في قلعة آلموت.

. الحسن بن صباح وآلموت:

كان الحسن بن الصباح يخطط لثورة إسماعيلية في إيران، يطيح من خلالها بالسلاجقة وسواهم من السنة المتطرفين ويؤسس بذلك لدولة إسماعيلية نزارية.

وبدأ يبحث عن موقع مناسب يتخذ منه مقراً لقيادته ومنطلقاً لثورته. وفي عام (٤٨٠هـ/١٠٨٧م) وقع اختياره على قلعة آلموت النائية والمنيعة في الديلمان كأفضل حصن متوفر لانطلاق ثورته[1]. شكل (٧).



شكل (٧) صورة لبقايا قلعة آلموت الحالية (صخرة آلموت)

[1] تقع آلموت في وسط جبال البورز على خط عرض (٣٦,١٥°- ٣٦,٤٠°شمالاً) وخط طول (٥٠,١٠°- ٥٠,٥٠° شرقاً)، وارتفاع نحو (٣٦٠٠م). ذكر (القزويني) في كتابه (آثار البلاد وأخبار العباد): أن آلموت قلعة حصينة من ناحية رودبار بين قزوين وبحر الخزر على قمة جبل، وحولها وهاد لا يمكن نصب المنجنيق عليها ولا النشاب يبلغها. وهي كرسي ملك الإسماعيلية. قيل أن بعض ملوك الديلم أرسل عقاباً للصيد وتبعه فرآه وقع على هذا الموضع، فوجده موضعاً حصيناً اتخذه قلعة وسماه آله آلموت (آله بمعنى عقاب وآلموت مخفف من أموخت)، أي تعليم العقاب بلسان الديلم. ومنهم من قال اسم القلعة بتاريخها، لأنها بنيت سنة ست وأربعين وأربعمائة، وهي م و ت.

فبعث من قاعدته الأولية في دامغان، ثم من شهرياركوه في مازنداران، بعدد من الدعاة (إسماعيل قزويني، محمد جمال رازي، كيا أبي القاسم لاريجاني.. وغيرهم) إلى المناطق المختلفة المحيطة بآلموت لتحويل السكان المحليين إلى الإسماعيلية. وبعد أن حطت رحاله واستقر في قزوين أرسل منها داعياً (حسين قائيني) إلى قلعة آلموت التي كان يتولاها رجلٌ اسمه علوي مهدي من قبل السلطان ملكشاه السلجوقي. ولقد استجاب للدعوة عدد كبير من سكان آلموت وجنودها. ثم تمت دعوة علوي مهدي إلى المذهب الإسماعيلي فتظاهر بالاستجابة والقبول، واتبع ذلك باستعمال حيلة، في محاولة منه للكشف عن العناصر التي استجابت للدعوة من سكان القلعة وعسكره، فأنزل من القلعة كل من قبل الدعوة وأغلق دونهم بابها، وأخبرهم إن هذه القلعة هي قلعة السلطان، وبعد نقاش طويل معهم سمح لهم بالدخول إلى القلعة ثانية، ولم يقبلوا بعدها النزول من القلعة بمقتضى طلبه.

ومن قزوين، بعث الحسن بن الصباح بداعية آخر إلى آلموت، تمكن من كسب المزيد من المستجيبين. كما تمكن من التغلغل داخل منطقة آلموت بعناصر إسماعيلية من أمكنة أخرى. وبانتهاء هذه الاستعدادات بحلول الأشهر الأولى من عام (٤٨٣هـ/١٠٩٠م)، انتقل الحسن بن الصباح إلى مكان أقرب إلى هدفه؛ أي إلى أشكور، ثم إلى أندجرود المجاورة لآلموت.

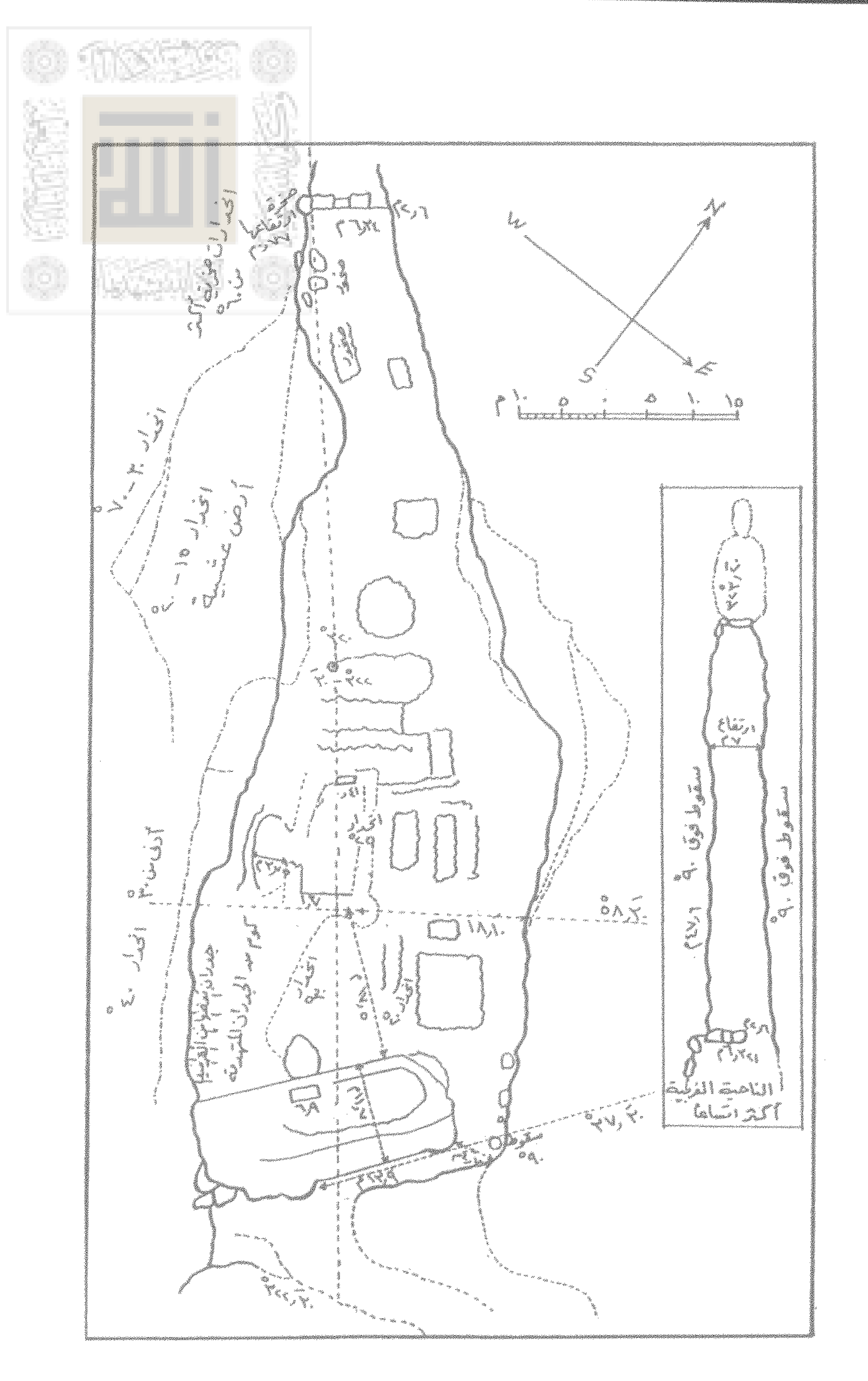
ولقد دخل الحسن بن الصباح إلى القلعة بناء على دعوة من الجماعة الإسماعيلية فيها، وكان دخوله إليها سراً ومتنكراً، بحيث لم يعرفه أحد من أتباعه في القلعة سوى الدعاة فقط، وكان دخوله مساء يوم الأربعاء السادس من شهر رجب سنة (٤٨٣هـ) الموافق الرابع من شهر أيلول سنة (١٠٩٠م)، وبقي في القلعة مدة من الزمن متنكراً باسم (ديخودا = دهخدا). وخلال تلك المدة تعرف بشكل دقة على القلعة وتحصيناتها.

ولما علم (علوي مهدي) بواقع الحال، وبأن الحسن في القلعة، وأنه عاجز عن التصرف، طلب الحسن من (علوي) تسليم القلعة مقابل (٣٠٠٠) دينار ثمناً لها، وكتب له رسالة إلى حاكم جيردكوه ودامغان، الرئيس المظفر الإسماعيلي، لتسليم المبلغ إلى (علوي) الذي سلم القلعة وارتحل عنها. وكانت رسالته الآتية: "الرئيس م ظ (المظفر) حفظه الله، لتسليم علوي مهدي ثمناً لآلموت ثلاثة آلاف دينار، على النبي المصطفى وآله السلام، وحسبنا الله ونعم الوكيل".

وعندما استلم (علوي) الرسالة (الحوالة) قال لنفسه: "إن الرئيس المظفر رجل عظيم وهو نائب للأمير داد حبشي من التونتاق، فأنى له أن يعطيني شيئاً برقعة كهذه". وبعد مدة نزل (علوي) إلى دامغان وكان قد صار مقل الحال، فأخذ الرقعة التي كانت معه إلى الرئيس المظفر على سبيل التجربة، فقبل الرئيس المظفر الخط وسلمه الذهب في الحال.

وهكذا غدت قلعة آلموت قلعة إسماعيلية، لتصبح فيما بعد مركزاً للدعوة الإسماعيلية، ومقراً فيما بعد للدولة النزارية الحديثة في إيران. شكل (٨).

وما أن استقر الحسن واستقل بآلموت حتى وجه الدعاة إلى أنحاء إيران كافة لنشر الدعوة الإسماعيلية، والدعوة للإمام المستنصر وخليفته نزار.



شكل (٨) مخطط لقلعة آلموت

. مرحلة ما بعد آلموت في حياة الحسن:

كان استيلاء الحسن بن الصباح على قلعة آلموت فاتحة خير للإسماعيلية، حيث توالت بعدها فتوحاتهم:

ففي سنة (٤٨٤هـ/١٠٩١م) أرسل الحسن أحد دعاته المشهورين (حسين القائيني) إلى قهستان ليتولى الدعوة فيها، فاستجاب إليه جماعة، واستقلوا بإحدى نواحي قهستان، وعدّ حاكمها ونائباً عن الحسن بن الصباح.

ولقد ساعد الحظ ابن الصباح، إذ توفي ملكشاه السلجوقي عدو الإسماعيلية اللدود في اليوم الثالث من شهر شوال سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) بعد استيلاء الإسماعيلية على قلعة آلموت بنحو سنتين. ومن بعده مزقت أملاك السلجوقيين، وضعفوا، بينما قويت شوكة الإسماعيليين في بلاد فارس.

وبعد قلعة آلموت استولى الإسماعيليون على عدد كبير من القلاع ـ انظر الشكل (٤) ـ جاء ذكرها في كتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير كالآتي:

"منها طبس وبعض قهستان، وكان سبب ملكهم لها أن قهستان كان قد بقي فيها بقايا من بني سيمجور أمراء خراسان ايام السامانية، وكان قد بقي من نسلهم رجل يقال له المنّور وكان رئيساً مطاعاً عند الخاصة والعامة، فلما ولي كلسارغ قهستان ظلم الناس وعسفهم، وأراد أختاً للمنور بغير حل فحمل ذلك المنور على أن التجأ إلى الإسماعيلية وصار معهم فعظم حالهم في قهستان واستولوا عليها. ومن جملتها خور، وخوسف، وزوزن، وقاين، وتون، وتلك الأطراف المجاورة لها ومنها قلعة وسنمكوه وقد ملكوها وهي بقرب أبهر سنة أربع وثمانين وتأذى بهم الناس لا سيما أهل أبهر فاستغاثوا بالسلطان بركيارق فجعل عليها من يحاصرها فحوصرت ثمانية أشهر وأخذت منهم سنة تسع وثمانين وقتل كل من بها عن آخرهم. ومنها قلعة خالنجان على خمسة فراسخ

من أصبهان كانت لمؤيد الملك بن نظام الملك وانتقلت إلى جاولي سقاووا فجعل بها إنساناً تركياً فصادقه نجار باطني وأهدى له هدية جميلة ولزمه حتى وثق به وسلّم إليه مفاتيح القلعة، فعمل دعوة للتركي وأصحابه فسقاهم الخمر فأسكرهم واستدعى ابن عطاش، فجاء في جماعة من أصحابه فسلم إليهم القلعة فقتلوا من بها سوى التركي فإنه هرب، وقوي ابن عطاش بها وصار له على أهل أصبهان القطائع الكثيرة. ومن قلاعهم المذكورة استوناوند وهي بين الري وآمل ملكوها بعد ملكشاه، نزل منها صاحبها فقتل، وأخذت منه. ومنها أردهن التي ملكها أبو الفتوح ابن أخت الحسن بن الصباح. ومنها كردكوه وهي مشهورة[1]. ومنها قلعة الناظر بخوزستان، وقلعة الطنبور وبينها وبين أرجان فرسخان أخذها أبو حمزة الإسكاف وهو من أهل أرّجان، سافر إلى مصر وعاد داعية لهم. وقلعة خلادخان وهي بين فارس وخوزستان وأقام بها المفسدون نحو مائتي سنة يقطعون الطريق حتى فتحها عضد الدولة بن بويه وقتل من بها، فلما صارت الدولة لملكشاه أقطعها الأمير (أنز) فجعل بها (دزدارا) فأنفذ إليه الباطنية الذين بأرّجان يطلبون منه بيعها فأبى، فقالوا له نحن نرسل إليك من يناظرك حتى يظهر لك الحق، فأجابهم إلى ذلك فأرسلوا إليه إنساناً ديلمياً يناظره، وكان للدزدار مملوك قد رباه وسلم إليه مفاتيح القلعة فاستماله الباطني، فأجابه إلى القبض على صاحبه وتسليم القلعة إليهم فقبض عليه وسلم القلعة إليهم ثم أطلقه واستولى بعد ذلك على عدة قلاع هذه أشهرها".

وهكذا يمكننا تحديد أهم قلاع الدعوة الإسماعيلية في إيران بالآتي:

١ - قلعة آلموت.

[1] كردكوه: تكتب أيضاً جيردكوه. قلعة الناظر وتورد في بعض الكتب باسم قلعة النادر.

٢ - قلعتي شاه دز وخلنجان قرب أصفهان.

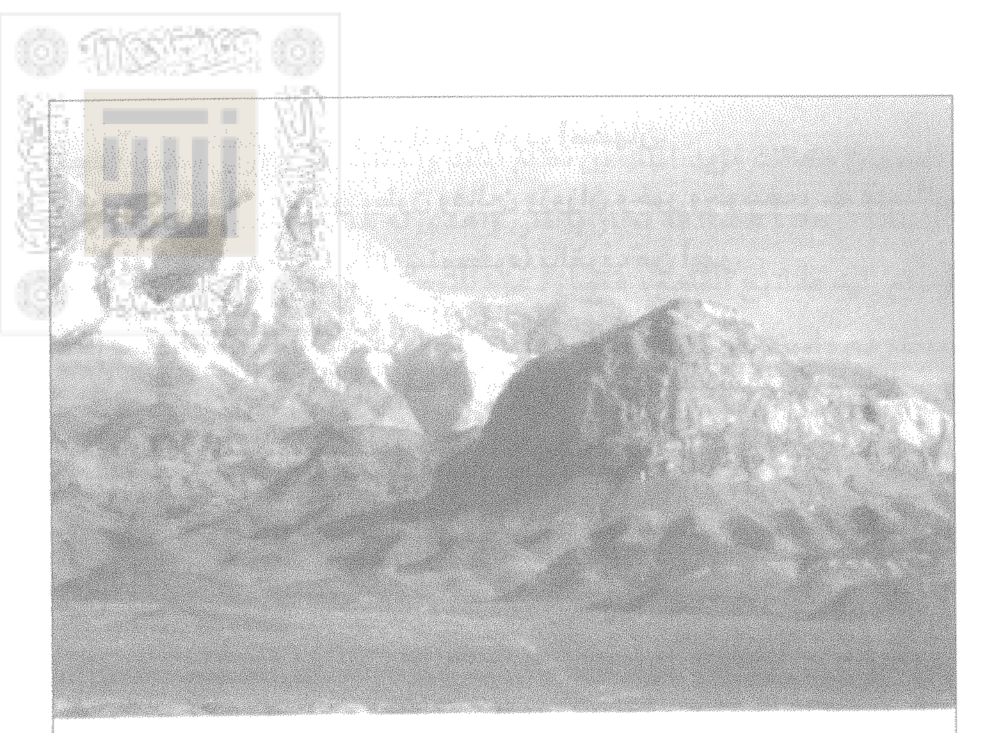
٣ - قلاع: طبس وطون وقائين وزوزان وخور وخوسف، في قهستان.

٤ - قلعة شمكوه (وسنمكوه) بالقرب من أبهر.

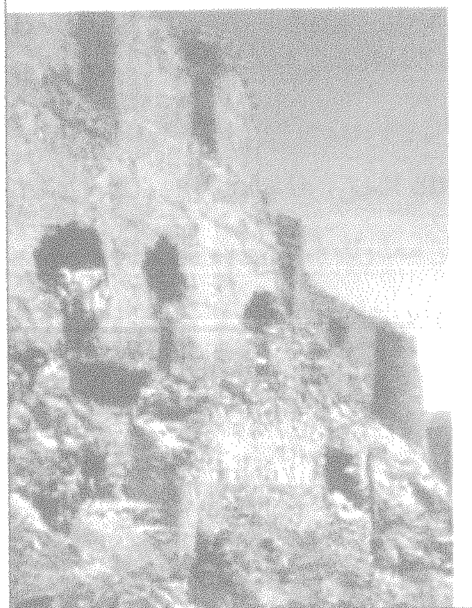
٥ - قلعة استاوند في مازندران.

٦ - قلاع أردهان (اراجان) وكردكوه والناظر في خوزستان.

٧ - قلعة جيردكوه، بالقرب من دامغان. شكل (٩).



صورة عامة لقلعة جيردكوه (في الأعلى) وأحد الجدران المتبقية الأسفل (على اليسار) وبقايا من خزان مياه الأسفل (على اليمين)





شكل (٩) صورة لقلعة جيردكوه.

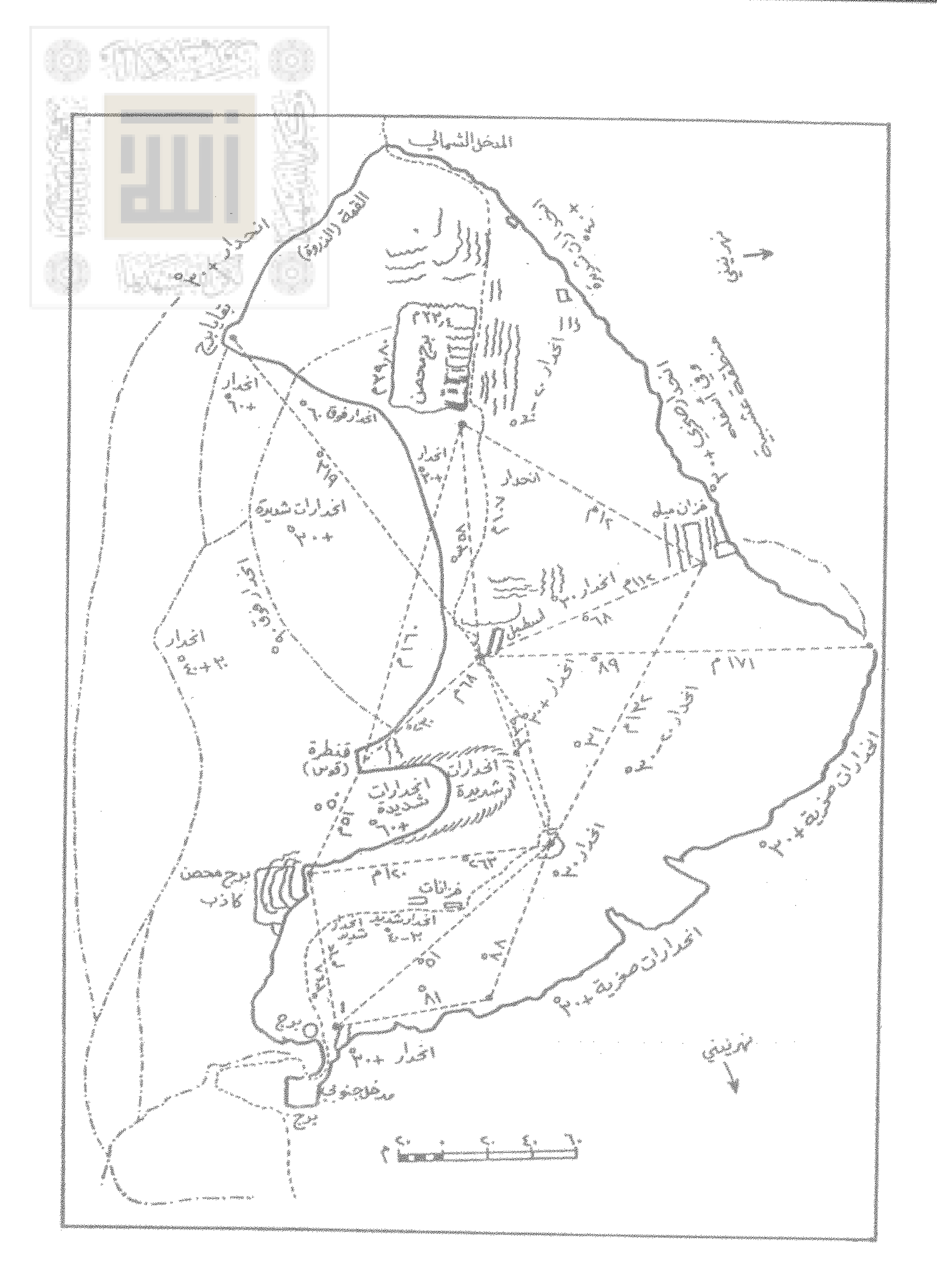
٨. قلعة الطنبور بقرب أرنجان.

٩. قلعة خلادقان (خلادخان) في فارس.

١٠ـ قلعة لامسار في مقاطعة رودبار، وقد احتلها الإسماعيليون سنة (٤٨٩هـ/١٠٩٦م). شكل (١٠).

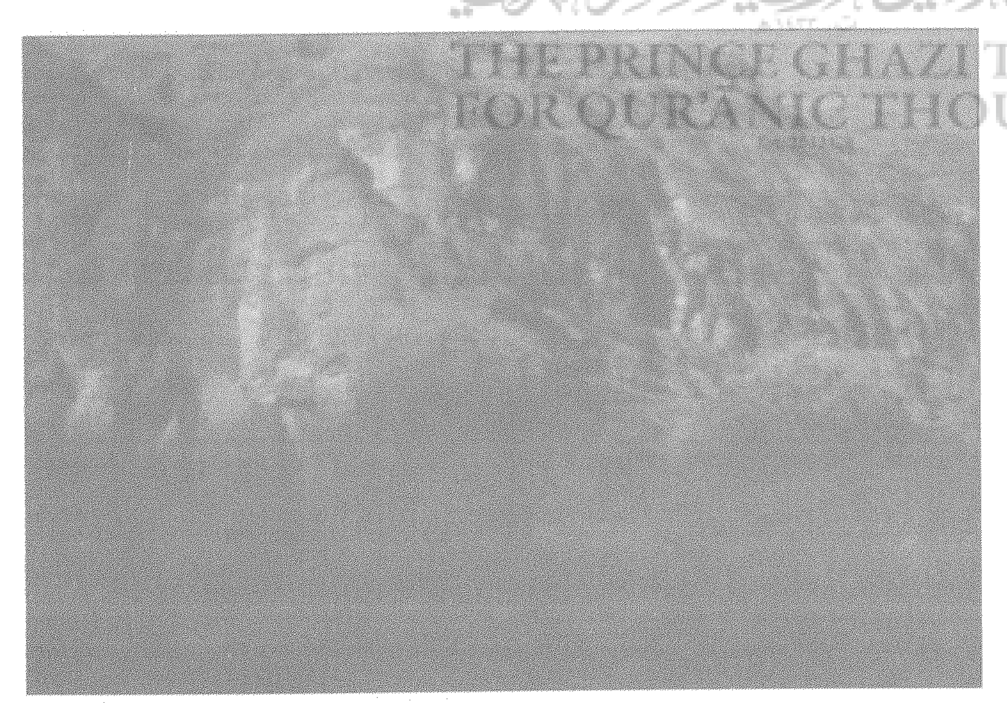


شكل (١٠.آ) صورة لقلعة لامسار



شكل (١٠ ـ ب) مخطط لقلعة لامسار

١١ ـ قلعة ميمون دز. شكل (١١) صورة لصخرة قلعة ميمون دز.



شكل (١١) صورة لصخرة قلعة ميمون دز.

ـ الحسن بن الصباح وقيام الدولة الإسماعيلية النزارية:

قامت الدولة الإسماعيلية النزارية بعد وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (الإمام الثامن عشر عند الإسماعيليين)، الذي تقلد عرش الدولة الفاطمية سنة (٤٢٧هـ/١٠٣٥م) وهو في السابعة من عمره، وحتى وفاته سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م).

وبوفاة المستنصر بالله، حدث الخلاف على من هو الأحق بالخلافة والإمامة، رغم أن الإمام المستنصر بالله قد نص كتابة قبل وفاته (سنة ٤٨٠هـ) على ابنه الأكبر نزار، إلا أن القوة التي كان يتمتع بها كبير الوزراء وقائد الجيش الأفضل بن بدر الجمالي ونقمة الأفضل على نزار وكرهه الشديد له، جعلت

الكفة تميل في مصر إلى الابن الأصغر للإمام المستنصر بالله وهو المستعلي، الذي اغتصب السلطة. ولقد ذكر (ابن الأثير) ذلك، فقال: "كان الإمام المستنصر قد عهد لولده نزار بالإمامة والخلافة سنة ٤٨٠هـ ، إلا أن الأفضل رئيس الوزراء سعى لخلعه، وبايع أخاه الأصغر أحمد المستعلي. وسبب نقمة الأفضل، إنه ركب مرة في أثناء خلافة المستنصر ودخل القصر راكباً من باب الذهب، بينما كان نزار خارجاً من نفس الدهليز، فصاح به (انزل يا أرمني، يا كلب، عن الفرس، إذا ما كنت داخلاً إلى القصر، ما أقل أدبك)، فحقد عليه، وخشي إذا ما أضحى أن يقضي عليه ويبعده عن الوزارة، فسعى لخلعه خوفاً منه وبايع أخاه المستعلي".

ولاغتصاب المستعلي السلطة بقوة الأفضل، فقد آثر الإمام نزار مغادرة القاهرة إلى الإسكندرية بدعوة من مؤيديه الكثيرين فيها، وعلى رأسهم حاكمها ناصر الدولة أفتكين والقاضي جلال الدين ابن عمار وبايعوه، ومن ثم أخذوا له البيعة من جميع أهل الإسكندرية، كما جاءته البيعة والولاء من سائر بلاد فارس وسورية وجبال الطالقان وغيرها من البلاد الأخرى والقلاع الإسماعيلية. فلما علم الوزير الأفضل بذلك خرج لقتال الإمام نزار على رأس جيش ضخم وحاصر الإسكندرية، إلا أنه دحر عنها وحلت به وبجيشه الهزيمة.. ولكنه أعاد هجومه على الإسكندرية ثانية بجيش أضخم ففتحها، والقى القبض على حاكمها أفتكين وعلى القاضي جلال الدين وعدد من رجالات الدعوة النزارية. أما الإمام نزار فهناك أربع روايات حول مصيره:

الأولى: إنه قبض عليه في أثناء فتح الإسكندرية وتم تسليمه للمستعلي الذي أمر ببناء حائط عليه فمات.

الثانية: إن الإمام نزار قتل في القاهرة سنة (٤٨٨هـ/١٠٩٥م).

الثالثة: وهي الرواية الأكثر مصداقية، إن الإمام نزار تمكن من مغادرة الإسكندرية سراً في أثناء حصارها مع ابن مصال اللكلي وخمسة من الفدائيين الإسماعيليين الذين أوفدهم الحسن بن الصباح لمرافقة الإمام نزار إلى قلعة آلموت، متوجهاً إلى بلاد فارس، ليستقر به المقام في جبال الطالقان، وليؤسس الدولة الإسماعيلية النزارية هناك.

- الرابعة: تشير الرواية الأخيرة إلى أن الإمام نزار قتل في مصر ولكن فدائية الحسن بن الصباح استطاعوا تهريب الهادي الابن الأكبر للإمام نزار واصطحابه معهم إلى آلموت.

وهكذا نجد أن مقر الدولة الإسماعيلية النزارية أصبح في بلاد فارس، وكان الحسن بن الصباح القوة العلنية الحامية لها، حيث عاش عدد من الأئمة النزاريين في ظل مدة الحسن بن الصباح وخليفته في دور الستر[1].

- الحسن بن الصباح والتزاماته الدينية:

كان الحسن بن الصباح، ورعاً، متديناً، زاهداً. رسخ أسس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في دولته، فنها عن كل ما نهى الله عنه وحرم ما حرمه، وكان متشدداً في ذلك. فلم يشرب أحد في ملكه الخمر جهاراً أو يصبها في جرة طوال خمسة وثلاثين عاماً أقامها في آلموت. وقد وصل به الأمر إلى أنه طرد من القلعة رجلاً كان يضرب على الناي، فلم يعد إليها مرة ثانية.

(1) دور الستر: هو مدة زمنية لا يعلن فيها الأئمة عن أنفسهم إلا للخاصة من حجج وكبار دعاة، ويتخفون أحياناً بأسماء معينة، وذلك بغية اتقاء شرور الأعداء الذين يهددون حياتهم ومن ثم مستقبل جماعاتهم. وهناك عدة أدوار من الستر- التي عرفت أيضاً بأدوار التقية -، يضم كل دور عدة أئمة، فدور الستر الأول شمل الأئمة الإسماعيلية (١١،١٠،٩،٨،٧)، ودور الستر الثاني بدأ بالإمام نزار (رقم ١٩) ومن ثم الإمام الهادي (٢٠) والمهتدي، والقاهر...

وتشير المصادر كافة إلى أن الحسن بن الصباح أمر بقتل ابنه الأصغر واسمه محمد لأنه اتهم بشرب الخمر.

وكان للحسن بن الصباح ابن آخر (الأكبر) واسمه حسين. وكان في قلعة آلموت علوي يقال له زيد بن حسني وقد كان يدعو لنفسه سراً، وكان قد أوشك أن يضع نهاية لأمر الحسن بن الصباح، وفي بداية الأمر قُتِلَ حسين القائيني الذي كان داعي قهستان بيد حسين الدنباوندي، فأُتهم حسين بن الصباح بدم حسين القائيني فأمر بقتل ابنه وحسين الدنباوندي، وبعد مضي عام وقف على حقيقة الأمر فقتل العلوي زيد بابنه الذي قتل.

وفي أثناء حصار جنود السلطان محمد بن ملكشاه لقلعة آلموت الذي استمر ثماني سنوات، قام الحسن بن الصباح بإرسال امرأته مع ابنتيه إلى جيردكوه، وكتب إلى الرئيس المظفر "إذا قام هؤلاء النسوة بالعمل على المغزل من أجل الدعوة فأعطهن أجر حاجتهن".

ومنذ ذلك الوقت لم يكن حكامهم يحتفظون بنسائهم إلى جانبهم في أثناء تأديتهم لوظيفتهم.

ومنذ أن صعد الحسن بن الصباح إلى قلعة آلموت سنة (٤٨٣هـ/١٠٩٠م) وحتى وفاته سنة (٥١٨هـ/١١٢٤م) مدة (٣٥م) عاماً، لم ينزل من القلعة مرة واحدة، ولم يخرج من القصر الذي كان يقيم فيه سوى مرتين، وصعد إلى سطح القصر مرتين. إذ أنه أمضى وقته داخل قصره يخطط للدعوة ويطالع الكتب، ويمارس الكتابة.

إن الحسن بن الصباح، كما أوضح الشهرستاني، قد أعاد صياغة عقيدة (التعليم) الشيعية في سلسلة من أربع قضايا، ترجمها الشهرستاني من الفارسية إلى العربية بعنوان (الفصول الأربعة) وكانت هذه القضايا تهدف في نهاية

المطاف إلى إثبات أن الإمام الإسماعيلي هو من أدى دور المعلم الصادق بعد النبي (ص).

ففي **القضية الأولى** (الفصل الأول) أعاد الحسن التأكيد على حاجة الناس إلى مرجعية أو معلم، وقصور العقل لوحده في مساعدة الناس لفهم الحقائق الدينية. وكانت هذه القضية تهدف إلى نقض مراكز أولئك الذين اعتقدوا، ولا سيما الفلاسفة، بقدرة العقل والحكم الإنساني المستقل في فهم الحقيقة الأصلية أو النهائية. وفي **القضية الثانية** يجادل الحسن، انسجاماً مع الموقف الشيعي التقليدي، إن المعلم الذي نحتاجه يجب أن يكون موثوقاً أو صادقاً. وقد نصّ، بشكل يعارض موقف أهل السنة، على أنه يجب أن يكون هناك حكمٌ واحدٌ ووحيدٌ ومعين إلهياً، وهو الإمام الحق في كل عصر. لقد وضع المعلم الصادق الوحيد هنا مقابل العلماء والفقهاء الكثر الذين قبل بهم السنة معلمين ومرشدين في كل عصر. وتكشف **القضية الثالثة** عن المازق الذي يواجهه الشيعة العاديون أنفسهم، إذ أن تحديد المعلم الصادق الوحيد في أي وقت يحتاج إلى برهان على سلطته، الأمر الذي لا يكون ممكناً إلا على أساس من السلطة الإضافية، وهي السلطة التي تحتاج بحد ذاتها إلى برهان، وهكذا. ويحاول الحسن في **القضية الرابعة** حل هذا المازق عن طريق إعادة صياغة كامل المسألة بطريقة هدفها الوصول إلى النتيجة المرغوبة. فقد أعتقد أن صدق المعلم الذي نحتاجه يمكن معرفته ليس عن طريق شيء يقع خارج ذاته، بل من خلال طبيعة المعرفة ذاتها، التي تضم مبدأً جدلياً. وبعد تأكيده على أن المعرفة الحقيقية بكاملها تتطلب مقابلة ضدين إثنين، لا يمكن أن نتعرف على الواحد إلا من خلال الآخر، ثم ينتقل الحسن الصباح إلى تطبيق هذا المبدأ الجدلي على العلاقة بين الشخص الفرد الذي يرغب بالمعرفة والمعلم الصادق الذي عليه اكتشافه. حيث إن تفكير الفرد يمكّنه من إدراك حاجته

إلى التعرف على المعلم الصادق، لكن التفكير وحده لا يقرر من يكون ذلك المعلم، ولا يوصله إلى الحقيقة الأصلية أو النهائية. من جهة أخرى، فأن صاحب مركز الصدق النهائي، أي الإمام، لا يحتاج إلى إثبات مزاعمه عن طريق اللجوء إلى أي برهان يقع خارج ذاته. لكن اقتراناً بين تفكير الفرد والمعلم الصادق يحل المأزق. إن تفكير الفرد يُظهر، كما أسلفنا، حاجته إلى تعليم المعلم الصادق، أي الإمام. وعندما يصل التفكّر إلى هذه النقطة، يصبح بإمكان الإمام تقديم نفسه مصدراً وملبياً لهذه الحاجة.

وطبقاً لذلك، فإن الإمام الحق لا يسعى إلى إيجاد براهين خارجية على صدقه أو إمامته، وهي المثبتة بوجوده هو وحسب. فالإمام قادر بالفعل، من خلال وجوده بحد ذاته، على تلبية الحاجة التي يمكن البرهان عليها من خلال التفكير وحسب. وبالنسبة لحسن الصباح، فأن ذلك الإمام، الذي لم يكن بحاجة إلى اللجوء إلى المعجزات أو الإشارة إلى نسبه، هو الإمام الإسماعيلي، الذي كان مجرد وجوده وحقيقة مزاعمه براهين كافية على شرعيته.

إن عقيدة (التعليم) التي قدمها الحسن بن الصباح كانت أكثر تشدداً وكفاية بنفسها من وجهة النظر الشيعية التقليدية في الموضوع. وقد أكد الحسن في جدله المتسق على دور الإمام، مع وجود النبي بصفته حلقة في السلسلة المنطقية الواصلة من الإله إلى الإمام. وأصبحت هذه العقيدة التي تؤكد على السلطة التعليمية المستقلة ذاتياً لكل إمام في عصره، أداة إيديولوجية قوية في يد الجماعة النزارية من عصر آلموت المتأخر. في غضون ذلك، وفي ظل غياب إمام يمكن الوصول إليه، فإن سلطة الجماعة اعتمدت على حجته، وكان الحسن نفسه هو تلك الحجة المعترف بها. وأصبحت عقيدة (التعليم) بالشكل الذي أعاد فيه صياغتها الحسن الصباح وآخرين، مركزية بالنسبة للفكر النزاري المبكر إلى الحد الذي أصبح فيه أتباع الدعوة النزارية

يعرفون باسم (التعليمية). وقد تركت عقيدة (التعليم) النزارية انطباعاً قوياً على أهل السنة أيضاً، وهم الذين كان العديد منهم لا يزال يعدّ الإسماعيليين أعداءهم الرئيسيين. وقد استجاب عدد من كتّاب السنة لهذا التحدي الفكري الذي فرضته تلك الفرقة الإسماعيلية الجديدة المتفرعة، وهاجموا عقيدة (التعليم) بشكل خاص. وكان الغزالي أسبق من سبق وربما أقدم مفكر سني من تلك المجموعة. فقد كتب عدة رسائل ضد الإسماعيليين وخصص اهتماماً متميزاً لنقض عقيدة (التعليم) في كتابه (المستظهري) وفي رسائل أخرى.

. الحسن بن الصباح والتنظيمات الفدائية:

بجانب القسم الخاص بالدعاية الدينية في الدولة الإسماعيلية النزارية، أوجد الحسن ابن الصباح قسماً خاصاً بالفدائية والجيش، كان مرتبطاً بالحسن بن الصباح مباشرة، ويتلقى الفدائية الأوامر والمهمات السرية منه مباشرة.

وكانت الفدائية على ثلاث مراتب وهي:

١. **مرتبة الرفاق أو المقدمون:** وهم قادة الجيش والذين يشرفون على تدريب الفدائية، ويسهرون على تنفيذ المهمات العسكرية وغير العسكرية.

٢. **مرتبة الفدائيين:** وهم ينتقون من العناصر المختلفة المعروفة بالتضحية والإقدام والشجاعة النادرة والجرأة الخارقة. ويكلفون بالتضحية الجسدية وبتنفيذ أوامر الإمام أو نائبه.

٣ ـ **المستجيبون:** وهم الذين يكونون في مرحلة التدريب والتعلم، وفي سن مبكرة من عمرهم. حيث أعدت لهم مدارس خاصة بهم (مدارس فدائية) لتدريبهم وتعليمهم على أيدي كبار المقدمين.

لم يكن الفدائيون هم القوات الإسماعيلية برمتها أو جيش الإسماعيلية، وإنما نخبة خالصة الإيمان من الإسماعيليين الذين نذروا أنفسهم في سبيل الدفاع عن عقيدتهم والذود عن كرامتهم وكرامة أهلهم، والعمل بكل تفان

لما يطلبه منهم قادتهم، وعلى رأسهم الإمام ونائبه في بلاد فارس الحسن بن الصباح.

ولقد أطبقت شهرة الفدائية وأعمالهم الخارقة الآفاق، وتجنى عليهم الأعداء، وأنصفهم العلماء بالحقيقة والصادقين العارفين ببواطن الأمور، وحلق بهم خيال الباحثين عن المجد والشهرة.

إن سر تضحية الفدائي الإسماعيلي بدمه وجسده، يعود إلى اعتقاده الراسخ بولاية الإمام، ومن أن من يضحي بنفسه في سبيل عقيدته، لهو من المحببين عند الله، والذي سيكون مثواه بعد شهادته في جنات عدن الموصوفة في القرآن الكريم. وأول من أوجد هذا النظام العسكري في التاريخ هو الحسن بن الصباح، وقد ترتب عليه، إن اهتزت عروش الملوك من مجرد السماع بالفدائية الإسماعيلية، وارتد الطغاة إلى نحورهم. فلم يعرف التاريخ حتى يومنا الحالي قوة كقوة فدائية الحسن بن الصباح، وجرأة وإقداماً وتضحية كما تجلت في الفدائي الإسماعيلي.

إن فدائية الحسن بن الصباح شكلوا مدرسة إنموذجية للتضحية في سبيل الله والعقيدة والوطن. وها هي المجموعات الفدائية في فلسطين في عصرنا الحديث تقليداً وامتداداً لفدائية الحسن. وكم هو الشبه كبير بين مقاومة حسن نصر الله وفدائيته في لبنان ضد العدو الصهيوني، وفدائية الحسن بن الصباح ضد العدو السلجوقي الذي كان أشد عدوانية ضد الإسماعيلية، من عدوانية الصهاينة على العرب وكذلك عدوانية المغول عند اجتياحهم لمناطق الإسماعيلية.

ولا أرى من نفع أو فائدة لسرد ما رويت من قصص حول جنة الحسن بن الصباح الأرضية - كما تخيلها البعض - والحشيشة (المخدر). ولا يعقل لمن يفقد عقله وتشل حركته من تعاطي المخدر أن يكون فدائياً ينفذ بدقة وقوة

وشجاعة ما يطلب منه من مهام شاقة. ولا يصدق أن يكون الحسن بن الصباح الذي حرم على الإسماعيلية شرب الخمر، وقتل ولده لتناول الخمر، أن يسمح لجماعته بتعاطي المخدرات التي هي أشد فتكاً بالعقل والجسم.

والفدائي الإسماعيلي، رجلٌ تم إعداده عقائدياً وجسدياً، كما تم تدريبه على مختلف أنواع الأسلحة التي كانت معروفة في عصره. بجانب تعلمه لعدة لغات ولهجات، وخاصة لغة الأعداء.

كما أتقن استعمال الأحرف (الرموز) السرية، وتعلم كيفية التنكر بتقمصه شخصيات متنوعة. وفوق ذلك كان الصبر من شيمته، وعدم البوح بأسرار قادته ودولته رمز تضحيته.

لقد استطاع الحسن بن الصباح بما أوتي من علم بالدين والفلسفة وبما رزق من موهبة عسكرية، أن يبث في عقول أتباعه العقائد التي تدفعهم إلى الأقدام بشجاعة على الموت. كما تمكن من ابتكار تنظيم محكم الأركان يستطيع أعضاؤه القيام بالعمليات الفدائية التي كان يديرها الحسن بن الصباح بذكاء وحنكة بالغتين. ولقد أسفرت هذه العمليات عن زرع الرعب والإرهاب خلال وقت قصير في أوصال الدول السلجوقية وبلاط الخلافة العباسية الخصمين الرئيسين للحركة الإسماعيلية. حتى أن المغول حسبوا ألف حساب للقوة العسكرية الإسماعيلية عند تفكيرهم بمهاجمة معاقلهم، وعانوا في سبيل ذلك معاناة كبرى.

ولم يكن الفدائيون هم القوة العسكرية الإسماعيلية فقط، وإنما النخبة منهم الذين آمنوا بالشهادة طريقاً إلى جنة الخلود. وكان الفدائيون يتسابقون إلى الموت سباقاً عقائدياً.

ولقد وجه الفدائيين باتجاه رموز الشر والقتل، ولهذا وجهوا خناجرهم أولاً إلى القادة والأمراء الذين كانوا يلحقون بالإسماعيلية القتل والتدمير والمجازر

الجماعية، وثانياً إلى علماء الدين السنة المتطرفين والمتعصبين والمحرضين في خطبهم ودروسهم على الإسماعيليين.

إن شجاعة الفدائيين وإقدامهم العجيب على طلب الموت، أربك المؤرخين والمحللين السياسيين والعسكريين، ورجال الدين في إيجاد التفسير العلمي، والوقوف على الحقيقة المجردة. ولن نحاول فلسفة الموضوع، والانحياز في تحليلنا وتفسيرنا، ما دمنا أمام طبق جاهز فيه ما يشبع طموحنا للمعرفة بما نبتغي معرفته معرفة عقلية، قدمه (محمد الخشت) في كتابة (حركة الحشاشين)، وذلك بقوله: «والتفسير الصحيح من وجهة نظرنا ينطلق من تسليمنا بأن الفكر هو موجه السلوك، وبالتالي فإنه يمكننا أن نقف بكل سهولة على تفسير سلوك الفدائي في تضحيته بحياته، إذا ما وقفنا على مكونات فكره التي استطاع أن يشكلها الحسن بن الصباح تشكيلاً يجعل الفدائي ينفذ أوامره غير آبه بما يترتب على ذلك من نتائج.

الموقف الذي ينطلق منه الفدائي بصفة خاصة وعضو حركة الحشاشين بصفة عامة، هو القلق والشعور بالخيبة إزاء الواقع الذي يجد نفسه ملقى فيه: الواقع الذي يعيش فيه كنفس مقيدة في بدن، وكفردية مؤطرة في مجتمع حيث لا يلقى إلا ما ينغّص ويكدر، إلا ما يجعله يشعر بأنه محاصر ومستعبد، فيبدو العالم له شراً كله وتصبح مشكلته الأساسية هي مشكلة الشر في العالم: لماذا كان العالم يحتوي على الشر؟ لماذا يطغى فيه الشر، وما مصدره؟. من الوعي بهذه الوضعية" يبدأ موقف عضو الحركة، ومن إعلان رفض هذه الوضعية ينطلق: أولاً بإبداء التضايق والشكوى منها، ثم بإعلان الكراهية والعداء لها، انتهاء بالتشهير بها والتمرد عليها. والفدائي إذ يرفض هذه الوضعية بوصفها واقعاً خارجياً يرفضها أيضاً كشعور داخلي: يرفضها كشروط حياة ويرفض نفسه كوجود خاضع لهذه الشروط. ومن هنا إحساسه

بالغربة بصورة مضاعفة: يشعر بنفسه غريباً في عالم يراه غريباً عنه تماماً، فيتجه إلى تمييز نفسه عن هذا العالم، إلى الانفصال عنه والقطيعة عنه. ومن هنا ذلك الميل الجامح الذي يستولي على العارف ويذكي شوقه إلى الرحيل عن هذا العالم، إلى التحرر من قبضته وقيوده والرحيل بعيداً عنه إلى حيث يسترجع كامل حريته، كامل امتلاكه لنفسه. هكذا تقترن لدى الفدائي رغبة جامحة في أن يكون نفسه، في أن يستعيد الانتماء إلى نفسه، في أن يلتحق بعالم آخر، عالم متعالٍ عن المكان والزمان، عالم الحياة الحقيقية، عالم الطمأنينة والكمال والسعادة، العالم الذي كان فيه وأخرج منه والذي سيعود إليه. وهو يستقي معرفته بذلك العالم الآخر لا من خلال تأمل العالم الدنيوي، وكيف يمكن أن يجد فيه الجواب وهو عالم غريب كله شر؟ ولا باستعمال حواسه وعقله، وكيف يمكن أن يعتمد عليهما وهما مرتبطان بهذا العالم؟ وإذن فلا يبقى إلا أن يطمع في أن يتلقى المعرفة التي يبغيها من القوى العليا التي هو مشدود إليها ويسعى للالتحاق بها، ولكن هذه القوى العليا لا تعطي علمها الغيبي إلا لإمام الزمان. ومن هنا فإن الفدائي يسلم نفسه تماماً إلى هذا الإمام أو من ينوب عنه، فيقوم الإمام أو نائبه باستغلال هذا الموقف فيدفع بالفدائي ورغبته في الخلود والرجوع إلى موطنه الأصلي إلى أقصى مدى. إن الإمام يقدّم له تاريخ ما قبل تاريخه وما بعده، فيعرف منه أنه كان موجوداً قبل وجوده الراهن في العالم، وأنه جاء إلى هذا العالم من عالم آخر يقع خارج هذا العالم ويسمو على تحدياته الزمانية والمكانية. هكذا يقتنع بسهولة، أو لا يفتأ يقنع نفسه باستمرار، أنه ينتمي بطبيعته إلى عالم آخر: عالم الخلود.

وانطلاقاً من هذا التصور يقتنع الفدائي بأن وجوده الراهن في هذا العالم شيء غير طبيعي، وبالتالي فلابد أن يكون هذا السقوط الذي أصابه، والذي يتمثل في مغادرته عالم الخلود والارتماء في هذا العالم المملوء شراً، لابّد أن

يكون نتيجة لذنب، نتيجة لخطيئة. وإذن فلابد من تدارك الموقف، لابدّ من العمل من أجل الخلاص. وهكذا يزداد شوقاً وحنيناً إلى العودة إلى حالته الأصلية.

إنه يتصور البعث والنشور على أنه رجوع إلى حال سابقة سامية، حال من الحرية الفكرية، حال ينزع فيها عنه جسده، ليعود إلى الحال التي كان عليها قبل ميلاده، لا بل قبل تكونه الجسماني. إنها النشأة الأخرى، أو الميلاد الجديد.

وبعد أن عرف الفدائي من أين أتى وعرف أن مصيره الحقيقي الذي سيتحرر فيه من سجن هذا العالم هو الرجوع إلى حيث أتى؛ ففي هذا الرجوع - وفيه وحده - يكمن خلاصه.. بعد أن عرف إلى أين، لا يبقى إذن إلا أن يسلك الطريق، وسلوك هذا الطريق لا يكون إلا تحت رعاية الإمام وتوجيهه، والخضوع له خضوعاً مطلقاً وفقاً لمبدأ التعليم الذي يقوم بدوره على التسليم التام لكل ما يصدر عن الإمام أو المعلم الصادق من أوامر، حتى أنه - كما يقول نصير الدين الطوسي في التصورات - "لو أراد له الحياة لما أحب الموت. ولو أراد له الموت لما أحب الحياة، ولو قال له إن النهار المشرق ليل بهيم أو أن الليل البهيم نهار مشرق لما هجس في قلبه أي اعتراض على هذا القول، ولما حام حول كيف يكون الأمر كذلك ولماذا. فينعدم اختيار الإنسان الناقص الجاهل وإرادته باختيار الإنسان الكامل العاقل وإرادته".

ومن هنا فإن الإمام أو المعلم الصادق عندما يأمر الفدائي بأن يغتال إحدى الشخصيات المناوئة للدعوة، والتي تمثل من وجهة نظره أحد رموز الشر ومصادره في هذا العالم، فإن الفدائي يسارع بتنفيذ الأوامر الصادرة إليه رغم أنه يعلم أن تلك العملية ستودي بحياته الدنيوية، وهو يفعل ذلك انطلاقاً من رغبته الجامحة في المساهمة في القضاء على الشر المسلط على هذه الحياة

الدنيا، وشوقاً في الصعود إلى عالم الفردوس والخلود الذي آمن به من قبل أنه لن يمكنه بلوغه إلا بأن يخلع عنه قميص جلده، فيتحرر من بدنه، ومن كل ما يشده إلى هذا العالم)).

. جنة الحسن بن الصباح الخيالية:

لم يصدق كثيرون بطولات وتضحيات الفدائيين الإسماعيليين، أن تكون من أشخاص أسوياء بكامل قواهم العقلية، وهم يؤثرون الحياة الآخرة على الحياة الدنيا. ولكن هذا الإيثار هو في سبيل الله وممثله في الأرض الإمام، وبتوجيه من نائب الإمام في فارس الحسن بن الصباح. أليس صاحب هذا الإيثار (الفدائي) موعوداً بالجنة التي ملؤها السماوات والأرض، مادام الشهيد حياً يرزق عند ربه، لما في قوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون﴾. وليتوقفوا عند قصص خيالية ابتدعها هذا وذاك، للتقليل من أهمية الإيمان.

ومن أبرز تلك القصص القصة التي وضعها الرحالة (ماركو بولو) في وصفه للجنة في وادي ألموت التي تشبه الجنة المذكورة في القرآن الكريم، بقوله: "كان شيخهم يسمى علاء الدين وقد أمر بإقامة سور على اخدود بين جبلين ثم غرسه بالأشجار وحوله إلى حديقة غناء، هي أجمل ما رآته الأعين ووقعت عليه الأبصار، وهي مليئة بمختلف الفواكه وأطيب الثمار، وأقام فيها القصور والجواسق مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وقد طلاها بالذهب ونقشها بأجمل النقوش، وجعل بها قنوات تفيض بالخمر واللبن والعسل والماء، ووضع فيها جملة من أجمل نساء العالمين وأرق الفتيات وجعلهن يعزفن على مختلف الآلات، ويغنين بأعذب الأصوات، ويرقصن أروع الرقصات. وقد شاء شيخ الجبل بذلك أن يجعل الناس يعتقدون أن حديقته هذه ما هي إلا الجنة بعينها، فأنشأها على

النمط الذي صوره لهم الدين الإسلامي وجعلها روضة غناء، تجوس خلالها أنهار تفيض بالخمر واللبن والعسل والماء، وملأها بالجميلات الفاتنات من النساء اللائي لا هم لهن إلا الترفيه عمن بها من نزلاء، ومن أجل ذلك فإن الأعراب الذين يقطنون هذه الأرجاء، يعتقدون أنها حقاً الجنة التي وعد بها الأتقياء. ولم يكن يسمح لأحد من الناس أن يدخل هذه الحديقة إلا من شاء أن يجعلهم من حشاشيه، وكان على بابها حصن منيع يستطيع أن يرد هجمات الناس أجمعين. ولم يكن لها مدخل سواه، وكان يحتفظ في قصره بعدد من الغلمان تتراوح أعمارهم بين الثانية عشرة والعشرين، ممن يلمس فيهم حب الجندية والقتال، وكان دأبه أن يقص عليهم أقاصيص عن الجنة كالتي كان يقصها النبي محمد (ص) على أتباعه فيصدقونه فيما يقول، كما صدق العرب نبيهم، ثم يأذن لهم بعد ذلك في دخول الحديقة أربعة أربعة أو ستة ستة أو عشرة عشرة، ولكنه يسقيهم قبل ذلك مزيجاً من شراب خاص ينامون على أثره، فإذا انطبقت جفونهم وغلبهم الكرى أمر أتباعه أن يحملوهم ويضعوهم في داخل الحديقة، فإذا أفاقوا وجدوا أنفسهم داخل هذه الروضة الغناء.

ومتى أفاقوا من غفوتهم ووجدوا أنفسهم في هذا المكان الرائع، ظنوا أنهم في جنة الخلد، ثم تقبل النساء والفتيات بعد ذلك على هؤلاء الفتيان فيلاعبنهم ويشفين رغباتهم، ويظفر الرجال منهن بما يرغبون، فلا يشاءون بعد ذلك أن يتركوا هذا المكان المشحون بالفتن واللذائذ.

وكان هذا الأمير الذي نسميه بـ (الشيخ) يقوم بتنظيم قصره بشكل رائع جميل، وقد تمكن من أن يجعل رجال الجبال السذج الذين يحيطون به يعتقدون اعتقاداً جازماً بأنه نبي عظيم، فإذا شاء أن يبعث واحداً من هؤلاء (الحشاشين) في أية رسالة، فإنه يسقيه من هذا المزيج الذي تحدثنا عنه، فإذا غلبه الكرى حملوه إلى القصر، حتى إذا أفاق الشاب لم يجد نفسه في تلك

الجنة التي شفى فيها غلته وأشبع فيها نهمته، بل يجد نفسه داخل القلعة، ثم يدخلونه بعد ذلك على شيخ الجبل فينحني أمامه في احترام بالغ كأنه في حضرة رسول كريم ونبي عظيم. فيسأله الأمير من أين أتى..؟ ويجيب الفتى بأنه أقبل من الجنة، وإنها لشبيهة بما أنزل على (محمد)، ويستمع الآخرون الذين لم يؤذن لهم في دخول هذه الحديقة إلى هذا الحديث فيتحرقون إلى الدخول فيها والتمتع بما بها..!!.

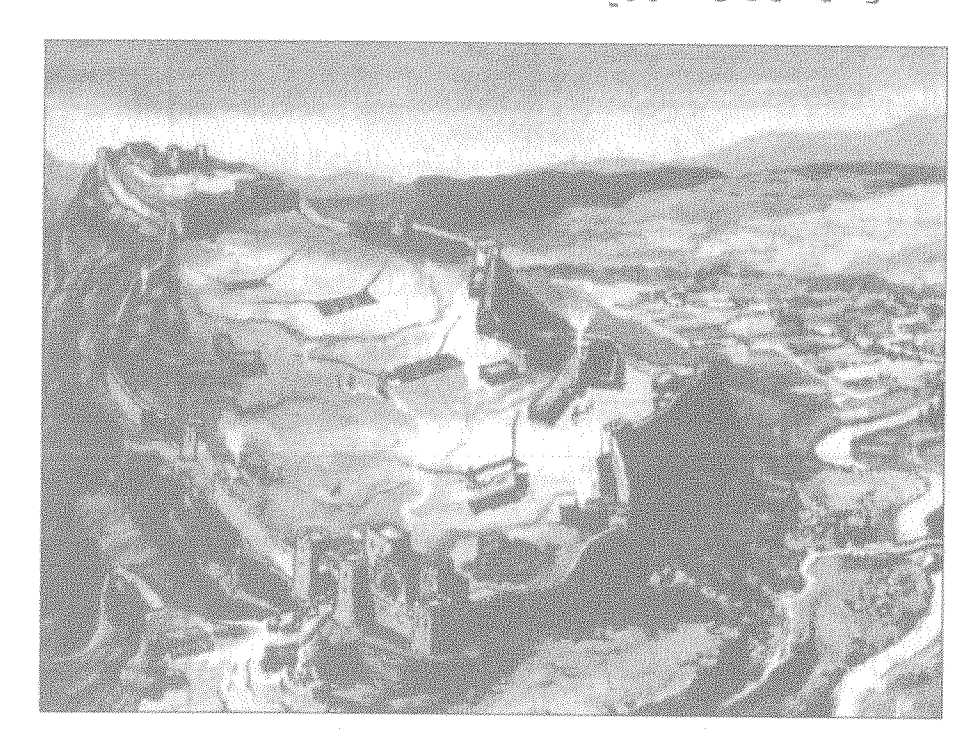
فإذا شاء شيخ الجبل أن يقتل أي أمير من الأمراء فما عليه إلا أن يقول لواحد من هؤلاء الشبان: اذهب واقتل فلاناً. ومتى عدت فسيأخذك جماعة من ملائكتي إلى الجنة، أما إذا مت فسأبعث إليك بهم ليحملوك إليها. وكانوا يصدقونه فيما يقول، ومن أجل ذلك فقد كانوا يلقون بأنفسهم في أشد المخاطر وأكثرها تهلكة لكي ينفذوا جميع أوامره ولكي يعودوا بعد ذلك إلى الجنة التي تتحرق إليها أنفسهم، واستطاع الشيخ بذلك أن يجعل رجاله يقتلون أي شخص يريد التخلص منه، واستطاع أيضاً بواسطة الرعب الذي ينزله في نفوس الأمراء أن يجعلهم جميعاً يدفعون له الجزية عن طيب خاطر حتى يكون معهم في سلام ووئام».

إن هذه الجنة الأرضية الخيالية التي رسمها (ماركو بولو) من مخيلته وصاغها بجنوحه، ووصفها من أحلامه، وتناقلتها أقلام الكتاب أعداء الإسماعيلية، وأصبحت قرينة عند البعض ضد الإسماعيلية، والإسماعيلية من ذلك براء. فهل يعقل الحسن بن الصباح الرجل الزاهد، المتعبد، المتصوف، العادل... أن يصنع في أرضه ذلك، إن كان ممكناً والظروف مواتية.

وماركو بولو، لم ير جنة عندما زار المنطقة ـ كما يذكر ـ في سنة (٦٧٣هـ /١٢٧٤م) وذلك بعد وفاة الحسن بن الصباح بنحو (١٢٨) سنة، وبعد تدمير هولاكو لكل منجزات الإسماعيلية عند احتلاله لمعاقلهم واجتياحه أراضيهم

في سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م). وجيوش هولاكو كالجراد لم يتركوا في طريقهم أخضر ولا يابس.

ليس هذا فحسب، بل أن وادي آلموت الذي تتوافر فيه المياه للري، وذو التربة الخصبة، والسعة الجيدة، لا تسمح ظروفه المناخية مطلقاً بوجود مثل تلك الجنة المزعومة، والوادي جبلي يزيد ارتفاعه عن سطح البحر على (٢٠٠٠م) ودرجة حرارته تنخفض ليلاً إلى ما دون التجمد لمدة نحو (٦) أشهر في السنة، ولا ترتفع درجة الحرارة النهارية خلال تلك المدة فوق (٢٠°م)، كما أن كمية الأمطار لا تتجاوز سنوياً (٣٠٠) مم في الوادي. فكيف تنمو أشجار الفاكهة من عنب وتين وتفاح.. الخ، ومن أين يؤتى بالعسل ويصعب على النحل أن يعيش هناك. وكيف يعيش الحواري الجميلات الفاتنات في جو الشتاء القارس البارد.



شكل (١٢) صورة تخيلية لقلعة آلموت

إن الجنة التي وعد الحسن بن الصباح فدائيته، هي جنة المؤمن التي ينالها بالتضحية في سبيل العقيدة، والتي ينعم بها بالشهادة لا بالخمر والنساء والمخدر (الحشيش). والفدائي الإسماعيلي لم يتناول الخمر فكيف له بالحشيش، ولفظة الحشيش التي ألصقها الأعداء بهم هي مشتقة من الكلمة الأجنبية أساسين (Assassain) والتي ترجمت إلى العربية خطأ (الحشاشين) وهي تعني الحسنيين أي أتباع الحسن بن الصباح[1].

. صراع الحسن بن الصباح مع السلاجقة:

لم يكن صراع الحسن بن الصباح مع السلاجقة صراعاً عقائدياً محضاً، وإنما صراع وجود بالدرجة الأولى. فالسلاجقة الأتراك محتلون للأراضي الإيرانية وغرباً الأراضي العربية في المشرق العربي، بينما كان الحسن بن الصباح رجلاً داعياً إلى مذهب إسلامي آمن به، ويدعو إليه بالحجة والبرهان، لا بالسيف والإرهاب. ولم يكن يسعى لمعاداة أحد، وإنما للعيش وأتباع مذهبه بأمن وآمان، آمن وأيقن بأنهما لن يتحققا إلا إذا كان قوياً ومنيعاً.

لقد شكل دخول الحسن بن الصباح إلى قلعة آلموت واحتلاله إياها، وانتشار الدعاة الإسماعيلية في مناطق عدة من بلاد فارس، وانضمام القرى المحيطة بالقلعة إلى الإسماعيلية، بداية ناقوس الخطر الذي بات يهدد الدولة السلجوقية ورأس الأفعى فيها العدو اللدود للإسماعيلية وللحسن بن الصباح الوزير نظام الملك في حكومة السلطان ملكشاه الذي كان مستمراً في تأليب السلطان ضد الحسن بن الصباح، خاصة وأن قلعة آلموت أهم قلاع الإسماعيلية

---

[1] الحشاشين: إما نسبة إلى الحسن بن الصباح ـ كما وارد أعلاه ـ . أو نسبة إلى معاناة الإسماعيلية في أثناء محاصرة قراهم وقلاعهم من قبل أعدائهم لمدة طويلة، مما كان يضطرهم للبحث عن حشائش الأرض ليجدوا فيها ما يقتاتون به. أو أنها محورة من: عساسون، الذين يقضون الليالي في حراسة حصونهم وقلاعهم.

وأحصنها، مما جعل السلطان ملكشاه يعد العدة ويجهز الجيش لاحتلال القلعة والقضاء على ابن الصباح. شكل (١٣).

وأول ما فعله السلطان ملكشاه إرسال رسالة إلى الحسن في أواخر سنة (٤٨٣هـ) يدعوه لتسليم القلعة والمثول بين يديه وإذا لم يفعل فستكون النتيجة تدمير القلعة وإبادة من فيها. وقد عثر على الرسالة ضمن مخطوط إسماعيلي فارسي اسمه (مجالس المؤمنين) للقاضي نور الله شوشتري من علماء الإمامية في القرن العاشر للهجري، وفيما يلي نص الرسالة وجوابها:

١. نص رسالة ملكشاه إلى الحسن بن الصباح:

"أنت يا حسن الصباح قد أظهرت ديناً جديداً، تخدع به الناس، وتغريهم على الخروج على والي الزمان، وجمعت نفراً من جُهال الجبال تكلمهم على مقتضى طبعهم، فيذهبون ويغتالون الأبرياء، وتطعن في الخلفاء العباسيين الذين هم خلفاء الإسلام، وقوام الملك والملة، وبهم يوثق نظام الدين والدولة، فهلا خرجت عن هذه الضلالة وتركت هذه الغواية، وانضويت تحت راية الإسلام، إن جيوشي متوقفة على مجيئك، أو مجيء جوابك، وعليك أن ترحم نفسك ونفوس أتباعك، ولا تلق نفسك ونفوسهم إلى التهلكة، ولا يغرنك منعة قلاعك، وعليك أن تعلم أنه لو كانت قلعتك (آلموت) برجاً من بروج السماء لهدمنا أركانها بعون الله سبحانه وتعالى".

شكل (١٣). آلموت ورودبار، وموقع قلعتي آلموت ولامسار، وطرق المواصلات القديمة

٢. جواب الحسن بن الصباح:

"عندما وصل الصدر الكبير ضياء الدين خاقان إلى زاويتنا، وبلّغ مقالة السلطان إليّ، وضعتها على الرأس والعين، ورفعت رأسي زهواً من الفخر والشرف، لقد فسح لي المجال لإظهار اعتقادي، وإني لأرجو من السلطان أن يصغي إلى كلامي، ولا يشاور في أمري الذين يعلم أنهم من أعدائي، سيما نظام الملك، وعليه أن يتحقق ما أنا عليه من الصدق الذي ليس عليه مزيد، وإن رجعت أنا عن ذلك كنت كمن رجع عن الإسلام وعصى الله ورسوله، وإن خشيت من شيء فهو خشيتي من أن يكون السلطان قد سمع كلام الأعداء، وكيف لي بمقاومة خصم عنيد يستطيع أن يضع الحق مكان الباطل والباطل مكان الحق، ولابد لي الآن من وصف حالي:

كان أبي رجلاً مسلماً على مذهب الشيعة الاثني عشرية، ولما بلغت أربع سنين أرسلني إلى المدرسة لتحصيل العلوم والمعارف، وحين مضى أربع عشرة سنة من عمري حذقت في علمي القرآن والحديث، ثم لاح لي مرض الدين، فوجدت في كتب الشافعي روايات عديدة في فضائل آل النبي صلوات الله عليهم، فوجهت خاطري نحوهم وعنيت في طلب إمام الوقت حتى جرّتني تكاليف حكام الزمن إلى أمور الدنيا التي يعظمها الناس، ومن أجل هذا نسيت جدي الأول وشوقي الأمثل، وجعلت جُلّ همي في أمر الدنيا وخدمة الناس،وألقيت وراء ظهري أمر الخالق، ولما كانت هذه الحالة لا ترضي الله سلط عليّ الأعداء، فأخرجوني مضطراً من ذلك الأمر، فكنت أفر من مدينة إلى مدينة ومن مهمةٍ إلى مهمةٍ، حتى تعبت كثيراً كما لا يخفى على السلطان ونظام الملك، ولما نجاني الله تعالى من هذه الورطة سالماً وعلمت أن التوجه إلى الخلق والتنكب عن الحق لا يثمر غير هذا، قمت في أمر الدين وطلب الآخرة، وسافرت من الري إلى بغداد حيث أقمت مدة فيها درست خلالها أحوالها

وتفحصت عن حال الخلفاء وأئمة الإسلام، فوجدت الخلفاء العباسيين عارين من كل مروءة وخالين من مرتبة الفتوة، وعلمت أن الإسلام والدين لو كانا مبنيين على إمامتهم وخلافتهم، إذن الزندقة والكفر أولى، ثم ذهبت من بغداد إلى مصر وفيها خليفة الحق الإمام المستنصر فدرست حاله وقابلت بين خلافته وخلافة العباسيين، وإمامته وإمامتهم، فوجدته أحق بالخلافة منهم، فأقررت به وبرئت بكل الوجوه منهم ومن خلافتهم، ولما علم الخلفاء العباسيون بما أنا عليه، أرسلوا نفراً ليأخذوني في الطريق ثم نجاني الله منهم، ووصلت سالماً إلى مصر، ثم أرسلوا مقدار حمل ثلاثة بغال ذهباً إلى أمير الجيوش بمصر ووعدوه بأموال كثيرة أخرى إذا تمكن من الحسن أو من رأسه، ولما كانت عناية خليفة الحق والإمام المستقر المستنصر بالله شاملة بي، نجوت من هذه المكيدة أيضاً، ولما ألب العباسيون أمير الجيوش عليّ رشحوني للذهاب إلى الروم ودعوة كفار الإفرنج، وبلغ هذا الخبر إلى سمع الإمام فجعلني في كنفه ووكل إليّ دعوة الناس إلى الصراط المستقيم، وإعلامهم بإمامة خلفاء مصر وحقيقتهم، فما رأي السلطان بالآية: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾، وهل يحمل علي سماع كلامي، وقام على دفع شرهم عن المسلمين، كما قام السلطان محمود غازي سبكتكين على دفع شرهم وأذاهم. "

وأما ما قلتم من أنني أظهرت ديناً جديداً، فنعوذ بالله من أن أظهر ديناً جديداً، أنا أدين بدين أصحاب رسول الله،ذلك هو الدين القيم إلى يوم القيامة، ديني دين الإسلام والمسلمين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وأن أولاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أحق بخلافة أبيهم من أولاد العباس.

إنك بعد أن أرسلت جيوشك من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، ومن محاذاة قطب الشمال إلى الهند سلمت لك كل هذه الممالك، فهل تجوز بعدها أن تخرج من يد أبنائك لغيرهم؟

إذا كنت تقبل بهذا فخلافتهم أيضاً جائزة! على أن أبناء العباس عاثوا في الأرض فساداً، ولئن كان بعض الناس يعتقدونهم ويعتمدون عليهم، لجهلهم بفسادهم، فكيف يعتمد عليهم من يعلم بفسادهم؟

وإنني لا أدري كيف يجيب السلطان الله يوم القيامة؟ وكيف تكون نجاته من النار إذا لم يدفع شرهم وينجي المسلمين منهم.

إنني لا أنكر الخلفاء الأربعة، ومحبتهم في قلبي، وإنني لم أظهر ديناً، ولا ابتدعت مذهباً، مذهبي مذهب الصحابة في زمن الرسول صلى الله عليه وآله، وهذا صراطي المستقيم إلى يوم القيامة.

وأما ما قلتم من أنني أطعن في بني العباس، فأقول كيف لا يطعن ولا يشنع بقوم كانت بدايتهم ونهايتهم على التزوير، والتلبيس، والفسق، والفجور والفساد، وها أنا أشير إلى نبذة من أحوالهم وأفعالهم لتكون لي على السلطان حجة.

أولاً: أبو مسلم الذي جد واجتهد واختار التعب حتى قصر أيدي ظالمي بني مروان من إراقة دماء المسلمين، وأخذ أموالهم، وأزال الظلم، وزين الدنيا بالعدل. غدروا به وأراقوا دمه ثم قتلوا آلافاً من أولاد الرسول في أطراف العالم حتى انزوى جمع غفير منهم في زوايا الخفاء، وخلعوا شعار السيادة لينجوا بأنفسهم من جور الظالمين، وما زال أولئك الخلفاء يشتغلون بشرب الخمر، وارتكاب الزنا. وقد بلغ الفساد في زمانهم لدرجة أن هرون الذي كان أعلمهم وأفضلهم كان يحضر إحدى شقيقاته في مجلس شرابه ومدامه.

ومن أعماله التي لا يقرها وجدان ولا ضمير، أنه أمر بجلد أبي حنيفة الكوفي مائة سوط، مع أنه كان ركناً من أركان الإسلام. وأيضاً صلب منصور الحلاج الذي كان قدوة الأنام. هؤلاء هم الخلفاء العباسيين الذين تسميهم أركان الإسلام وقوام الملك والملة، وتقول إن بهم يوثق نظام الدين والدولة! فإن طعنت بهم أنا أو غيري بعد هذا فهل أكون على حق أم على باطل؟

وأما ما قلتم من أنني أخدع الجهال وأدفعهم لضرب الناس، وقتلهم، فأقول: إن انحراف موظفي السلطان ووكلاء نظام الملك وأرباب المعاملات في حدود خراسان عن جادة الصواب وتجاوزهم على عورات الناس، وحرم العباد، وقتلهم النساء أمام أزواجهن وارتكاب الفحشاء معهن، فضلاً عن عدم الاهتمام بالمعاملات الديوانية، وكلما استغاث الناس بأركان الدولة لا يلتفت أحد إليهم، بل ينزل البلاء والجور على المستغيث. هذا نظام الملك الذي هو اليوم وزير ورئيس للملك، اتهم أبا نصر الكندري بالتصرف في مال السلطان وملكه ثم قتله، مع أن أبا نصر كان في حياته وأثناء وزارته يأخذ من الناس عشرة دراهم فيرسلها إلى خزانة الملك، واليوم يأخذ نظام الملك خمسين درهماً بالجور والظلم، ولا يرسل إلى خزانة الملك حتى نصف درهم، بل يدفع قليلاً منها للصوص والقتلة، ويصرف الباقي على بناته وأبنائه وأصهاره، وأما ما أنفقه من أموال الناس على أبنيته ودوره أظهر من الشمس في رابعة النهار. أين أبو نصر من الابن والبنت؟ إنه لم يصرف أموال الناس في أبنيته ودوره؟

وليس للمظلومين في هذا الزمان ملجأ يفزعون إليه، فإن قام أحد للاضطرار، وآثار النار على العار، وهانت عليه المنية تخلصاً من الذل والدنية، ودفع واحداً أو اثنين من هؤلاء الظلمة، فما ظلم! وإن قتلهم لمعذور. ما للحسن

الصباح وهذه الأمور، وهل يحتاج إلى أن يخدع الناس بعد هذا؟ وأي أمر يقع في الدنيا بلا تقدير سماوي؟

وأما ما هددتم بحشد جيشكم لتدمير مستقري! فمعاذ الله أن أفعل شيئاً يكون فيه خلافاً لرأي السلطان، لقد اخترت زاويتي وجعلتها مأوى لي، لأن أعدائي يحتالون في طلبي ويسعون لسفك دمي، فإذا فرغ السلطان من أمر الأعداء أنا أقبل إليه، وأتشرف بحضرته، وانخرط في سلك سائر عباده، وحينئذ أشير إليه ما استطعت لإصلاح أمر دنياه وتدارك أمر آخرته، ولئن صدر عني عمل بخلاف هذا، أو خالفت أمر السلطان، فأنا جدير بالسب واللعن من القريب والبعيد، وبأن يقال فيّ: إنه خالف القول المأثور ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾. وأن تقول في حقي ما شئت إذا أنا أغمضت عيني عن خصمي نظام الملك الذي ظلمني ويظلمني. وأما قولكم لو أن مستقري برجٌ من بروج السماء لهدمته، فأقول إن لمقيمي هذا المستقر ثقة بقول ولي الدهر من أن هذه القلعة ستبقى ثابتة في أيدينا مدة طويلة حتى يحل قضاء الله بها، وإنني الآن أعمل بالفرائض والسنن، وأرجو من الله ورسوله أن يهدي السلطان وأركان دولته إلى الصراط المستقيم ويرزقهم دين الحق ليزهق فساد العباسيين، وفسقهم من بين الخلق، ولو أن السلطان يبغي سعادة الدين والدنيا لعمل كما عمل سلطان الإسلام محمود غازي رحمه الله، حيث جاء بسيد علاء الملك خداوند زاده من ترمذ وجعله خليفة للناس، وبذلك تخلص من شرهم. فعلى السلطان واجب دفع شرهم وإنقاذ عباد الله تبارك وتعالى منهم، وسيأتي زمان يظهر فيه سلطان عادل يخلص المسلمين من الظلم والضيم والسلام على من اتبع الهدى.

خادم أعتاب آل محمد وعلي

الحسن بن الصباح

ولما لم يستجب الحسن بن الصباح لطلب السلطان ملكشاه، وجه حملته العسكرية الأولى على قلعة آلموت بقيادة (التونتاش) حاكم إقليم رودبار، وانتهت بالفشل.

وفي الأول من شهر جمادى الأولى سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) قبل وفاة ملكشاه بعدة أشهر، قاد (أرسلان تاش) حملة ضخمة إلى آلموت، موجهاً إنذاراً شديد اللهجة للحسن بن الصباح، يطلب فيه تسليم القلعة والاستسلام له دون قيد أو شرط، وإلا دمر القرى المجاورة، وعَرَّضَ القلعة للحصار ولضربات المنجنيقات، فأجابه الحسن بقوله: "أيها الغزاة مالكم والتدخل في شؤوننا الداخلية؟ نحن قوم لا هدف لنا إلا العمل على إصلاح المجتمع، هذا المجتمع الفاسد، ونشر بذور المحبة والإخاء بين المواطنين، ورفع الحيف والظلم عن الطبقات الفقيرة العاملة المنتجة، ارجع بجنودك عنا فلو بقيت إلى الأبد لن تنال منا قيد أنملة، وحسن بن الصباح الذي عجمتَ عودَه لن يخشاك والسلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى"[1].

ما كاد أرسلان تاش يتسلم رد الحسن حتى أمر جنوده بشن الهجوم على القرى المحيطة بآلموت كافة وأطلق لجنوده الحرية في التقتيل والنهب والسلب وارتكاب الجرائم، وزحف باتجاه قلعة آلموت وشدد الحصار عليها بعد أن قطع جميع الطرق التموينية عنها. إلا أن الحسن بن الصباح كان قد أعد العدة من قبل لمثل هذه الحالات، فملأ مخازنه بالأسلحة والمواد الغذائية وبكل ما يحتاجه المحارب أثناء عمليات الحصار الطويل، واتبع نظام التقنين في توزيع الأغذية، وبذلك استطاع أن يصمد في وجه أرسلان تاش حتى جاءته نجدة داعي قزوين (ديدار أبو علي) المؤلفة من ثلاثمائة فدائي حملوا على جيش

[1] عجمت عودة: اختبرته وعرفته.

أرسلان تاش في غسق الظلام فأوقعوا به هزيمة منكرة ارتد على أثرها مهزوماً إلى أصفهان، وظفر الإسماعيلية بغنائم كثيرة. وقيل إن حصار أرسلان تاش استمر أربعة أشهر، والغريب في الأمر أن عساكر السلاجقة لم يشاهدوا خلال هذه المدة وجه أي إسماعيلي يطل من القلعة سوى مرة واحدة.

علم نظام الملك بهزيمة أرسلان تاش النكراء، فتألم وازداد حنقه على الحسن بن الصباح فقرر أن يجرد حملة تأديبية كبرى يقودها بنفسه. ولكنه قتل قبل أن تتحقق له هذه الأمنية.

أما الجيش الذي ذهب إلى قهستان لمقاتلة (حسين القائيني) بقيادة (قزل مارق) فقد ارتد على أعقابه مدحوراً فور إعلان وفاة السلطان ملكشاه السلجوقي، وبذلك تنسم الإسماعيلية بعودة السلام إلى قلاعهم ولو لفترة قصيرة يستعدون خلالها لملاقاة غزوات أخرى قد تشن عليهم في المستقبل القريب، وبعد أن تستقر أمور السلطنة التي اضطربت عقب وفاة السلطان ملكشاه السلجوقي.

وبعد وفاة ملكشاه في الثالث من شوال سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) وتسلم السلطة ابنه الأكبر بركيارق الذي لم يكن يرى في الإسماعيلية أعداء خطرين عليه، مما جعله يخفف من التفكير بالاستمرار في محاربتهم، ولكن سرعان ما غير قناعاته بتأثير رجال الدين من جهة، وازدياد نفوذ الإسماعيلية وسلطانهم واحتلالهم العديد من القلاع من جهة أخرى، مما جعله يرسل جيوشه لمحاربة الإسماعيلية في قلاعهم دون أن يحقق من ذلك سوى الهزيمة.

ولم تمض سنة (٤٩٩هـ/١١٠٥م) على استلام محمد بن ملكشاه السلطة بعد وفاة أخيه بركيارق، حتى استجمع قواته ودفعها باتجاه بعض المعاقل الإسماعيلية التي أنزل ببعضها القتل والتدمير، ولكن بصمود المدافعين الأبطال عن تلك المعاقل دحرت جيوشه. وليعود مرة ثانية لقتالهم

(٥٠٠هـ/١١٠٧م) مطوقاً قلعة شاه دز التي كانت بإمرة أحمد بن عبد الملك بن عطاش ومركزاً له منذ أن استولى عليها سنة (٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، والذي انتهى ذلك باحتلال القلعة وقتل أحمد بن عطاش وولده وانتحار زوجته، وهذا ما كنا سردناه في الفصل السابق عن شيخ الجبل الأول ابن عطاش.

وبعد إخضاع قلعة (شاه دز) وقتل ابن عطاش، وجه السلطان محمد بن ملكشاه جيوشه إلى آلموت واستاوند القريبة منها على شاطئ أنديج، بقيادة أحمد بن نظام الملك العدو اللدود كأبيه للحسن بن الصباح وللإسماعيلية، وذلك في سنة (٥٠٣هـ/١١٠٩م)، واستمر القتال متقطعاً مدة نحو (٨) سنوات اتبع خلاله الغزاة السلاجقة سياسة الأرض المحروقة لدفع الحسن وأتباعه في القلاع الأخرى على الاستسلام والتسليم، ولكن خطة ابن نظام فشلت.

وعلى أثر الفشل السابق أرسل السلطان محمد حملة ضخمة بقيادة الأتابك (أنوشتكين شيركير) في أول سنة (٥١١هـ/١١١٧م) والبعض يذكر سنة (٥٠٥هـ/١١١١م) وأمره أن يحاصر القلاع من الآن فصاعداً[1]. وفي أول شهر صفر حاصروا قلعة (لامسار)، وفي الحادي عشر من شهر ربيع الأول حاصروا قلعة آلموت وأقاموا المنجنيقات، واشتدت الحرب بين الفريقين حتى شهر ذي الحجة من السنة نفسها. ولما أوشكت القلعة على السقوط، جاء خبر وفاة السلطان محمد بن ملكشاه في أصفهان، فتفرقت الجيوش ونجت القلعة وأهلها، وفي ذلك يقول (ابن الأثير): "إن السلطان محمد السلجوقي ندب لقتال

---

(1) الأتابك: تعني الوالد أو الأمير باللغة التركية. والمراد به أبو الأمراء. وهو أكبر الأمراء المتقدمين بعد النائب (نائب السلطان). وتتألف كلمة أتابك من: أتا؛ بمعنى الأب، أو الشيخ المحترم لكبر سنه. وبك؛ بمعنى أمير. وفي العهد المملوكي كان هو صاحب القرار. انظر (معجم الألفاظ التاريخية: محمد أحمد دهمان).

الإسماعيلية الأمير أنوشتكين شيركير قائده الأكبر، فملك منهم عدة قلاع،منها قلعة (كلام) في جمادي الأولى سنة (٥٠٥ هجرية)، وكان مقدمها يعرف بعلي بن موسى، فأمنه ومن معه وسيرهم إلى آلموت، وملك منهم أيضاً قلعة (بيره) وهي على سبعة فراسخ من قزوين وأمنهم وسيرهم إلى آلموت فيمن معه من العساكر، وأمده السلطان بعدد من الأمراء فحاصرهم وكان هو من بينهم صاحب القريحة والبصيرة في قتالهم مع جودة الرأي والشجاعة، فبنى عليها مساكن يسكنها هو ومن معه، وعين لكل طائفة من الأمراء شهراً يقيمونها، فكانوا يغيبون ويحضرون وهو ملازم الحصار، وكان السلطان ينقل إليه الميرة والذخائر والرجال[1]، فضاق الأمر على الباطنية، وعدمت عندهم الأقوات وغيرها، فلما اشتد عليهم الأمر أنزلوا نساءهم وأبناءهم مستأمنين، ويسألون أن يفرج لهم ولرجالهم عن طريق يأمنوا بها، فلم يجاوبوا إلى ذلك وأعادهم إلى القلعة ليموت الجميع جوعاً، وكان ابن الصباح يجري لكل رجل منهم رغيفاً وثلاث جوزات، فلما بلغ بهم الأمر إلى الحد الذي لا مزيد عليه، بلغهم موت السلطان محمد، فقويت نفوسهم وطابت قلوبهم ووصل الخبر إلى العسكر المحاصرين لهم بعدهم بيوم وعزموا على الرحيل، فقال شيركير: إن رحلنا عنهم وشاع الأمر نزلوا إلينا وأخذوا ما أعددناه من الأقوات والذخائر، والرأي أن نقيم على قلعتهم حتى نفتحها، وإن لم يكن المقام فلا بد من مقام ثلاثة أيام حتى ينفذ منا ثقلنا، وما أعددناه، ونحرق ما نعجز عن حمله لئلا يأخذه العدو. فلما سمعوا قوله تعاهدوا على الاتفاق بالإجماع، ولما أمسوا رحلوا من غير مشاورة ولم يبق غير شيركير، فنزل إليه الباطنية من

[1] الميرة: الضريبة التي كانت توخذ على الحبوب قبل تسويقها.

القلعة فدافعهم وقاتلهم وحمى من تخلف من العسكر، وأخيراً لحق بالعسكر فلما فارق غنم الباطنية ما تخلف عندهم".

وبعد وفاة السلطان محمد السلجوقي، تسلم زعامة الدولة السلجوقية أخوه السلطان سنجر، الذي نهج طريق من سبقوه في معاداة الإسماعيلية، واستمر القتال سجالاً بين الطرفين لعدة سنوات، لم يحقق فيها السلطان الجديد ما يريد بقوة السلاح، بينما الحسن بن الصباح يزداد قوة وأتباعه يزدادون إيماناً، ولم يكن الحسن ميالاً إلى القتال وإنما إلى العيش وأتباعه بأمن وأمان، فأخذ يرسل الرسل إلى السلطان سنجر يحثه على وقف العداء وإجراء الصلح بينهما، ولكن سنجر لم يأخذ يوماً بالنصيحة، فأراد الحسن بن الصباح أن يظهر له القوة والمنعة والقدرة على قتله لو أراد ذلك، فأرسل إليه ليلاً وهو نائم ثمل أحد الفدائية، وطلب منه أن يغمد خنجراً ملطخاً بالدم في وسادة السلطان قرب رأسه، ويضع الرسالة التالية عند رأسه، التي جاء فيها: "أيها السلطان المغرور، لا تفكر إذا كان الحسن بن الصباح بعيداً عنك يعيش فوق صخرة آلموت، غير قادر على الوصول إليك، ثق أن من تمكن من أن يضع هذا الخنجر في وسادتك، لقادر على غمسه في فؤادك، إلا أنني رأيت الرجل الطيب الصالح متجسداً فيك، فأحببت أن أستبقي عليك لفرصة أخرى، فقد أعذر من أنذر، والسلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى".

وعندما نهض السلطان من نومه، ووجد الخنجر المدمى ورسالة الحسن بن الصباح، ارتعدت أوصاله خوفاً، وأيقن أن الحسن لو أراد قتله لفعل، وإذا لم يستفد من هذا الإنذار، فستكون نتيجته الموت، مما دفعه إلى التفكير بمصالحة الحسن، وعقد معه معاهدة صلح سنة (٥١٣هـ/١١١٩م) اعترف بموجبها باستقلال الإسماعيلية الذاتي ومنحهم الحرية لمزاولة شعائرهم الدينية ضمن المناطق التي يقطنوها. كما سمح لإسماعيلية (كردكوه) بخراسان أن

يفرضوا الضرائب على القوافل التجارية التي تعبر مناطقهم، وسمح له بإدرار قدره (٣٠٠٠) دينار من خراج أملاكهم في ناحية قومش.

ولقد شاهد (عطا ملك الجويني) الذي كان مرافقاً لهولاكو والذي اطلع على المكتبة الإسماعيلية قبل إحراقها، مجموعة من المنشورات السنجرية لاستمالة الإسماعيلية وتملق السلطان لهم، كانت قد ظلت محفوظة في مكتبتهم. ومنها استطاع (الجويني) الاستدلال على جنوح السلطان للسلام، مما جعل الإسماعيليون ينعمون في عهده بالراحة والرفاهية، وهذا ما قوى من شوكتهم وزاد من رهبتهم، مما دفع أعداد كبيرة إلى إظهار إيمانهم بالمذهب الإسماعيلي، خاصة في خراسان وفارس، ومنهم كبار رجال الدولة السلجوقية.

وبعد توقيع الصلح، واستقرار الأوضاع في آلموت وغيرها من المناطق الإسماعيلية في إيران، بدأ الحسن بتوجيه جهوده واهتمامه لتنظيم صفوف الإسماعيلية وتحسين أوضاعهم وتجديد الصلات مع مناطق الدعوة الإسماعيلية في سورية، فأرسل إلى حلب الداعي الحكيم المنجم الذي استطاع أن يقنع الكثيرين ومن بينهم أمير حلب رضوان بن تتش بن آلب ارسلان السلجوقي، كما أرسل دعاة آخرين إلى سورية.

. وفاة الحسن بن الصباح:

في شهر ربيع الثاني سنة (٥١٨هـ) الموافق إلى شهر أيار سنة (١١٢٤م) مرض الحسن بن الصباح وشعر بدنو أجله وله من العمر (٩٠) سنة. فاستدعى (بوزرك أوميد) من قلعة لامسار وعينه مكانه، وجعل على يمينه (دهدار أبو علي الاردستاني) وخصه بديوان الدعوة، وجعل (الحسن بن آدم القصراني) على ميسرته، كما جعل (كيابا جعفر) الذي كان صاحب الجيش، أمامه. وأوصى بأن يتم تدبير الأمور باتفاق الأربعة جميعاً، واستصوابهم، إلى أن يأتي

الإمام إلى ملكه[1]. وتوفي الحسن بن الصباح ليلة الأربعاء السادس من ربيع الثاني سنة (٥١٨هـ).

ولقد ترك الحسن وراءه إرثاً ثقافياً كبيراً، تمثل في عدة كتب فلسفية ومذهبية ألفها، وسيرته الذاتية التي سطرها بنفسه، وكتاب هام عن تاريخ الدولة النزارية، إلا أن هولاكو بجيوشه الجرارة الفتاكة كالجراد، أحرقت محتويات المكتبة ولم يبق منها إلا النذر اليسير، مما تيسر لمن أشرف على حرق المكتبة (عطا ملك الجويني) أن يحتفظ ببعض الكتب[2].

وما أن تولى بوزرك أوميد رئاسة الجماعة الإسماعيلية النزارية ودولتهم، حتى انطلق الداعي أبو علي أردستاني إلى قلاع النزاريين المتعددة لضمان ولائها للزعيم النزاري الجديد.

ولم تلق قيادة بوزرك أوميد أي ممانعة أو اعتراض من أي شريحة من الشرائح الإسماعيلية، وقد تمسك بوزرك أوميد الذي حكم مدة أربع عشرة سنة (٥١٨-٥٣٢هـ/ ١١٢٤-١١٣٨م) بسياسات سلفه ونجح في تقوية الدولة النزارية على الرغم من تجدد الهجوم السلجوقي عليها.

. مذابح الإسماعيليين في إيران:

هي المذابح بحق الإنسانية كثيرة عبر التاريخ الطويل للبشرية، التي كان الإنسان وما انفك يقتل أخاه الإنسان ومن والاه من أهله وعشيرته لمجرد أن خالفه رأياً أو شكل خطراً على مصلحته وسلطته، دون الاحتكام لمنطق

(1) كان الإمام آنذاك: علي بن نزار بن المستنصر (٤٩٠ - ٥٣٠هـ) الملقب بالهادي وهو من أئمة الستر.

(2) كان عطا ملك الجويني مرافقاً لهولاكو عندما قدم على رأس الجيوش المغولية للقضاء على الدولة الإسماعيلية في إيران سنة (٦٥٢هـ). وقد اذن له هولاكو بالإطلاع على مكتبة آلموت وانتقاء ما يريده منها قبل حرقها.

العقل، والوقوف عند المبادئ السامية للكتب السماوية، تجنباً لإزهاق الأرواح التي هي من عند الله بثها في أجساد العباد بالصور الرحمانية التي شكلت، والوظائف البيولوجية التي منحت، والعقل المبدع الذي ما أعطي لسواها من المخلوقات.

وفي التنوع والتباين والاختلاف، تكمن مواطن الجمال، وتترعرع الحياة وتزدهر أكثر وأكثر، وتظهر تميزاً وبروزاً وتبدي تنافساً وحركة وإبداعاً، ومن ثم يعم التطور والازدهار للجميع. أما أن يغلق الإنسان نفسه على ذاته بحجة دينية أو نزعة شوفينية، بأنه هو فقط، والكل دونه يأتمرون بأمره ويعتنقون مذهبه، ويرددون مقولاته، فهذا هو التخلف والدمار للعقل. ولم يكن الإسماعيليون في تاريخهم الطويل دعاة قتل، وإنما دعاة محبة وإخاء وسلام، لا إكراه في العقيدة والعقل سيد الجميع والحكم في الاختلاف. والحجة والبرهان منطق الأقوياء، والخناجر والمنجنيقات لغة الضعفاء. وليست المجازر الجماعية التي ارتكبت بحق الإسماعيلية (أطفالاً وأجنة في الأرحام وشيوخاً ونساء) لذنب ارتكبوه، وإنما لأنهم أرادوا قول الحق ونشره بالحجة، كما أمر الله به عباده الصالحين المؤمنين، وهذا ما حدا بالإسماعيلية أن يتستروا ويخفوا حقيقتهم تارة ليجنبوا أنفسهم ظلم الظالمين وقتل القاتلين.

١. مذبحة الإسماعيلية في ما وراء النهر:

لقد عانى الإسماعيلية من الظلم والاضطهاد، والملاحقة والقتل والاغتيال، منذ الإمام علي بن أبي طالب (ع) الذي اغتيل غدراً، وفي الفترة السابقة لظهور الدولة الإسماعيلية الجديدة في إيران بزعامة البطل الحسن بن الصباح، وهذا سابق للتنظيم الفدائي الصباحي الذي أرعب فيه الأعداء.

والمجزرة التي ارتكبت بحق الإسماعيلية في إقليم ما وراء النهر[1]، هي أكبر مؤشر على الخوف من أتباع المذهب الإسماعيلي، لأنه مذهب الحق والحقيقة التي يخشى الظالمون انتشارها، ويذكر (ابن الأثير) هذه المجزرة، كالآتي:

"في سنة (٤٣٦هـ/١٠٩٣م) أوقع بفراخان صاحب ما وراء النهر بجمع كثير من الإسماعيلية. وكان سبب ذلك ان نفراً منهم قصدوا ما وراء النهر ودعوا إلى طاعة المستنصر بالله العلوي (الخليفة الفاطمي) صاحب مصر، فتبعهم جمع كثير، وأظهروا مذاهب أنكرها أهل تلك البلاد، وسمع ملكها بفراخان خبرهم وأراد الإيقاع بهم، فخاف أن يسلم منه بعض من أجابهم أهل تلك البلاد، فأظهر لبعضهم أنه يميل إليهم ويريد الدخول في مذهبهم، وأعلم ذلك وأحضرهم مجالسه، ولم يزل حتى علم جميع من أجابهم إلى مقالتهم، فحينئذ قتل من بحضرته منهم، وكتب إلى سائر البلاد بقتل من فيها، ففعل بهم ما أمر..."

٢. مذبحة أصفهان الأولى:

في سنة (٤٨٦هـ/١٠٩٣م) قام سكان أصفهان - الذين يبدو أنهم قد أثارهم تقرير بخصوص زوجين إسماعيليين اتهما بإنهما كانا يستدرجان العابرين إلى منزلهم، ثم يعذبونهم حتى الموت - بتجميع كل المتهمين الإسماعيليين ودفعوا بهم أحياء إلى قلب نار موقدة في وسط المدينة. ويروي (ابن الأثير) القصة كالآتي:

اتفق أن رجلاً دخل دار صديق له فرأى فيها ثياباً ومداسات وملابس لم يعهدها، فخرج من عنده وتحدث بما كان فكشف الناس عنها، فعلموا أنها

---

(1) إقليم ما وراء النهر: المناطق الواقعة وراء نهر جيجون (آموداريا)؛ أي إلى الشرق والشمال الشرقي منه.

من المقتولين، وثار الناس كافة يبحثون عمن قتل منهم ويستكشفون، فظهروا على الدروب التي هم فيها، وأنهم كانوا إذا اجتاز بهم إنسان أخذوه إلى دار منها وقتلوه وألقوه في بئر في الدار قد صنعت لذلك، وكان على باب درب منها رجل ضرير، فإذا اجتاز به إنسان يسأله أن يقوده خطوات إلى باب الدرب فيفعل ذلك، فإذا دخل الدرب أخذ وقتل. فتجرد للانتقام منهم أبو القاسم مسعود بن محمد الخجندي الفقيه الشافعي وجمع الجم الغفير بالأسلحة وأمر بحفر أخاديد وأوقد فيها النيران وجعل العامة يأتون بالباطنية أفواجاً ومنفردين فيلقون في النار، وجعلوا إنساناً على أخاديد النيران وسموه مالكاً فقتلوا منهم خلقاً كثيراً".

٣. مذبحة أصفهان الثانية:

في شعبان سنة (٤٩٤هـ/١١٠١م) أمر السلطان بركيارق بقتل الإسماعيلية، ولقد ذكر (ابن الأثير) ما يلي:"لقد اجتمع من الإسماعيلية عشرة رجال فصلوا صلاة العيد في ساوه، ففطن بهم الشحنة فأخذهم وحبسهم. ثم سئل فيهم فأطلقهم، فهذا أول اجتماع لهم. ثم إنهم دعوا مؤذناً من أهل ساوه كان مقيماً بأصفهان فلم يجِبهم إلى دعوتهم فخافوا أن ينم عليهم فقتلوه، فهو أول قتيل لهم وأول دم أراقوه، فبلغ خبره إلى نظام الملك، فأخذ من يتهم بقتله، فوقعت التهمة على نجار اسمه طاهر فقتل ومثل به وجروا برجله في الأسواق فهو أول قتيل منهم، وكان والده واعظاً وقدم إلى بغداد مع السلطان بركيارق سنة (٤٨٦هـ) فحظي منه، ثم قصد البصرة فولي القضاء، ثم توجه في رسالة إلى كرمان فقتله العامة في الفتنة التي جرت وذكروا أنه باطني".

٤. مذبحة جاولي سقاووا للإسماعيلية:

في سنة (٤٩٤هـ) قتل (جاولي سقاووا) خلقاً كثيراً منهم. وسبب ذلك أن هذا الأمير كانت ولايته البلاد التي بين رامهرمز وأرجان. فلما ملك الإسماعيلية القلاع المذكورة بخوزستان وفارس، وعظم أمرهم وقطعوا الطريق بتلك البلاد، واقف جماعة من أصحابه حتى أظهروا الشغب عليه وفارقوه وقصدوا الإسماعيلية، وأظهروا أنهم معهم وعلى رأيهم، فأقاموا عندهم حتى وثقوا بهم، ثم أظهر (جاولي) أن الأمراء بني برسق يريدون قصده وأخذ بلاده وأنه عازم على مفارقتها لعجزه عنهم والمسير إلى همذان، فلما ظهر ذلك وسار، قال من عند الإسماعيلية من أصحابه لهم الرأي أننا نخرج إلى طريقه ونأخذه وما معه من الأموال، فساروا إليه في ثلثمائة من أعيانهم وصناديدهم، فلما التقوا صار من معهم من أصحاب جاولي عليهم، ووضعوا السيف فيهم، فلم يفلت منهم سوى ثلاثة نفر صعدوا إلى الجبل وهربوا، وغنم جاولي ما معهم من دواب وسلاح وغير ذلك، وقد توفي جاولي سقاووا سنة (٥١٠هـ/١١١٦م).

٥. مذبحة الإسماعيليين الخامسة:

لقد تمت هذه المذبحة سنة (٤٩٤هـ/١١٠١م) وهي التي يوردها أيضاً (ابن الأثير) تحت عنوان (ذكر السبب في قتل بركيارق الباطنية)، بقوله: "لما اشتد أمر الباطنية وقويت شوكتهم وكثر عددهم صار بينهم وبين أعدائهم ذحول وإحن، فلما قتلوا جماعة من الأمراء والأكابر وكان أكثر من قتلوا من هم في طاعة محمد مخالف للسلطان بركيارق مثل شحنة أصبهان سرمز وأرغش وكمش النظاميين وصهره وغيرهم، نسب أعداء بركيارق ذلك إليه واتهموه بالميل إليهم. فلما ظفر السلطان بركيارق وهزم أخاه السلطان محمداً وقتل مؤيد الملك وزيره، انبسط جماعة منهم في العسكر واستقووا كثيراً منهم

وأدخلوهم في مذهبهم وكادوا يظهرون بالكثرة والقوة، وحصل بالعسكر منهم طائفة من وجوههم وزاد أمرهم فصاروا يتهددون من لا يوافقهم بالقتل فصار يخافهم من يخالفهم، حتى أنه لم يتجاسر أحد منهم لا أمير ولا متقدم على الخروج من منزله حاسراً بل يلبس تحت ثيابه درعاً، حتى أن الوزير الأعز أبا المحاسن كان يلبس زردية تحت ثيابه، واستأذن السلطان بركيارق خواصه في الدخول عليه بسلاحهم وعرّفوه خوفهم ممن يقاتلهم فأذن لهم في ذلك، وأشاروا على السلطان أن يفتك بهم قبل أن يعجز عن تلافي أمرهم. وأعلموه ما يتهمه الناس به من الميل إلى مذهبهم حتى أن عسكر أخيه السلطان محمد يشنعون بذلك، وكانوا في المصاف يكبرون عليهم ويقولون يا باطنية. فاجتمعت هذه البواعث كلها فأذن السلطان في قتلهم والفتك بهم وركب هو والعسكر معه وطلبوهم، وأخذوا جماعة من خيامهم ولم يفلت منهم إلا من لم يعرف، وكان ممن اتهم بأنه مقدمهم الأمير محمد بن دشمنز يار ابن علاء الدولة أبي جعفر كاكويه صاحب يزد فهرب وسار يومه وليلته، فلما كان اليوم الثاني وجد في العسكر قد ضل الطريق ولا يشعر فقتل، وهذا موضع المثل (أتتك بخائن رجلاه)، ونهب خيامه فوجد عنده السلاح المعد. وأُخرج الجماعة المتهمون إلى الميدان فقتلوا وقتل منهم جماعة براء، لم يكونوا منهم سعى بهم أعداؤهم. وفيمن قتل ولد كيقباذ مستحفظ تكريت، فلم يغير والده خطبة بركيارق، ولكن شرع في تحصين القلعة وعمارتها ونقض جامع البلد وكان يقاربها لئلا يؤتى منه وجعل بيعة في البلد جامعاً وصلى الناس فيه. وكتب إلى بغداد بالقبض على أبي إبراهيم الأسدأباذي الذي كان قد وصل إليها رسولاً من بركيارق ليأخذ مال مؤيد الملك وكان من أعيانهم ورؤوسهم

فأُخذ وحبس[1]، فلما أرادوا قتله قال هبوا أنكم قتلتموني أتقدرون على قتل من بالقلاع والمدن فقتل، ولم يصل عليه أحد وألقي خارج السور، وكان له ولد كبير قتل بالعسكر معهم. وقد كان أهل عانة نسبوا إلى هذا المذهب قديماً فانهى حالهم إلى الوزير أبي شجاع أيام المقتدي بأمر الله فأحضرهم إلى بغداد فسئل مشايخهم عن الذي يقال فيهم فانكروا وجحدوا فأطلقهم. واتهم أيضاً الكيا الهراس المدرس بالنظامية بأنه باطني ونقل ذلك عنه إلى السلطان محمد فأمر بالقبض عليه، فأرسل المستظهر بالله من استخلصه وشهد له بصحة الاعتقاد وعلوّ الدرجة في العلم فأطلق".

٦. مذبحة وزير السلطان سنجر:

في سنة (٥٢٠هـ/١١٢٦م) أمر الوزير أبو نصر أحمد بن الفضل وزير السلطان السلجوقي سنجر بغزو الباطنية (الإسماعيلية) وقتلهم أينما كانوا، وحيثما ظفروا بهم، ونهب أموالهم، وسبي حريمهم. وجهز جيشاً إلى طريثيث وهي لهم، وجيشاً إلى بيهق من أعمال نيسابور، وكان في هذه الأعمال قرية مخصوصة بهم إسمها (طرز)، ومقدمهم بها إنسان اسمه الحسن بن سمين، وسيّرَ إلى كل طرف من أعمالهم جمعاً من الجند، ووصاهم أن يقتلوا من لقوه منهم. فقصدت كل طائفة إلى الجهة التي سيرت إليها؛ فأما القرية التي بأعمال بيهق فقصدها العسكر فقتلوا كل من بها وهرب مقدمهم وصعد منارة المسجد وألقى نفسه منها فهلك. وكذلك العسكر المنفذ إلى طريثيث قتلوا من أهلها فأكثروا وغنموا من أموالهم وعادوا. كما أرسل جيشاً إلى رودبار في الشمال، فمني هذا الجيش بالهزيمة وغنم الإسماعيلية فيه غنائم كثيرة.

---

(1) اي من رموز الإسماعيلية وقادتهم.

٧. في سنة (٥٢١هـ/١١٢٧م) أوقع السلطان سنجر بالإسماعيلية في آلموت، فقتل منهم خلقاً كثيراً تجاوزوا عشرة آلاف إنسان.

٨. مذبحة واسط:

جاء ذكر هذه المذبحة في كتاب (الكامل في التاريخ، لابن الأثير) كالآتي: "في رمضان سنة (٦٠٠هـ/١٢٠٣م) قُتِلَ الباطنية بواسط، وسبب كونهم بها وقتلهم، أنه ورد إليها رجل يعرف بالركم محمد بن طالب بن عصية وأصله من القاروب من قرى واسط، وكان باطنياً ملحداً، ونزل مجاوراً لدور بني الهروي، وغشيه الناس وكثر اتباعه. وكان ممن يغشاه رجل يعرف بحسن الصابوني؛ فاتفق أنه اجتاز بالسويقة فكلمه رجل نجار في مذهبهم فرد عليه الصابوني، رداً غليظاً فقام إليه النجار وقتله وتسامع الناس بذلك فوثبوا وقتلوا من وجدوا ممن ينتسب إلى هذا المذهب، وقصدوا دار ابن عصية وقد اجتمع إليه خلق من أصحابه وأغلقوا الباب وصعدوا إلى سطحها ومنعوا الناس عنهم فصعدوا إليهم من بعض الدور من على السطح وتحصن من بقي في الدار بإغلاق الأبواب والمارق فكسروها ونزلوا فقتلوا من وجدوا في الدار وأحرقوا، وقتل ابن عصية، وفتح الباب، وهرب منهم فقتلوا. وبلغ الخبر إلى بغداد وانحدر فخر الدين أبو البدر بن امسينا الواسطي لإصلاح الحال وتسكين الفتنة".

٩. ذكر غزو صاحب طبرستان للإسماعيلية؛ يقول (ابن الأثير): "في سنة (٥٥٢هـ/١١٥٧م) جمع صاحب طبرستان شاه مازندران رستم بن علي بن شهريار عسكره، وسار ولم يعلم أحد جهة مقصده، وسلك المضايق، وجد السير إلى بلد آلموت وهي للإسماعيلية، فأغار عليها وأحرق القرى والسواد، وقتل فأكثر، وغنم أموالهم، وسبى نساءهم، واسترق أبناءهم فباعهم في

السوق. وعاد سالماً غانماً. وانخذل الإسماعيلية، ودخل عليهم من الوهن ما لم يصابوا بمثله، وخُرِّب من بلادهم ما لا يعمر في السنين الكثيرة".

١٠. وفي سنة (٦٠٢هـ/١٢٥٠م) سار (ايتغمش) صاحب بلاد الجبل (همذان وأصفهان والري وما بينهما من البلاد) - كما يروي (ابن الأثير) - إلى بلاد الإسماعيلية المجاورة لقزوين، فقتل منهم مقتلة كبيرة، ونهب وسبى وحاصر قلاعهم ففتح منها خمس قلاع، وصمم العزم على حصار آلموت واستئصال أهلها، إلا أن ظروفاً حالت دون ذلك.

. أبرز المهمات التي قام بها فدائية الصباح:

ليست الاغتيالات الفردية من خصائص ومبادئ الإسماعيلية. وليس القتل من شريعتهم. والذي يدعو إلى المرهو الأمّر منه. كما هو القول الشائع. فماذا جزاء من يقتل الأهل والوطن؟ ما هو جزاء من يذبح الآلاف من الأبرياء من نساء وشيوخ وأطفال؟ ما هو جزاءأولئك الذين ارتكبوا المجازر المروعة بالإسماعيلية؟ ليس هناك من جزاء لهم إلا القتل ليرتدوا عن افعالهم، التي أغمض التاريخ الحديث عن إظهارها من بطون كتب الذين أرخوها. واغتيالات الفدائيين الإسماعيليين انحصرت في شخصيات محددة ارتكبت جرائم، وهي من نوع الاغتيالات السياسية، نذكر منها:

١. اغتيال الوزير السلجوقي ألد أعداء الإسماعيليين في الحقبة السلجوقية وهو أبي علي الحسن بن علي الطوسي، الملقب بنظام الملك صاحب السلطة المطلقة في عهد ملكشاه، والعدو المتحمس ضد الإسماعيلية وضد الحسن بن الصباح.

ففي (١٢) رمضان سنة (٤٨٥هـ)، الموافق إلى (١٦) تشرين الأول عام (١٠٩٢م)[1]. وبينما كان نظام الملك بصحبة ملكشاه في الطريق إلى بغداد

[1] يذكر (ابن الأثير) أنه في العاشر من رمضان وليس اليوم الثاني عشر من رمضان.

أقدم فدائي إسماعيلي (أبو طاهر أراني) على طعن الوزير وقتله في بلدة صحنة (شحنة) في مقاطعة نهاوند في غربي فارس. وهو أول فدائي إسماعيلي يخاطر بحياته في سبيل خدمة الدعوة. ويروي (ابن الأثير) قصة مقتله كالآتي: "في العاشر من رمضان سنة (٤٨٥هـ) قتل نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن اسحق الوزير بالقرب من نهاوند، وكان هو والسلطان في أصبهان، وقد عادا إلى بغداد فلما كان بهذا المكان بعد أن فرغ من إفطاره وخرج من محفته إلى خيمة حرمه، أتاه صبي ديلمي من الباطنية في صورة مستميح أو مستغيث، فضربه بسكين كانت معه فقضى عليه، وهرب، فعثر عليه بطنب خيمة، فادركوه فقتلوه".

وبعد فترة من قتل نظام الملك طعن الفدائيون اثنين من أولاده بالخنجر على دفعتين: أولهما (أحمد) وقد تم طعنه في سنة (٥٠٣هـ/١١٠٩م) في جامع بغداد، وكان قد عين من سنة (٥٠٠- ٥٠٤هـ) وزيراً للخليفة العباسي المسترشد بالله. ولقد أصيب بالشلل من جراء ذلك وتوفي في بغداد سنة (٥٠٤هـ/١١١٠م).

كما طعنوا ابنه الثاني (فخر الملك) بالخنجر في نيسابور في سنة (٥٠٠هـ/١١٠٧م) وتوفي من جراء ذلك. وكان (تتش أرسلان) قد عين فخر الملك بن نظام الملك وزيراً له في سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، ثم عمل وزيراً في السنة التالية لبركيارق بعد قتل تتش، وأُسندت إليه أيضاً وزارة في عهد السلطان سنجر في نحو سنة (٤٩٠هـ/١٠٩٧م) وبقي فيها إلى مقتله.

٢. في آخر شهر رمضان من سنة (٤٩٣هـ/١١٠٠م) قُتل الأمير بلكابك سرمز بأصفهان بدار السلطان محمد، وكان كثير الاحتياط من الإسماعيلية لا يفارقه لبس الدروع ومن يمنع عنه. وفي ذلك اليوم لم يلبس درعاً، ودخل دار السلطان في قلّة، فقتله الإسماعيلية، فقُتل واحد ونجا آخر.

٣. وبين سنة (٤٩٥هـ/١١٠٢م) و (٤٩٧هـ/١١٠٤م) اغتيل مفتي أصفهان في الجامع القديم في المدينة، ووالي بايهاك، وكذلك اغتيل رئيس الكرامية - وهي منظمة دينية شديدة العداء للإسماعيلية - في مسجد في نيسابور.

٤. وفي سنة (٤٩٨هـ) قتل فدائي إسماعيلي أبا جعفر بن المشاط من شيوخ الشافعية، كان يدرس بالري.

٥. وفي شهر صفر من سنة (٥٠٢هـ/١١٠٨م) قُتِلَ قاضي أصفهان عبيد الله بن علي الخطيبي بهمذان، وكان قد تجرّد في أمر الباطنية تجرداً عظيماً، وصار يلبس درعاً حذراً منهم ويحتاط، فقصده إنسان عجمي يوم جمعة ودخل بينه وبين أصحابه فقتله. وقتل صاعد بن محمد بن عبد الرحمن أبو العلاء قاضي نيسابور يوم عيد الفطر، فقتله باطني (إسماعيلي) وقُتل الباطني أيضاً.

٦- في سنة (٥١٦هـ /١١٢٢م) قامت مجموعة من الفدائيين باغتيال الوزير الكمال أبي طالب السميرمي وزير السلطان محمود. وكان ذلك عندما خرج مع السلطان إلى همذان. وفي أثناء سيره في موكب عظيم، وعندما أتى الموكب عن طريق ضيق فيه حظائر من الشوك، اضطر مرافقوه للتقدم بسبب ضيق الموضع، فوثب عليه فدائي فضربه بسكين فوقعت في البغلة التي يركبها، وهرب الفدائي فتبعه الحراس، فخلا المكان فظهر فدائي آخر فطعنه بسكين في خاصرته، ثم جذبه عن البغلة، وطعنه عدة طعنات. وعندما عاد رجال الوزير هاجمهم فدائيان فاستطاعا ردهم، ثم عادوا وقد وجدوا الوزير مذبوحاً. وتمكنت السلطات من القبض على قاتليه الذين قتلوا بدورهم.

٧. وفي سنة (٥٢٠هـ/١١٢٦م) قتل الفدائيون قسيم الدولة آقسنقر البرسقي صاحب الموصل في يوم الجمعة الثامن من ذي القعدة وهو يصلي الجمعة بجامع الموصل.

٨ . في سنة (٥٢١هـ) قتل أحد الفدائيين الإسماعيليين معين الملك أبو نصر أحمد بن الفضل وزير السلطان السلجوقي سنجر، لما كان قد ارتكبه بحق الإسماعيلية من مذابح.

٩. وفي سنة (٥٢٣هـ/١١٢٩م) قتل الفدائيون عبد اللطيف بن الخجندي رئيس الشافعية بأصفهان.

١٠. وفي سنة (٥٢٤هـ/١١٣٠م) حاول الفدائيون الثأر من تاج الملوك بوري بن طغتكين صاحب دمشق للمجزرة التي ارتكبها بحق إسماعيلية دمشق في منتصف رمضان سنة (٥٢٣هـ) وتمكنوا من جرحه جرحين، برأ أحدهما وتسرّ الآخر وبقي فيه آلمه، ليتوفى بسبب جرحه هذا في رجب سنة(٥٢٦هـ/١١٣١م).

١١ . قام مجموعة من الفدائيين الإسماعيليين بالدخول إلى سرداق الخليفة العباسي المسترشد في مراغة، وتم طعنه حتى الموت في ذي القعدة من عام (٥٢٩هـ/آب١١٣٥م). ويعود وجود الخليفة العباسي في مراغة إلى أسره في المعركة التي قامت بينه وبين السلطان السلجوقي مسعود قرب همذان.

. ما بعد الحسن بن الصباح:

خلف الحسن بن الصباح في قيادة الدولة الإسماعيلية النزارية في إيران الداعي بوزورك أوميد، مستمراً في قيادتها نحو المجد والازدهار نحو أربعة عشر عاماً (٥١٨ ـ ٥٣٢هـ) في ظل إمامة الإمام علي بن نزار بن المستنصر بالله الملقب بالهادي (٤٩٠ ـ ٥٣٠هـ) والإمام محمد بن علي بن نزار الملقب بالمهتدي (٥٣٠ ـ ٥٥٢هـ).

وأعقب بزوك أوميد بعد وفاته ابنه محمد بن بوزورك أوميد وحتى وفاته سنة (٥٥٧هـ/١١٦١م). وفي السنة الأولى من توليه قيادة الحركة الإسماعيلية اغتيل

الخليفة العباسي الراشد بالله ابن المسترشد الذي اغتالته الفدائية الإسماعيلية سنة (٥٢٩هـ). وكان الراشد قد خرج من بغداد بغية الحملة على الإسماعيلية والثأر لمقتل أبيه، لكنه مرض في الطريق، وكان ما يزال مريضاً عندما وصل إلى أصفهان، فدخل عليه في مجلسه جماعة من الفدائيين وتركوه صريع خناجرهم، ودفن في المكان الذي قتل فيه. وكانت قيادة محمد بن بوزورك أوميد في ظل إمامة محمد بن علي بن نزار، والإمام حسن بن محمد بن علي الملقب بالقاهر (٥٥٢ ـ ٥٥٧هـ).

ولقد عاش الأئمة النزاريون السابقون في إيران (الإمام نزار بن المستنصر بالله، والإمام الهادي، والإمام المهتدي، والإمام القاهر) في دور التستر. وبعد وفاة الداعي محمد بن بوزورك، وتسلم الإمام حسن بن حسن بن محمد (على ذكره السلام) الإمامة سنة(٥٥٧ ـ ٥٦١هـ)، ومن بعده الإمام أعلى محمد (٥٦١ ـ ٦٠٧هـ)، والإمام جلال الدين حسن (٦٠٧ ـ ٦١٨هـ)، والإمام علاء الدين محمد (٦١٨ ـ ٦٥٣هـ)، والإمام ركن الدين خيروشاه (٦٥٣ ـ ٦٥٤هـ)، عاش أولئك الأئمة في مرحلة العلانية وقادوا الحركة الإسماعيلية حتى سقوط الدولة الإسماعيلية على أيدي المغول سنة (٦٥٤هـ). وتميز عهد الإمام (على ذكره السلام) بإعلانه القيامة في شهر رمضان سنة (٥٥٩هـ/١١٦٤م).

. نهاية الدولة الإسماعيلية النزارية في إيران:

رغم أن موضوعنا يخص فترة الحسن بن الصباح، شيخ الجبل الثاني، إلا أننا نرى أنه من الضروري الإشارة إلى أن انتصارات الحسن طيلة حياته العملية ـ وما بعده ـ في نشر الدعوة الإسماعيلية في مناطق عديدة من إيران، ووضع الإسماعيلية أيديهم على نحو (١٠٠) قلعة، وعجز السلاطين السلاجقة على

تحقيق انتصارات فعلية على الإسماعيلية، مما جعل الدولة الإسماعيلية في إيران تزهو وتزدهر طيلة نحو (١٧٧) سنة[1].

غير أن جحافل المغول الهمجية التي كانت قيادتها ترى في الدولة الإسماعيلية قوة منيعة، وعائقاً أمام غزوهم لأرض الإسلام في الغرب الآسيوي، استطاعت أن تقضي على تلك الدولة وتوقع في صفوف الإسماعيلية مجازر كبيرة لم تذكر تفاصيلها كتب التاريخ. ومما يشير إلى أن القادة المغوليين وعلى رأسهم هولاكو، كانوا يشعرون بالخوف من الأبطال الإسماعيليين وفدائيتهم، مما جعل هولاكو في النصف الثاني من سنة (٦٥٣هـ/١٢٥٥م) يطلب العون والمساعدة من الملوك والسلاطين في إيران والعراق وسواهما، لمساعدته على استئصال الإسماعيلية، حيث أرسل لهم عدة رسائل جاء ذكر فحواها في كتاب (جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله الهمذاني)، تضمنت الآتي: "بناء على أمر القاآن قد عزمنا على تحطيم قلاع الملاحدة وإزعاج تلك الطائفة. فإذا أسرعتم وساهمتم في تلك الحملة بالجيوش والآلات، فسوف تبقى لكم ولاياتكم وجيوشكم ومساكنكم، وستحمد لكم مواقفكم. أما إذا تهاونتم في امتثال الأوامر وأهملتم، فإننا حين نفرغ بقوة الله من أمر الملاحدة، فإننا لا نقبل عذركم ونتوجه إليكم فيجرى على ولاياتكم ومساكنكم ما يكون قد جرى عليهم".

وقد اختار هولاكو خان لتنفيذ هذه المهمة رسلاً سريعي السير، فلما شاع خبر وصول رايات الغازي في الأطراف، أسرع السلاطين والملوك في كل

[1] يرى البعض أن الدولة الإسماعيلية في إيران استمرت (١٧٧) سنة، منذ استيلائهم على قلعة شاه دز سنة (٤٧٧هـ)، وحتى استيلاء المغول على القلاع الإسماعيلية سنة (٦٥٤هـ). بينما يرى آخرون أن الدولة الإسماعيلية كانت بدايتها من دخول الإسماعيلية قلعة آلموت سنة (٤٨٣هـ)، وبذا تكون قد استمرت (١٧١) سنة.

مملكة من ممالك إيران إلى التوجه إلى هولاكو لتقديم فروض الطاعة، فاقبل من بلاد الروم السلطان عز الدين وركن الدين، ومن فارس سعد ابن الأتابك مظفر الدين، ومن العراق وخراسان وأذربيجان وأران وشروان وجورجيا، الملوك والصدور والأعيان.

وفي شهر جمادى الآخرة سنة (٦٥٠هـ/١٢٥٢م) ترك كيتوبوقانويان بلاط منكوقاآن، وذهب في مقدمة جيش هولاكو خان قاصداً بلاد الإسماعيلية. وفي أوائل شهر محرم سنة (٦٥١هـ/١٢٥٣م) عبر نهر جيجون، وشرع في الهجوم على ولاية قهستان، واستولى على بعض أجزائها. ثم سار على رأس خمسة آلاف فارس وخمسة آلاف من الرجّالة إلى أسفل قلعة كرد كوه وذلك في شهر ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وستمائة، فأمر أتباعه بحفر خندق حول القلعة، أحاطوه بسور محكم، وعسكر الجيش خلفه. وحول الجيش حفروا خندقاً آخر عميقاً جداً، كما أقاموا سوراً مرتفعاً للغاية حتى يبقى الجيش سليماً بينهما، وحتى لا يستطيع أحد من الجانبين التردد. ثم ترك كيتوبوقا القائد (بوري) هناك، بينما ذهب هو إلى قلعة مُهرين وحاصرها، ونصب عليها المجانيق. وفي اليوم الثامن من شهر جمادى الثانية من نفس السنة دخل مدينة (شاه)، وقتل عدداً كبيراً من السكان ثم قفل راجعاً.

أما القائد (هرْكِتَايْ) فقد ذهب على رأس جيش إلى ولايتي طَارم ورودبار، وأحدث فيهما التخريب والتدمير. ثم قصد المغول أسوار المنصورية وآله بشين، حيث أجروا مذبحة دامت ثمانية عشر يوماً. وفي التاسع من شوال سنة إحدى وخمسين وستمائة شنت حامية كردكوه غارة ليلية، ودمروا معسكر المغول الحصين، وقتلوا منهم مائة شخص، كما قتلوا قائدهم الأمير (بوري). فما كان من كيتوبوقا نويان إلا أن شن هجوماً عنيفاً على ولاية قهستان، وطارد جنوده جميع القوات الموجودة في نواحي تون وترشير وزيركوه، وأباحوا فيهم

القتل والغارة، وأسروا كثيراً منهم. وفي العاشر من شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة، استولوا على تون وترشيز. وفي أوائل شهر شعبان سقطت في أيديهم قلعة مهرين، وفي السابع من رمضان أخذوا قلعة كمالى. ثم وردت الأخبار من (كردكوه) إلى علاء الدين محمد سلطان الملاحدة تنبئه بأن وباء قد انتشر في قلعة (كردكوه) سبَّبَ وفاة أكثر المحاربين، وأن القلعة قد تسقط قريباً، فأسرع علاء الدين وأرسل (مبارز الدين علي توران) و (شجاع الدين حسن السَّرَاباني) على رأس قوة عددها عشرة ومائة من المجاهدين المعروفين لمساعدة أهالي هذه القلعة، وكان كل واحد منهم يحمل معه منّين من الحناء وثلاثة أمنان من الملح، لأن الملح كان قد نفذ من القلعة. ومع أنه لم يرد في كتب الطب أن الحناء تدفع الوباء، إلا أنه قد لوحظ هنا أن ابنة أمير قد تزوجت، فخضبوا يدها وقدميها بالحناء ثم غسلوهما. ولما كان الماء عزيز الوجود، فقد شربت طائفة من الناس ذلك الماء الملوث، فلم يمت واحد منهم قط بهذا الوباء. وبهذا وضحت لهم فائدة هذه التجربة فطلبوا الحناء.

وبالجملة فقد اخترق هؤلاء المجاهدون البالغ عددهم عشرة ومائة رجل، صفوف المحاصرين، ومروا دون أن يصاب واحد منهم قط بأذى، اللهم إلا رجلٌ واحدٌ سقط في الخندق وكسرت ساقه فحمله رفقاؤه على أكتافهم، وذهبوا به إلى القلعة. وبهذا صارت كردكوه محكمة مرة أخرى.

وفي ليلة الأربعاء الأخيرة من ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وستمائة، قتل علاء الدين حاجبه حسن المازندراني ببلطة في مكان يدعى (سركوه) بينما كان غارقاً في نومه وهو سكران، وذلك بالاتفاق مع خورشاه بن علاء الدين، فعين خورشاه حاكماً للإسماعيلية مكان أبيه. وقد أتهم عدة أشخاص بقتل علاء الدين. ورغم أن حسن المازندراني هو الذي قتله بناء على مشورة ابنه خورشاه، إلا أن هذا الأخير لم يستطع الاعتماد عليه؛ فكتب إليه رسالة،

وأعطاها فدائياً حتى يذهب إليه ويسلمها إياه. فلما شغل حسن المازندراني بالقراءة، قتله ذلك الفدائي. ثم أعلن خورشاه أنه قتل حسناً لأنه هو الذي قتل والده، وأمر بحرق أولاده في الميدان. وبعد ثلاثة أيام، أي يوم الأحد السادس والعشرين من ذي الحجة من تلك السنة استؤنف القتال.

ولقد أرسل هولاكو خان الملك شمس الدين كرت برسالة، إلى ناصر الدين المحتشم في قلعة (سرتخت) يدعوه إلى الدخول في طاعته[1]. وكان حينذاك قد هرم وضعف، فامتثل للأمر وقصد هولاكو في صحبة الملك شمس الدين في السابع عشر من جمادى الأولى، وقدم له أنواعاً كثيرة من التحف والهدايا، بعد أن قبل الأرض بين يديه. فتعطف هولاكو وقبل تلك الهدايا وقال له: "إنك نزلت من القلعة، وقبلت الخضوع لإنقاذ حياة زوجتك وأبنائك. فلماذا لم تنزل معك سكان القلعة وتحثهم على التسليم؟!." فأجاب ناصر الدين: "إن لهم ملكاً يدعى خورشاه يأتمرون بأمره".

---

(1) هو ناصر الدين أبو الفتح عبد الرحيم بن أبي منصور. كان رجلاً كريماً فاضلاً يقرب إليه العلماء والأدباء، ويميل إلى مجالستهم. عاش في بلاطه في قهستان فترة طويلة، العالم الكبير خواجه نصير الدين الطوسي، وألف له كتاب (أخلاق ناصري) باللغة الفارسية في حدود سنة (٦٢٣هـ/١٢٣٥م) وقدمه باسمه.

بعد ذلك أنعم عليه هولاكو خان بلوحة ذهبية (بايزه)[1] ومرسوماً (يرليغ)[2]، ونصبه حاكماً على مدينة (تون)، إلى أن توفي في شهر صفر سنة (٦٥٥هـ/١٢٥٧م). وكان هولاكو خان ينتقل من مكان إلى آخر حتى إذا ما بلغ حدود زاوه[3]، وخواف[4] اعتلت صحته قليلاً. ثم عهد إلى ايلكا وكيتوبوقا نويان وغيرهما من الأمراء بفتح باقي ولاية الإسماعيلية. فلما بلغوا حدود قهستان قاومهم الرعاع إلى حد ما. ولكن المغول أسروهم جميعاً في مدة أسبوع، وخربوا الأسوار، وأعملوا القتل والغارة في السكان وأخذوا الأسرى. وفي السابع من ربيع الآخر(سنة٦٥٣هـ/١٢٥٥م) وصلوا إلى أبواب مدينة تون، ونصبوا المجانيق، واستأنفوا القتال.

وفي اليوم التاسع عشر من شهر ربيع الآخر استولوا على المدينة، وقتلوا جميع السكان ما عدا أرباب الحرف، ثم قصدوا معسكر هولاكو خان مظفرين منصورين. ومن هناك توجه الجميع إلى طوس.

وحين بلغ هولاكو خان مدينة طوس، نزل في حديقة كان قد أنشأها (أرغون آقا). وهناك أقيمت خيمة نسجت من نسيج كان قد أعد بناء على أمر

---

(1) البايزه: كانت عبارة عن لوحة من الذهب أو الفضة، وفي بعض الأحيان من الخشب وذلك على حسب رتب الأشخاص، وينقش على وجهها اسم الله واسم السلطان وعلامة خاصة، وتهدى إلى الأشخاص الذين يتمتعون بثقة المغول. كما أنها تتضمن أمر الملك لسفرائه، ويتمتع حاملها بامتيازات خاصة فله الطاعة على كل من في الدولة المغولية.

(2) يرليغ: كلمة مغولية بمعنى حكم أو قرار أو أمر، ثم استعملت لأمر او تفويض صادر من السلطان مباشرة إلى الأشخاص الممتازين. يقول القلقشندي: "اليرالغ هي المراسيم" (انظر صبح الأعشى، ج٤ص٤٢٨، ٤٢٣).

(3) كوره بخراسان (انظر القزويني: آثار البلاد، ص٢٥٦).

(4) مدينة بخراسان بالقرب من نسا، كبيرة آهلة ذات قرى وبساتين ومياه كثيرة (انظر القزويني آثار البلاد، ص ٢٤٤).

الخاقان من أجل هولاكو خان. وبعد مدة انتقل هولاكو إلى حديقة المنصورية، التي كان أرغون آقا قد أعاد تعميرها بعد خرابها. وهناك قدم نساء الأمير أرغون والخواجة عز الدين طاهر المآكل والمشرب.

وفي اليوم التالي انتقلوا إلى مراعي (رادكان). ولما كان هذا المكان جميلاً للغاية فقد أقاموا فيه عدة أيام، وجلبوا الشراب والعلف الكثير من مرو، وباورد[1]، ودهستان[2] والولايات الأخرى، وبعد ذلك جاءوا إلى مدينة خبوشان التي يسميها المغول (قوجان)، وكانت قد خربت وأهملت منذ بدء وصول جيوش المغول، فأمر هولاكو خان بتجديد عمارتها، ودفع التكاليف اللازمة من الخزانة، حتى لا يتحمل الرعايا عبء هذه النفقات. ثم حفرت الكظائم (الكهاريز) وشيدت المصانع، وأقيمت حديقة بجوار المسجد. وقد تبرع سيف الدين آقا، الذي كان وزيراً ومديراً بالمبالغ اللازمة لتعمير هذا المسجد. ثم دعا هولاكو الأمراء والأعيان ليقيم كل منهم منزلاً هناك يتفق مع قدرته ومرتبته.

ثم أمر هولاكو بالمسير، وكان قد أوفد بكتيمور قورجي وظهير الدين سبلار البيتكجي (الكاتب) وشاه أمير برسالة إلى خورشاه سلطان الملاحدة؛ فذهبوا إليه وأبلغوه ما أمر به هولاكو خان، ثم عادوا بعد أداء مهمتهم في التاسع من جمادى الآخرة. وفي اليوم نفسه وصل جيش المغول إلى قلاع الملاحدة وشرع في الهجوم.

وفي العاشر من شعبان سنة أربع وخمسين وستمائة، قدم هولاكو إلى خرقان وبسطام، وأرسل مِرْ كِتايْ شحنة هراة، بصحبة منكلمش برسالة أخرى إلى ركن الدين خورشاه، وأمرهما بتخويفه وتهديده ووعيده.

---

(1) تسمى أيضاً أبيورد وهي مدينة بخراسان بالقرب من سرخس (انظر القزويني، آثار البلاد، ص١٩٢).

(2) مدينة بطبرستان.

وفي ذلك الوقت كان مولانا السعيد الخواجه نصير الدين الطوسي، الذي كان أكمل وأعقل عالم، وجماعة آخرون من الأطباء - منهم رئيس الدولة وأبناؤه - يقيمون لدى ملك الإسماعيلية مكرهين، وكانوا قد رأوا أفعاله السيئة، ووجدوا الظلم والتعدي متأصلين فيه، وشاهدوا مخايل الجور بادية على أحواله، وكانوا قد ملوا ملازمة الملاحدة ونفروا منهم، ومالوا إلى هولاكو خان إلى أقصى حد[1]. ومن قبل كانوا يرغبون في ذلك، فصاروا يتشاورون سراً لكي يجعلوا هذا الملك يخضع لهولاكو على الوجه الأحسن والطريق الأسهل، وانضم إليهم كثير من الغرباء والمسلمين، واتفقوا جميعاً على تحقيق هذا الهدف. ولهذا السبب لم يدخروا وسعاً في حث خورشاه على الخضوع والطاعة، وصاروا يخوفونه مغبة المقاومة وعدم التسليم فاستجاب لنصحهم، وأكرم وفادة الرسل، وأوفد أخاه الأصغر شاهنشاه والخواجه أصيل الدين الزوزني، مع طائفة أخرى من أعيان مملكته إلى هولاكو إظهاراً للخضوع والطاعة. فأمر هولاكو بإعزازهم وإكرامهم، وعين الرسل مرة أخرى لكي يذهبوا مع صدر الدين وظهير الدين وتوكُل بهادر وبخشي وما زوق، برسالته إلى خورشاه ليخبروه أنه إذا كان قد قبل الخضوع والتسليم حقاً، فإن عليه أن يخرب القلاع، ويمثل بنفسه أمام هولاكو. فأجاب خورشاه: "إذا كان أبي قد أظهر التمرد والعصيان فإني أظهر الخضوع والطاعة". وقد بر بوعده فخرب أجزاء من قلاع مثل: هامون دز، وآلموت، ولامسار، وحطم أبراجها، ورمى أبوابها واشتغل بتخريب أسوارها وحصونها. ولكنه طلب مهلة

[1] لقد بقي نصير الدين الطوسي إسماعيلياً حتى وفاته، وإن لجأ إلى التستر فترة لحماية نفسه وأسرته، وليخدم ما استطاع جماعته.

سنة يغادر بعدها القلعة. فعرف هولاكو خان أن وقت النكبة لهذا الأمير قد حل، وأنه لا داعي لتردد الرسل عليه لأنه سوف لا يؤثر فيه ذلك.

وفي العاشر من شعبان سنة أربع وخمسين وستمائة من الهجرة، غادر هولاكو بسطام وتوجه نحو قلاع الملاحدة. وأمر بأن تجتمع الجيوش الموجودة في العراق وغيرها من الأطراف، فكان على الميمنة بوقاتيمور وكوكا ايلكا وقد أخذا طريق مازنداران، وعلى الميسرة تكودر أوغول وكيتو بوقا نويان، اللذان قدما من طريق خوار وسمنان. وأما هولاكو خان فقد اتخذ موضعه في القلب الذي يطلق عليه المغول كلمة (قول) على رأس عشرة آلاف من المحاربين المشهورين.

شعر:

"لقد ساروا فصار وجه الأرض مغبرا،

وكأن مثار النقع ليل تهاوى كواكبه"

ومرة أخرى أرسل في المقدمة رسلاً ينذرون: "لقد عقدنا العزم أنه إذا جاء خورشاه بنفسه لاستقبالنا، فإننا سنعفو عنه رغم جرائمه العديدة". ولما جاوزت رايات الغازي المنتصرة مدينة فيروز كوه عاد الرسل بصحبة الوزير كيقباد، وتعهدوا لهولاكو بتخريب القلاع، والتمسوا إليه أن يرجئ رحيل خورشاه عن القلاع لمدة عام، وأن تستثنى من التخريب قلعتا آلموت ولامسار، اللتان تكونان المقر الأصلي القديم للملاحدة، على أن يسلم خورشاه بقية القلاع، ويطيع كل ما يصدر إليه من أوامر. وقد كتب خورشاه إلى حكام كردكوه وقهستان يأمرهم بالمسير طائعين إلى هولاكو، وظن أنه بتلك الإجراءات يستطيع دفع المقدور الكائن. وعندما وصلت رايات الغازي المنتصرة إلى ولاية لارودماوند، أرسل شمس الدين كيلكي إلى كردكوه ليحضر إليه مقدَّمها.

بعد ذلك توجه هولاكو إلى فِرّان وحاصر شاه دز التي كانت تقع في طريقها وفتحها في يومين. ثم أرسل الرسل مرة أخرى، ليحثوا خورشاه على التسليم،

فأعاد هذا الرسل، وقبل أن يرسل ابنه مع ثلاثمائة من الجنود، كما قبل أن يخرب جميع القلاع. وفي مدينة عباس آباد الري، توقف هولاكو خان وصار يترقب تنفيذ الوعود.

وفي السابع عشر من رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة، أرسل خورشاه إلى هولاكو، ابنه الذي كان في السابعة أو الثامنة من عمره، وكان قد أنجبه من محظية، بصحبة طائفة من الأكابر والأعيان، فأكرم هولاكو خان الغلام وأعزه وأذن له بالعودة لأنه لا يزال صغيراً، ثم صرح هولاكو للرسل بأنه "إذا لم يستطع ركن الدين أن يحضر سريعاً، فإن عليه أن يرسل أخاه الآخر حتى يعود (شاهنشاه) الذي بقي ملازماً لنا منذ عدة سنوات".. فأطاع ركن الدين الأمر، وأوفد إلى هولاكو في الخامس من شوال، أخاه الآخر شروانشاه والخواجه أصيل الدين الزوزني مع ثلاثمائة من كبار الشخصيات المسئولين، فتشرفوا بمقابلته في ضواحي الري. وفي التاسع من شوال عاد شروانشاه يحمل معه منشوراً من هولاكو يشتمل على العبارة الآتية: "نظراً لما أظهره ركن الدين من طاعة وخضوع، فقد عفوت عما ارتكبه أبوه وأتباعه من جرائم وأخطاء. وحيث إنه لم يصدر أي جرم من ركن الدين نفسه خلال المدة التي عمل فيها مكان أبيه، فإنه إذا خرب القلاع فسوف يأمن بأسنا من جميع الوجوه". ثم أمر الجنود المنتشرين في مختلف الأطراف بأن يجتمعوا في معسكر واحد، وفجأة أحيط بالملاحدة من جميع الجهات. وفي ذلك الوقت اقترب بوقاتيمور وكوكا ايلكا مع قواتهما من أسندان، فأرسل إليهم خورشاه رسالة مضمونها: "إننا إذ خضعنا وإذ نشتغل الآن بتخريب القلاع فما سبب قدومكم إلينا". فأجابوه: "ما دمنا وإياكم على وفاق، فقد جئنا طلباً للعلف".

وفي العاشر من شوال سنة أربع وخمسين وستمائة، رحل هولاكوخان من بسكله متخذاً طريق طالقان، واستعد للهجوم على حدود ولاية الملاحدة. ولو

أن المطر لم يسقط مدراراً في تلك الليلة، لقبض على خورشاه في أسفل القلعة. وفي الثامن عشر من شوال بسطت الشمس ظلها على موضع مقابل لميمون دز من ناحية الشمال، وفي اليوم التالي كان هولاكو يطوف حول القلعة على سبيل الرؤية وتفحص المواقع الصالحة لإدارة المعارك، كما كان يشاهد بدقة مداخل القلعة ومخارجها. وفي اليوم التالي وصلت الجيوش بعظمة تامة تجل عن الوصف، وأحاطت بالقلعة من جميع جوانبها. وقد امتد الحصار الذي ضربوه حولها إلى ما يقرب من ستة فراسخ. ولكن حينما تعذر فتح هذه القلعة لمناعتها، استشار هولاكو خان النبلاء والأمراء فيما يتعلق باستمرار الحصار أو العدول عنه، والعودة أو التوقف والانتظار حتى السنة المقبلة. فردوا عليه: "إننا في وقت الشتاء، وحيواناتنا نحيفة عجفاء، والعلف معدوم، ويجب المبادرة بنقل العلف من ناحية بلاد الأرمن أو حدود كرمان، فمن الأفضل أن نعود إلى قواعدنا". ولكن بوقاتيمور وسيف الدين البيتكجي والأمير كيتوبوقا، أصروا على الاستمرار في محاصرة القلعة. فبعث أولاً هولاكو رسولاً مرة أخرى برسالة إلى خورشاه يخاطبه فيها بعبارات فيها الترغيب والترهيب، ويعرض عليه فيها أنه إذا نزل من القلعة، وترك المقاومة، وتوجه إلى معسكر الخان، فإن تصرفه هذا يكون سبباً في إنقاذ طائفة كبيرة من الضعفاء والمساكين. وإذا لم يقدم نفسه خلال خمسة أيام، فإن عليه أن يستحكم في قلاعه ويستعد للقتال.

فلما استشار خورشاه الأمراء والأعيان في ولايته، صار كل منهم يقول ما يمليه عليه رأيه. وأخيراً استقر الرأي على أن يرسل إلى هولاكو خواجه نصير الدين الطوسي - نور الله قبره - مع طائفة من الوزراء والأعيان والكفاة والأئمة، يحملون التحف والطرائف الكثيرة، فوصلوا إلى معسكر الإيلخان في يوم

الجمعة السابع والعشرين من شوال فأنزلهم المغول في أماكن متفرقة، وتحدثوا إليهم الواحد بعد الآخر.

وفي يوم الأحد غرة ذي القعدة سنة أربع وخمسين وستمائة، نزل خورشاه من القلعة بناء على مشورة أعيان الدولة، وتوجه إلى هولاكو في صحبة الخواجة نصير الدين الطوسي، والخواجه أصيل الدين الزوزني، والوزير مؤيد الدين، وأبناء رئيس الدولة. فودع بذلك هذا الحصن الذي ظلت أسرته تتخذه مقراً لها مدة قرنين. ثم جاء فقبل الأرض بين يدي السلطان الأعظم. وقد أنشد الخواجه نصير الدين الطوسي في تاريخ هذا الحادثة هذين البيتين:

شعر:

"عندما صارت السنة الهجرية أربعاً وخمسين وستمائة،

وفي صباح يوم الأحد الموافق غرة ذي القعدة،

- قام خورشاه ملك الإسماعيلية من على عرشه،

ووقف بين يدي هولاكو".

وحينما وقع نظر هولاكو خان على خورشاه، عرف أنه غلام غير مجرب يعوزه الرأي والتدبير، فأعزه وأكرمه وشجعه ووعد بمساعدته، وأرسل من قبله صدر الدين، فتسلم من خورشاه جميع الحصون والقلاع التي كان يملكها آباؤه وأجداده على التوالي في قهستان ورودبار وقومس، والتي كانت مشحونة بالآلات والذخائر. وقد بلغ عدد هذه القلاع نحو المائة. وبعد إخراج الحكام خربت جميعها ما عدا كرد كوه ولامسار. وفي القلعة الأخيرة اعتصم أقارب خورشاه وأتباعه وظلوا يقاومون مدة سنة. وبعد ذلك انتشر الوباء بين المعتصمين فأهلك كثيرين منهم، ونزل الباقون ولحقوا بالآخرين. وأخيراً

سقطت أيضاً كرد كوه في يد المغول، بعد أن استمرت تقاوم مدة عشرين سنة[1].

وصفوة القول أن خورشاه قد أنزل جميع ما يتعلق به من قلعة ميمون دز، وأهدى إلى هولاكو جميع الخزائن والدفائن الموروثة والمكتسبة، مما لم يكن ذائع الصيت، فوزعها هولاكو على قواد جيشه.

بعد ذلك انتقلت راية الغازي من هذا المكان إلى قاعدة آلموت، وأرسل إليها ركن الدين خورشاه ليحث المدافعين على التسليم، ولكن قائد القلعة تمرد وعصى، فكلف هولاكو خان (بلغايي) بمحاصرة تلك القلعة، وقام المغول بالهجوم عليها يومين أو ثلاثة، ثم أرسل هولاكو إلى المحاصرين منشوراً يؤمنهم على حياتهم.

وفي يوم الاثنين السادس والعشرين من ذي القعدة، نزل قائد القلعة وسلمها لهولاكو، فصعد المغول إليها، وكسروا المجانيق، وخلعوا الأبواب. أما السكان فقد طلبوا مهلة ثلاثة أيام لنقل أمتعتهم. وفي اليوم الرابع اقتحم الجنود القلعة، وأعملوا فيها الغارة والنهب. ثم صعد هولاكو خان فوق قلعة آلموت لرؤيتها، فدهش جداً لعظمة ذلك الجبل، ثم نزل وارتحل، وأمضى عدة أيام حوالي لامسار حيث كان يشتو، وهناك ترك قائده (طاير بوقا) على رأس جيش لمحاصرة القلعة، ثم قفل راجعاً في السادس عشر من ذي الحجة سنة أربع وخمسين وستمائة.

وفي يوم الاثنين السابع والعشرين من الشهر المذكور نزل في معسكره الكبير على بعد سبعة فراسخ من قزوين، للاحتفال بعيد رأس السنة. وقد

---

[1] قلعة كردكوه، بالعدد القليل من الإسماعيليين المتحصنين فيها، يقاومون المغول الغزاة مدة عشرين سنة حسب اعتراف مورخ المغول (الجويني)، اليس هذا مؤشر على قوة بأس المتحصنين، وشدة تمسكهم بعقيدتهم والدفاع عنها.

استمرت الولائم سبعة أيام، عطف فيها هولاكو خان على النبلاء والأمراء ومنحهم الخلع[1].

ولما تأكد هولاكو من صدق وإخلاص الخواجة نصير الدين الطوسي وأبناء رئيس الدولة وموفق الدولة، الذين كانوا أطباء كباراً مشهورين أصلهم من همذان، شملهم بعطفه وإنعامه، وأعطاهم الخيول اللازمة لحمل أهلهم ومواليهم وأقاربهم مع أتباعهم وخدمهم وأشياعهم، وإخراجهم من القلعة والزمهم حضرته. وهم وأبناؤهم حتى اليوم ملازمون للحضرة، ومقربون من هولاكو خان وأفراد أسرته المشهورين.

والصورة المثبتة هنا تمثل بلاط الخان، وما عومل به النبلاء والأمراء والجماعة المذكورون من عطف ورعاية.

وفي يوم الخميس العاشر من المحرم سنة خمس وخمسين وستمائة، أنعم هولاكو خان على خورشاه، مرسوماً ولوحة ذهبية (يرليغ وبايزة)، وخلع عليه، ووهبه فتاة مغولية ليتزوج منها، وأودع مدينة قزوين متاعه وحاشيته. ثم أرسل خورشاه رجلين أو ثلاثة من خاصته، مع هولاكو خان إلى قلاع الملاحدة بالشام، لدعوة الناس هناك إلى التسليم عندما تصل إليهم الرايات الهيمايونية[2].

وبعد أن انتهت حفلات الزفاف، لم يشأ هولاكو خان أن ينكث بعهده لخورشاه، وأن يقضي عليه، ذلك لأنه كان قد أمنه على حياته، ولأنه يعرف أنه ما زالت هناك قلاع كثيرة تخص الملاحدة، موجودة في هذه الديار وفي ديار الشام، يمكن استخلاصها بتوجه خورشاه ونفوذه، وإلا فإن عليه أن

(1) الخلع: الهدايا.

(2) الهيمايونية: السلطانية.

يقضي سنوات عديدة حتى يتيسر فتحها. وعلى هذا صار هولاكو يعز خورشاه ويكرمه مدة من الزمن، ثم أرسله إلى بلاد (منكوقا آن). وفيما يتعلق بحادثة موته، ترد روايات مختلفة متعارضة، أرجحها وأوثقها أنه حينما وصل خبر قدومه إلى الخان، قال: "لماذا تحضرونه وتشقون بذلك عبثاً على الدابة التي يركبها!" ثم أرسل رسولاً من قبله قضى على حياة خورشاه. ولما تخلصوا منه، قتلوا أقاربه وأفراد أسرته من النساء والرجال وحتى الأطفال الذين في المهد، فيما بين أبهر وقزوين، فلم يبق منهم أثر[1]. وقد استمر مُلْك الإسماعيلية سبعاً وسبعين ومائة سنة. وكان بدء حكمهم سنة سبع وسبعين وأربعمائة، وهو العدد الذي يكنى عنه بلفظ (آلموت)، وانتهاؤه في غرة ذي القعدة سنة أربع وخمسين وستمائة. هذا الكلام كله للجويني، الذي كان كما ذكرنا مؤرخ هولاكو، وعدو الإسماعيلية كأرباب نعمته.

(1) بقي أحد أولاد الإمام خورشاه على قيد الحياة مستمرة الإمامة من خلاله.





الفصل الثالث

شيخ الجبل الثالث

سنان راشد الدين

- . الحركة الإسماعيلية في سورية قبل سنان.
- . ولادة سنان ونشأته.
- . تعيين سنان نائباً للإمام في سورية.
- . سنان في قلاع الدعوة الإسماعيلية السورية.
- . علاقة سنان بآلموت.
- . سنان والزنكيين.
- . سنان وصلاح الدين الأيوبي.

محاولات الإسماعيليين اغتيال صلاح الدين وتهديده.

- . سنان والصليبيين.
- . فدائية سنان.
- . وفاة سنان راشد الدين.
- . أوضاع إسماعيلية سورية بعد سنان.

. الحركة الإسماعيلية في سورية قبل سنان:

كانت سورية وما تزال الجسر الذي يربط أفريقية العربية بالمشرق العربي والإسلامي. وكان الدعاة الإيرانيون في العهد الفاطمي يذهبون إلى مصر عن طريق سورية. كما كانت وفود الدولة الفاطمية إلى إيران تتم عبر سورية. ولما كانت طموحات الحسن بن الصباح كبيرة، لذا كان يفكر بتوسيع دعوته في أقاليم أخرى. فكانت الأجزاء الغربية الجبلية في سورية الهدف الثاني له، لكونها تؤمن الحماية والحركة للإسماعيلية، بجانب أنها مسكونة من فرق شيعية يسهل التأثير فيهم، والدعوة لهم للانضمام إلى المذهب الإسماعيلي. بجانب ضعف السلطة في سورية، لتعدد اتجاهاتها من: السلاجقة في الداخل والشرق، والفاطميون في الغرب، والصليبيون الذين توافدوا حديثاً، وسيطروا على أنطاكية والقدس وطرابلس وأديسا.

وكان أمراء السلاجقة في المدن السورية في حالة صراع، خاصة الصراع بين حاكم دمشق الأمير دقاق، وأخيه رضوان حاكم حلب، وجناح حاكم حمص وصهر رضوان.

وكانت حلب من المراكز الهامة في تاريخ الحركة الإسماعيلية. فلم تخل منذ القرن الثاني الهجري، من دعاة يروّجون للدعوة الإسماعيلية، التي مال إليها الكثيرون في العهد الفاطمي في نواحي حلب (سرمين، الجوز، جبل السماق، بني عليم، بزاغة، الباب، واعزاز..)[1].

وعن أوضاع الإسماعيلية وقوتهم وما حلّ بهم في ريف حلب (بزاغة، الباب)، يذكر (ابن جبير) في رحلته إلى تلك المنطقة التي تمت في نحو سنة (٥٨٠هـ/

[1] جبل السماق: هو ما عرف به جبل الزاوية.



١١٨٤م)، ما يلي[1]: ((ويناظر إعزاز في جانب البطحاء قرية كبيرة تعرف بالباب، هي باب بين بزاغة وحلب، وكان يعمرها منذ ثماني سنين قوم من الملاحدة الإسماعيلية لا يحصي عددهم إلا الله، فطار شرارهم، وقطع هذه السبيل فسادهم وأضرارهم، حتى داخلت أهل هذه البلاد العصبية، وحركتهم الأنفة والحمية، فتجمعوا من كل أوب عليهم، ووضعوا السيوف فيهم، فاستأصلوهم عن آخرهم، وعجلوا بقطع دابرهم، وكوّمت بهذه البطحاء جماجمهم، وكفى الله المسلمين عاديتهم وشرهم، وأحاق بهم مكرهم)).

ولقد تمكنت الدعوة الإسماعيلية في منطقة حلب، وتكاثر أتباعها في أواخر القرن الخامس الهجري، عندما كانت الدولة الإسماعيلية النزارية في إيران قد بلغت القوة والمنعة في بداية عهد الحسن بن الصباح الذي أرسل إلى حلب الحكيم المنجم كبيراً للدعاة في سورية. وقد استطاع الحكيم المنجم بخبرته وقوة حجته أن يجذب إليه الملك رضوان بن تتش بن ألب أرسلان الذي آلت إليه ولاية حلب بعد موت أبيه تاج الدولة تتش، وأصبح رضوان حليفاً للإسماعيلية، بل ومنتسباً لمذهبهم، وليس أدل على ذلك مما ذكره المؤرخ (كمال الدين) في كتابه (تاريخ حلب) عن علاقة الحكيم المنجم بالملك رضوان بقوله: "واستمال الحكيم رضوان إلى الباطنية، وظهر مذهبهم في حلب، وشايعهم رضوان، وحفظ جانبهم، وصار لهم بحلب الجاه العظيم، والقدرة الزائدة، وصارت لهم دار دعوة بحلب في أيامه، وكاتبه الملوك في أمرهم، فلم يلتفت ولم يرجع

---

(1) عاش ابن جبير خلال الفترة (٥٣٩ - ٦١٤هـ/ ١١٤٢ - ١٢١٧م)، وأنجز رحلته الكبيرة خلال ثلاث سنوات (٥٧٨ - ٥٨١هـ/ ١١٨٢ - ١١٨٥م). وكان وصول (ابن جبير) إلى بزاغة في يوم السبت الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة (٥٨٠هـ) الموافق إلى الثالث والعشرين من شهر حزيران سنة (١١٨٤م).

عنهم". من هذا نرى أن الدعوة الإسماعيلية وجدت لها من حاكم حلب أكبر عون، فكان هذا دليلاً على نجاحها هناك في المستقبل.

وقبل انضمام رضوان للإسماعيلية كان عدد الإسماعيليين في حلب لا يزيد عن (٢٠٠) شخص في حالة التستر. وبعد انضمام رضوان ازداد عددهم زيادة كبيرة في المدينة والريف. ولقد ترتب على الحرب التي قامت بين رضوان حاكم حلب وجناح حاكم حمص عند سرمين من أعمال حلب سنة (٤٩٥هـ) هزيمة رضوان. في حين هرب الداعي الإسماعيلي الحكيم المنجم إلى مكان مجهول، ليخطط مع رضوان على اغتيال حاكم حمص في السنة نفسها (٤٩٥/١١٠٢م) في مسجد بحمص بهجوم ثلاثة من الفدائيين الإسماعيليين عليه كانوا بلباس الدراويش.

أعقب الحكيم المنجم - الذي توفي سنة (٤٩٧هـ) - في قيادة الإسماعيلية في سورية الداعي أبو طاهر الصائغ، وهو من أصل فارسي، وجعل مركزه مدينة حلب التي كان ما يزال رضوان حاكماً لها. وقد تمكن هذا الداعي بموافقة رضوان من وضع يده على حصن سرمين الذي تمركز فيه أحد كبار الدعاة في سورية وهو أبو الفتح (أبو الفتح السرميني).

وفي (٣) شباط من عام (٤٩٩هـ/١١٠٦م) تمكن الإسماعيليون بقيادة أبي الفتح من الاستيلاء على قلعة أفاميا وقتل صاحبها خلف بن مُلاعب. ولكن لم تستمر طويلاً سيطرة الإسماعيليين على هذه القلعة وكذلك حصن سرمين، نتيجة الهجوم الصليبي الذي قاده (تنكرد) أمير أنطاكية الصليبي على الحصنين سنة (٥٠٠هـ/١١٠٦م) وتم القبض على أبي الفتح وقتله. كما هرب

أبو طاهر إلى آلموت ليشرح للحسن بن الصباح ما حدث[1]، وليتلقى منه التوجيهات وليعود إلى حلب حيث حليفه حاكمها رضوان.

وفي سنة (١١١٣م/ربيع الأول٥٠٧هـ) اغتال أحد الفدائية الإسماعيلية بمساعدة حليف الإسماعيلية رضوان، حاكم الموصل السلجوقي (مودود) في دمشق بعد انتهائه من صلاة الجمعة. وبعد ذلك بمدة في السنة نفسها توفي رضوان حاكم حلب حليف الإسماعيلية وخلفه ابنه ألب أرسلان.

وهكذا انتقم الإسماعيليون لأنفسهم من مودود أولاً، ولما فعله والده (ألتونتاش) معهم في المشرق ثانياً.

ولقد بقيت الإسماعيلية في حلب قوة لا يستهان بها في عهد حاكمها رضوان بن تتش. كما أنهم نشروا نفوذهم ومبادئهم إلى دمشق. وفي ذلك يقول كمال الدين صاحب كتاب (تاريخ حلب) ما يلي: "وكان أمر الباطنية قد قوي بحلب في أيام رضوان، وبايعهم خلق كثير على مذهبهم طلباً لجاههم، وصار كل من أراد أن يحمي نفسه من قتل أو ضيم التجأ إليهم. وصار لهم بمدينة حلب دار دعوة، وعظم شأنهم، وصار كل من جنى جناية وانتسب إليهم منعوه وحرسوه، وكاتبوا الملوك في أمره حتى يخلصوه، فكثر بذلك أتباعهم وأشتهر أمرهم، واشتدت شوكتهم. وصار الرجل منهم يلقى الرجل من غيرهم، فينزع عنه ثيابه، ولا يقدر على الامتناع منه، ولا يجد ناصراً. ويلقى أحدهم المرأة والصبي في الطريق فيقبضه ويذهب به أنى شاء، ولا يقدر أحد على استخلاصه. وليس هذا فقط بل إنهم رغبوا في أخذ قلعة حلب".

(1) تشير بعض المراجع إلى أن أبا طاهر الصائغ تم أسره من الصليبيين، ثم أطلق سراحه بعد أن افتدى نفسه بمال كثير.

وفي عهد ألب أرسلان بن رضوان، عانت الإسماعيلية في حلب معاناة كثيرة، إذ أقدم هذا الحاكم السني السلجوقي المتعصب على قتل الكثيرين ومصادرة أملاك العديدين وتهجير من بقي، وممن قتل الداعي الكبير أبو طاهر الصائغ، وكذلك الداعي إسماعيل أخو المنجم الحكيم. ومن الدعاة الذين تمكنوا من الفرار والنجاة بأنفسهم: حسام الدين بن دملج الذي هرب إلى مدينة الرقة وبقي فيها حتى توفي، وإبراهيم العجمي. وهكذا كانت مذبحة حلب الكبرى للإسماعيليين.

غير أن حدوث هذه المذبحة المروعة، لم ترهب الإسماعيليين وتخيفهم، فدعوتهم حققت رواجاً في عموم أنحاء سورية، وجعلتهم يتوجهون نحو المناطق الأكثر تحصيناً والأسهل عليهم الحركة فيها، مما مكنهم من تكوين مجتمعات إسماعيلية خالصة بها. وبعد مقتل ابي طاهر قاد الحركة الإسماعيلية الداعي إبراهيم العجمي أحد الزعماء الإسماعيليين الذي تمكن من الإفلات من مذبحة حلب، ولجأ إلى جماعة من الإسماعيلية كانوا يقطنون في شيزر التي وفدت إليها أعداد أخرى من إسماعيلية حلب وريفها، فلما كثر عددهم استطاعوا امتلاكها في سنة (٥٠٧هـ/١١١٣م)، وهذا ما يوضحه (ابن القلانسي) بقوله: "ورد الخبر من شيزر بأن جماعة من الباطنية من أهل أفاميا وسرمين ومعرة النعمان ومعرة مصرين، في فصح النصارى، وثبوا على حصن شيزر في غفلة من أهله بمائة رجل، فملكوه وأخرجوا جماعته وأغلقوا باب الحصن، وصعدوا إلى القلعة فملكوها وأبراجها"[1].

(1) كان أمراء القلعة والجند وغيرهم، يحضرون الاحتفال بعيد الشعانين في مدينة حماه، عند احتلال القلعة. ويحتفل بعيد الشعانين سنوياً في يوم الأحد (أحد الشعانين) السابق لأحد الفصح (عيد الفصح).

ويقول (ابن الفرات) في احتلال الإسماعيلية لشيزر ما يلي: "بعد الإيقاع بالإسماعيلية الباطنية في حلب، تجمعوا إلى شيزر، وصار بها جماعة كثيرة، ورتبوا أحوالهم، وفكروا في تحصين حصن شيزر. والذي جذبهم إلى هذا الحصن حسن موقعه، فقد كان يستقر فوق جبل منيع يتعذر الوصول إليه، ويقع بالقرب من نهر الأورنت (العاصي). فكان الدافع إلى امتلاكه هو حسن موقعه أولاً، والرغبة في الاستقرار ببلاد الشام ثانياً. أما طريقة احتلالهم هذا الحصن فإنه ما كاد أمراؤه من بني منقذ يخرجون منه يوم الشعانين لمشاهدة حفلات ذلك اليوم حتى انقض النزارية عليه واحتلوه. وهكذا اغتنم الإسماعيلية الباطنية الذين تجمعوا بشيزر، خلو البلاد من العامة وخلو القلعة من الأمراء والجند، واجتمعوا ووثبوا إلى الحصن وملكوه". غير أن الإسماعيليين لم يتمكنوا من الاحتفاظ بقلعة شيزر طويلاً، حيث عاد أصحابها الأوائل من بني منقذ وقاموا باحتلالها، وقتلوا العديد من الإسماعيليين، بما في ذلك الداعي إبراهيم العجمي.

وبعد إبراهيم العجمي تولى مركز كبير دعاة الحركة الإسماعيلية في سورية الداعي **بهرام ابن اخت الأسد اباذي** الذي قدم من آلموت. ولقد استطاع خلال فترة قصيرة أن يعيد تنظيم الحركة الإسماعيلية، ويزيد من عدد المنظمين فيها وخاصة من أهالي حلب، وبعدها دمشق التي دعاه إليها حاكمها طغتكين ضيفاً ينزل عنده وكان يدعمه الوزير عند طغتكين أبو طاهر بن سعد المرغيناني، الذي أشار على طغتكين بأن يعطي قلعة بانياس لبهرام وجماعته، وهذا ما حدث. وليرسل بهرام دعاته من قلعة بانياس إلى مناطق عدة في سورية، وليقوم هو أيضاً بجولة دعاية في الجبال، مكلفاً نائبه إسماعيل بأمر القلعة، متمكناً بهرام من شراء بعض الحصون والقلاع والاستيلاء على أخرى في خطة منه لاحتلال وادي التيم في منطقة بعلبك.

وفي سنة (٥٢٢هـ/١١٢٨م) قام بهرام بالهجوم على وادي التيم، ولكن أمير المنطقة (الضحاك) تمكن من هزيمة بهرام وقتله، وكذلك قُتلت أعداد كبيرة من أتباعه، وفر البقية إلى قلعة بانياس. غير أن الإسماعيلية لم يسكتوا للضحاك حيث قام فدائيون باغتياله سنة (٥٤٤هـ/١١٤٩م).

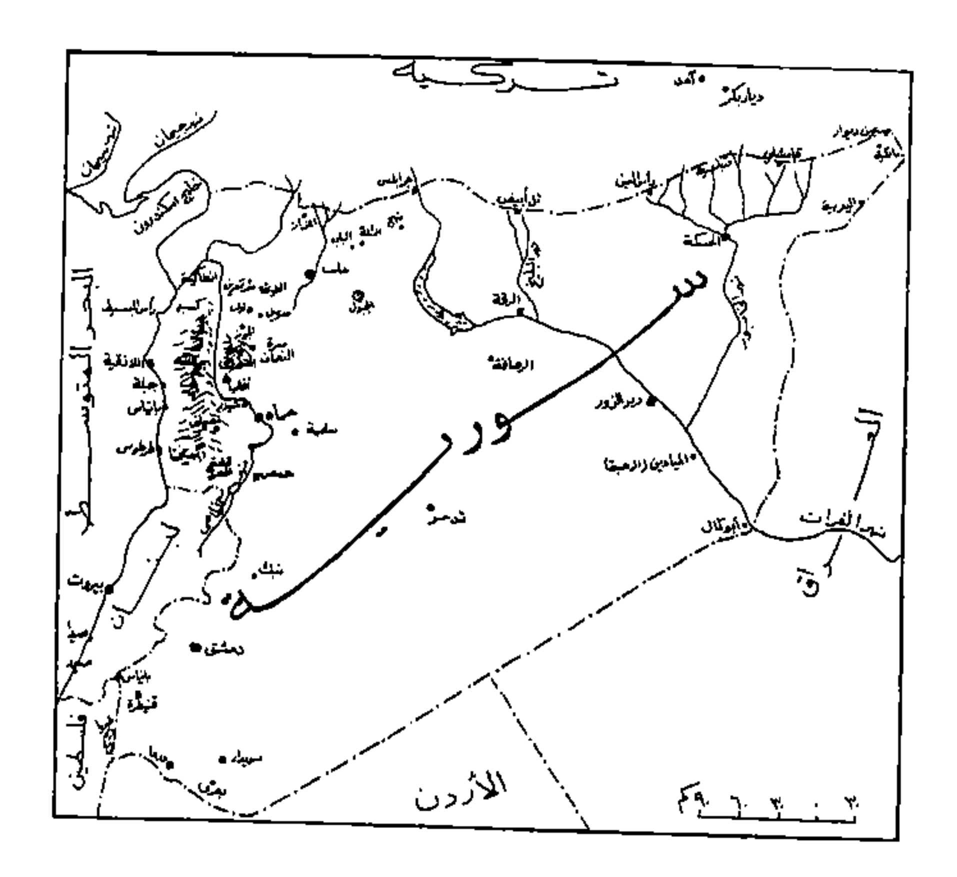
وتسلم زعامة الإسماعيلية بعد بهرام نائبه الداعي إسماعيل الذي كان مركزه قلعة بانياس[1]. وكان له العون الداعي **ابو الوفا** الذي قدم من آلموت إلى دمشق وأصبحت له القوة والنفوذ عند حاكمها تاج الملوك (طغتكين) بدعم أيضاً من وزيره المرغيناني. إلا أنه نتيجة لانقلاب الوزير المرغيناني وإسماعيلية دمشق ضد تاج الملوك، فقد قام تاج الملوك بقتل وزيره، وبالفتك بنحو عشرة آلاف إسماعيلي، وذلك في منتصف شهر رمضان سنة (٥٢٣هـ/١١٢٩م)، مما جعل خليفة بهرام (الداعي إسماعيل) يتخلى عن قلعة بانياس، لينتقل هو وأتباعه إلى مناطق أكثر أماناً، وليتوفى الداعي إسماعيل سنة (٥٢٤هـ/١١٢٩م). ولكن لم يطل المطال على الثار من طغتكين في سنة (٥٢٥ - ٥٢٦ هـ/١٠٣٠ -١٠٣١م).

ورغم أن الإسماعيليين خذلوا في شيزر كما خذلوا في حلب، لكنهم بقوا قوة يخشى الأمراء بأسهم. فقد تنفسوا الصعداء بموت ألب أرسلان ابن رضوان حاكم حلب، وفرحوا بتولية ايلغازي مكانه الذي حاول التقرب من الإسماعيلية والتودد إليهم، وحيث بدأ يظهر اسم الداعي الكبير **ابو محمد سلف سنان راشد الدين**، وليزداد نفوذهم في المنطقة الشمالية من سورية، وعلى الأخص في مدينتي آمد ودياربكر. ولم تأت سنة (٥١٨هـ/١١٢٤م) حتى باتوا يشكلون خطراً على السنيين في مدينة آمد الذين حاكوا مؤامرة ضد

(1) قلعة بانياس: تدعى أيضاً باسم قلعة الصبيبة وباسم قلعة النمرود.

إسماعيلية المدينة، كان من نتيجتها قتل نحو (٧٠٠) رجل إسماعيلي. وبتولي (بلاق بن بهرام) حكم حلب خليفة لايلغازي سنة (٥١٧هـ/١١٢٣م) الذي أظهر العداء للإسماعيليين بعد توليه الحكم بقليل[1]، ليطردوا الإسماعيلية من المدينة بما في ذلك زعيمهم أبو محمد متجهين إلى جبال البهراء وإلى دمشق[2].

شكل (١٤) مناطق الدعوة الإسماعيلية في سورية.



شكل (١٤) مناطق الدعوة الإسماعيلية في سورية

(1) بلاق بن بهرام: ليس ابن بهرام الداعي الإسماعيلي سابق الذكر.

(2) جبال البهراء: هو الاسم الذي تعرف به الجبال الساحلية السورية، والتي عرفت أيضاً بجبال العلويين.

ولقد حاول الإسماعيليون استعادة قوتهم وسلطانهم، بالحصول على العديد من القلاع في جبال البهراء، تارة بالشراء - حيث اشتروا قلعة القدموس سنة (٥٢٧هـ/١١٣٢م) من صاحبها ابن عمرون -، وتارة بالقتال وأخرى بالحيلة، نذكر منها، قلاع: الرصافة، المينقة، الكهف، الخوابي، العليقة، مصياف (سنة ٥٣٥هـ/١١٤٠م)... وغيرها. إذ تمكنوا خلال الفترة (٥٢٥- ٥٤٥هـ) من وضع يدهم على معظم قلاع جبال البهراء، ليتخذوا من قلعة مصياف مركزاً لقيادتهم ولنشر دعوتهم، وتدريب فدائيتهم، ومركز استقطاب لموجات الإسماعيليين المضطهدين الوافدين من الشرق والغرب هرباً من السلاجقة والصليبيين والمذابح المحلية التي كان يقوم بها أبناء المناطق التي للإسماعيليين وجود فيها.

وليترأس الدعوة الشيخ أبو محمد المينقي الذي جعل مركزه في قلعة الكهف. وفي عهده وبعد تأسيس الدولة الإسماعيلية وجعل مقرها مصياف، استولى الإسماعيليون مرة أخرى على قلعة شيزر سنة (٥٥٢هـ/١١٥٧م) وبقيت في أيديهم حتى انتزعها منهم نور الدين الزنكي في عهد سنان راشد الدين سنة (٥٦٤هـ/١١٦٨م).

- ولادة سنان ونشأته:

هو سنان بن سليمان بن محمد، والمكنى بأبي الحسن، واشتهر باسم سنان راشد الدين (أبو الحسن سنان بن سليمان بن محمد).

كانت ولادته في مكان من العراق قريب من البصرة (بين البصرة وواسط) يقال له عقر السودان (**Agr alsudan**). وليس هناك من تاريخ محدد ومتفق عليه ليوم ولادته، فالبعض يحدد تاريخ ولادته في سنة (٥٣٠هـ/١١٣٥م)، والبعض الآخر يحدده بسنة (٥٢٨هـ/١١٣٣م). والتاريخ الثاني هو الأكثر احتمالاً لولادته.

ويرى البعض أن سنان وعائلته كانوا على المذهب الشيعي الإمامي الإسماعيلي، رغم أن معظم أبناء المنطقة التي ولد فيها كانوا على مذهب الشيعة الأثني عشرية، بينما يرى آخرون أن أسرته كانت على مذهب الشيعة الاثني عشرية ثم تحولت إلى الإسماعيلية عندما أصبح سنان شاباً ناضجاً ومتعلماً.

وعندما كان بعمرٍ يقارب العشرين انتقل سنان إلى آلموت والتحق بمدارس الإسماعيلية هناك (مدرسة الإمام القاهر وغيرها). حيث درس الإسماعيلية وعقائد الفلسفة ورسائل إخوان الصفاء. وكان على صلة وثيقة بالإمام القاهر (محمد بن علي بن نزار) ثالث الأئمة النزاريين في آلموت، والذي تسلم الإمامة سنة (٥٥٢هـ)، وكذلك الإمام حسن علي بن الإمام محمد الذي تسلم الإمامة سنة (٥٥٧هـ/١١٦٧م) بعد وفاة والده. حتى ليذكر البعض أن سنان راشد الدين يمت بصلة قرابة إلى الإمام القاهر، إذ تشير بعض المراجع إلى أن الإمام القاهر ابن عم سنان.

وخلال فترة قصيرة أصبح سنان بحراً من بحار العلم، وفيلسوفاً عبقرياً، يكثر من عقد المناظرات العملية الجدلية بينه وبين علماء الفرق الأخرى، بحضور عدد كبير من أتباعه، وكان يفحم كل مناظريه، ويدحض حججهم ويسفه أقوالهم.

كان سنان راشد الدين، جميل الصورة، معتدل القامة، ذا عينين سوداوين واسعتين،أحمر الوجه مع ميل إلى السمرة. فصيح العبارة، قوي الحجة، حاد البصر، سريع البديهة، لا يستطيع أن يجاريه أحد في أحكام الفلسفة والرياضيات وعلم التأويل والشعر والفلك والرياضيات. اشتهر بالمقدرة الفائقة على القيادة والسيطرة التامة على الأتباع. قوي الإرادة، طموحاً، مؤمناً، تقياً، ورعاً، عفيف النفس. شكل (١٥) صورة تخيلية لسنان راشد الدين.



شكل (١٥) صورة تخيلية لسنان راشد الدين.

. تعيين سنان نائباً للإمام في سورية:

ما أن انتهى سنان من دراسته، وأصبح حجة في علوم الدين والفلسفة، وسواهما، حتى أرسله الإمام الحسن الثاني (على ذكره السلام) بعد تسلمه الإمامة بفترة قصيرة (سنة ٥٥٧هـ/١١٦٢م) إلى سورية ليترأس الدعوة الإسماعيلية فيها ممثلاً ونائباً للإمام بدلاً من أبي محمد الذي تقدم به العمر.

ولم ينتقل سنان مباشرة إلى سورية، وإنما اتجه أولاً إلى البصرة بأمر من الإمام ليشرف على إعادة تنظيم الدعوة فيها، وليستقر فيها قرابة السنة والنصف قبل أن يتجه إلى سورية سنة (٥٥٨هـ). ولقد بدأ رحلته إلى سورية، متوجهاً من البصرة إلى الموصل، ومن ثم اتجه إلى حلب عن طريق مدينة الرقة، ليصل إلى حلب في أواخر سنة (٥٥٨هـ/١١٦٢م) حيث كانت حلب آنذاك تحت حكم نور الدين الزنكي (٥٤١ - ٥٦٩هـ/١١٤٦ - ١١٧٤م).

ولقد أقام في حلب عدة أشهر يدعو فيها إلى الإسماعيلية متخفياً فيها بزي الدراويش الصوفية. ولم يجد سنان صعوبة في إيجاد وسائل اتصال في العاصمة الزنكية مع الإسماعيليين فيها وفي ريفها الشمالي والغربي.

وكان حظ سنان كبيراً إذ اقترن تاريخ وصوله إلى حلب (٥٥٨هـ/١١٦٢م) بصراع نور الدين مع الصليبيين. وبقي سنان في حلب فترة اطلع خلالها على أوضاع الإسماعيليين في شمال سورية، إلى أن جاءه الأمر من آلموت بالتحرك إلى معاقل (Strongholds) الدعوة الإسماعيلية في سورية الوسطى، وكانت سورية عموماً خلال فترة سنان راشد الدين تحكم من قبل الزنكيين.

. سنان في قلاع الدعوة الإسماعيلية السورية:

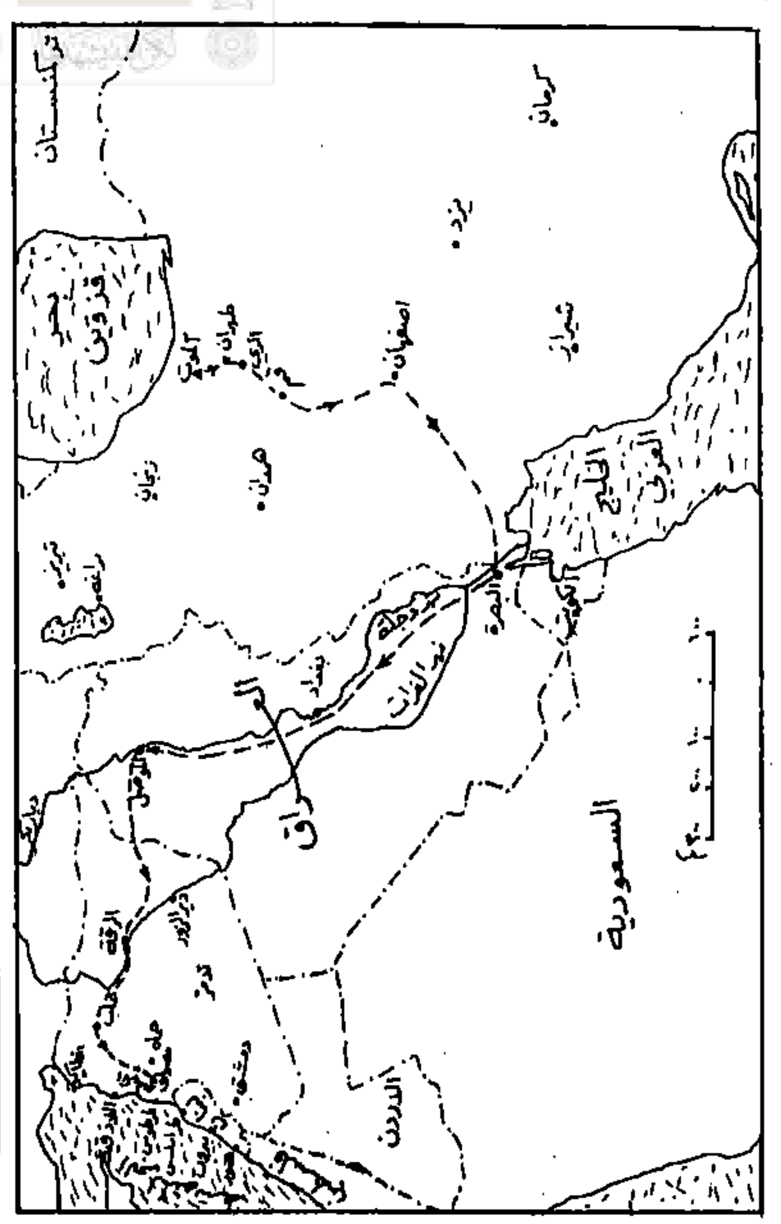
كان للإسماعيلية بضعة معاقل حصينة وقرى عديدة في منطقة الجبال الساحلية السورية (جبال البهراء) وهوامشها، قبل وصول سنان راشد الدين

إليها. فلقد أصبحت قلعة القدموس ملكاً لهم في سنة (٥٢٥هـ)، وأعقبها العديد من القلاع التي سيطروا عليها. وفي عام (٥٣٥هـ) انتزعت مدينة مصياف وقلعتها الشهيرة من بني منقذ، وجعلت مقراً لممثل الإمام في آلموت ومركزاً لنشر الدعوة، وتدريب الفدائية. وكان حجة الإمام ونائبه في ذلك الوقت الشيخ (أبو محمد المينقي) الذي كان يقيم عند قدوم سنان راشد الدين إلى المنطقة في قلعة الكهف إحدى قلاع الإسماعيلية آنذاك. شكل (١٦) رحلة سنان راشد الدين إلى سورية.

لقد توجه سنان من حلب في ربيع سنة (١١٦٤م/٥٥٩هـ) إلى مدينة مصياف، ماراً في طريقه على العديد من القرى الإسماعيلية لكنه لم يقم فيها طويلاً، حيث يروي الداعي الإسماعيلي (أبو فراس) من المينقة[1]، في سنة (٧٢٤هـ/١٣٢٤م)، رحلة سنان وطريقة تسلمه السلطة كالآتي: "سمعت من الرجال الثقاة الأمناء أن المولى راشد الدين منه السلام في أول قدومه إلى قلاع الدعوة لم يظهر تقليده، ولم يعرف أحداً بنفسه، وبعد أن أقام في مصياف مدة خرج ذات يوم إلى أطراف المدينة ومعه رجل آخر فمرا على بركة مملوءة بالماء فأخذ الرجل المرافق يرى صورته في الماء ولا يرى للمولى منه السلام في ذلك الماء أية صورة أو خيال وكلاهما واقفين على طرف البركة، فدهش الرجل وهجم

[1] أبو فراس هو الشيخ شهاب الدين بن إبراهيم المينقي، والملقب بأبي فراس نظراً لفراسته في الأمور الدينية وتعمقه في بحر القصائد الروحانية. ولد سنة (٨٧٢هـ/١٤٦٨م) في المينقة وتوفي سنة (٩٣٧هـ/١٥٣٠م) ودفن في قلعة المينقة إلى الشرق من جبلة في محافظة اللاذقية، وضريحه مزاراً. ويظن أنه نفسه الشيخ أبو فراس ابن القاضي نصر جوشن. أو كما يذكره البعض القاضي نصر الدين الديلمي المينقي الذي هاجر من الديلم إلى سورية سنة (٨٥٩هـ/١٤٥٥م) واستقر في قلعة المينقة - جامع وراوي مناقب سنان راشد الدين. ولقد ترك أبو فراس عدة مؤلفات منها: سلم الصعود إلى دار الخلود، وسلم الارتقاء إلى دار البقاء.

على مولانا يقبل يديه ورجليه أعاد الله علينا من بركاته، فقال له المولى منه السلام: اكتم سرك ولا تعرّف أحداً بما رأيت.



شكل (١٦) رحلة سنان راشد الدين إلى سورية.

ثم أنه منه السلام فارق مصياف ولم يقم بها بعد ذلك. وتوجه إلى بصطريون وهي قرية قريبة من حصن الكهف فأقام فيها مدة يعلم الصبيان الخط، وكان إذا مرض أحد يأمرهم بشيء يداوونه به فيتعافى من مرضه، فسموه طبيباً. وصار الناس يقصدونه بسبب المرض ويتباركون به، ويثنون عليه. ولما بلغ أمره الشيخ أبا محمد رحمة الله عليه قال: ينبغي أن يكون هذا الرجل مقيماً عندنا في هذه القلعة. ثم طلبه ورتب له طعاماً وخبزاً بكرة وعشية، فقبل منه علينا منه السلام بعض المرتب ليستر نفسه. وأقام منه السلام على هذا الحال مدة سبع سنوات ظهر من صلاحه وزهده ما استعظمه الناس، فسموه الشيخ العراقي. وكان علينا منه السلام يلبس بردة يمنية، وكان في كل عام إذا نزلت الشمس إلى برج الحمل يفتقها ويغسلها وبطانتها ويصلح قطنها، ثم يخيطها بيده منه السلام ويلبسها. ويصنع لنفسه بيده (سرموجة) لا خيط فيها سوى خيط النعل لا غير[1]. ولها زر عجمي يمشي بها منه السلام.

فلما انقضت المدة مرض الشيخ أبو محمد رحمة الله عليه وظل أياماً، فدخل عليه المولى راشد الدين منه السلام في أحد الأيام وقال له: يا شيخ أبا محمد قد انقضت مدتك، وحان أجلك، ونهار غد الظهر تفارق هذا العالم فقف على تقليدي هذا قبل موتك[2]. ولما قرأ الشيخ أبو محمد تقليده أخذ يبكي. فقال له المولى راشد الدين منه السلام: لماذا تبكي؟ فقال: سبحان الله كيف لا أبكي

---

[1] سر موجة أو صرموجة: نوع من الأحذية.

[2] التقليد يعني بالعرف الإسماعيلي الأمر الإمامي الذي يصدره الإمام الإسماعيلي من مقر الدعوة بخاتمه وتوقيعه والذي يطلب فيه من الأتباع بأن يؤدوا الطاعة العمياء المفروضة عليهم لإمام عصرهم لنفس الشخص حامل التقليد باعتباره نائباً للإمام وموضع ثقته وباب من أبواب دعوته، ولا مناص مطلقاً من تنفيذ مضمون التقليد مهما كان نوعه وفحواه. فالكل له مؤيدون ولمضمونه منفذون. والويل ثم الويل للمخالفين الناكثين. ويعرف الآن بالفرمان المبارك.

أسفاً على ما فاتني من امتثال الأمر المطاع منذ مدة سبع سنوات، وأنا لا أعلم بأن مولانا قد قدم علينا نائباً وممثلاً، عوضاً عن أن يكون مملوكاً. ولم أعمل ما يجب عليّ من تسليم الأمر إليك، والدخول في طاعتك وطاعة من أرسلك. ولم أقض ما فرض من حقوقك. فقال له المولى: وحق جبار السموات والأرض لقد كان لك من حسن القيادة والتسديد والتوفيق أو التأييد لو شئت أن تأخذ قلعة الجبل بمصر وهممت بها لأخذتها.

فعند ذلك طلب الشيخ أبو محمد الأكابر والأعيان وقرأ عليهم تقليد المولى منه السلام ثم قال لهم: هذا هو نائب الإمام منه السلام والحاكم عليكم بأمره بعدي. ثم توفي الشيخ أبو محمد في اليوم الثاني ظهراً في الوقت الذي أشار إليه المولى منه السلام.

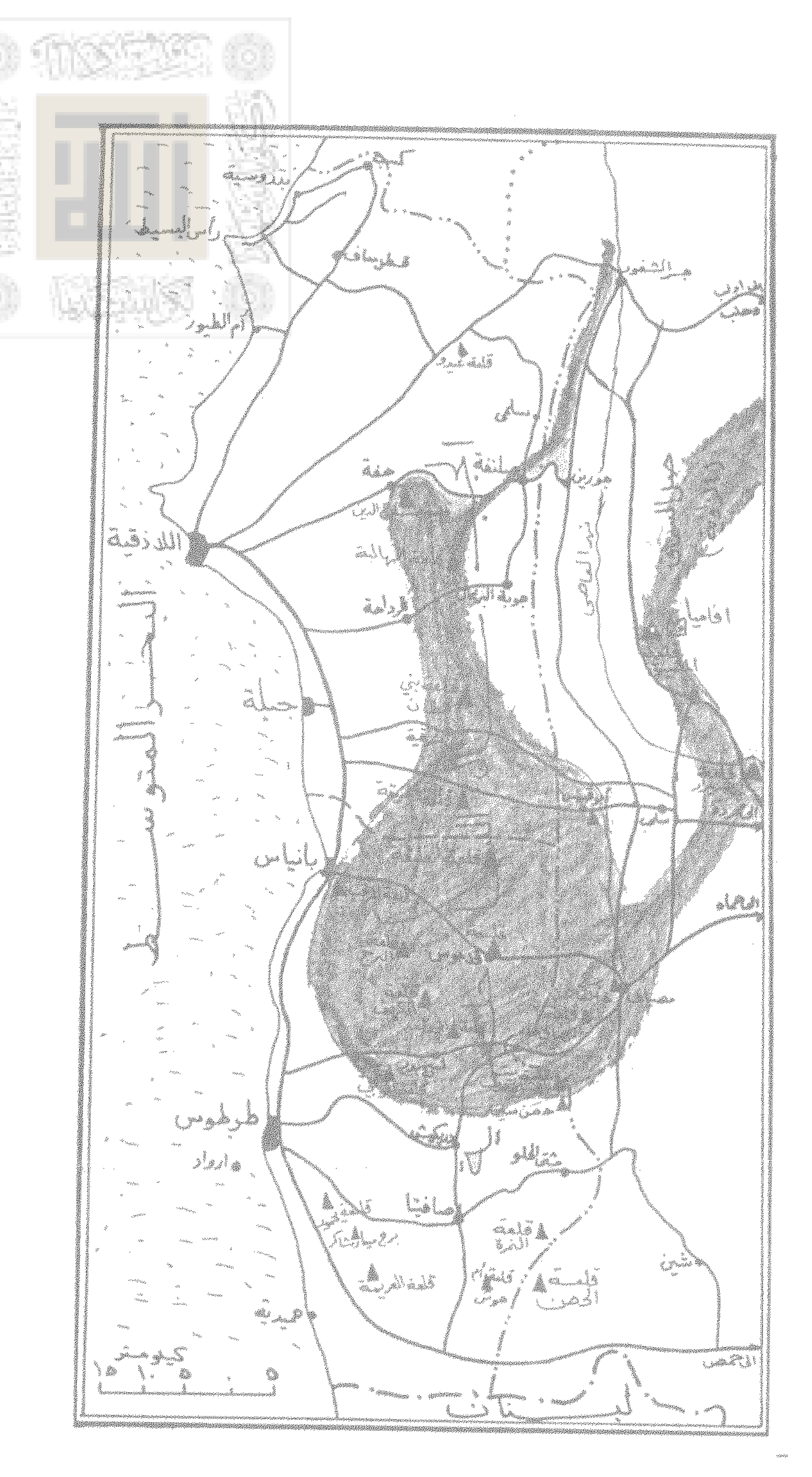
وحدثنا بعض الرفقاء الأمناء أن جماعة من أهل مصياف نحو ستة أو سبعة أنفار اجتمعوا في الليل ثم جرى بينهم ذكر المولى راشد الدين منه السلام باعتباره أصبح نائباً للإمام بعد وفاة الشيخ أبي محمد فسخروا منه وسبوه واستهزؤا به.

فكتب المولى راشد الدين منه السلام في تلك الليلة كتاباً سيره مع أحد الرجال من الكهف إلى المتولي في مصياف يأمره فيه بأن يطلب الجماعة وقد سماهم في كتابه بأسمائهم وذكر الألفاظ التي تفوهوا بها فيما بينهم في حقه بعينها. وأمر المولى الوالي المذكور أن يقرأ الكتاب عليهم ويعاتبهم ويوبخهم ويغلظ عليهم في القول. فوصل الرجل قبل أن يفتح باب قلعة مصياف، فلما اطلع الوالي على الكتاب استدعى الأشخاص المعنيين واطلعهم على كتاب المولى، وعاتبهم ولامهم، واسمعهم غليظ الكلام، فاعترفوا بذنبهم واستغفروا عن خطاياهم، وقالوا: الآن قد صفت قلوبنا ونزعنا الغل من صدورنا، وتبنا إلى الله تعالى عما اقترفناه من ذنب عظيم. لأن هذا الرجل له عند الله منزلة جليلة،

وقد كشف له المحجوب، وأطلعه على سرائر الغيوب، فعلم بكل ما قلناه، وأطلع على ما ذكرناه، ونحن نسأله أن يعفو عنا، ونسأل الله أن لا يأخذنا بجرائمنا. فرضي عليهم المولى منه السلام بعد ذلك وصفح عنهم، وغفر زلتهم وأمرهم بطاعته والسلام".

وكما ذكرنا، أن مصياف كانت المحطة الأولى لسنان، ومنها توجه إلى قرية بصطريون، حيث أقام فيها مدة. كما أشار إلى ذلك أبو فراس. لينتقل بعدها إلى قلعة الكهف مركز الدعوة الإسماعيلية آنذاك، ومقر رئيس الدعوة أبو محمد، حيث تسلم سنان رئاسة الدعوة في سورية بوفاة أبو محمد بناء على الأمر الصادر عن آلموت.

وبينما كانت الدعوة في العقد الأخير من حياة الداعي أبو محمد تعاني من الضعف والانقسام، وهجرة عدد من الإسماعيليين إلى بعض المدن السورية (حلب، حمص، دمشق)، فإن سنان راشد الدين تمكن خلال فترة قصيرة من توطيد مركز الجماعة وإنهاء الشقاق الداخلي فيما بين أفرادها، وإعادة تنظيمها. في الوقت نفسه تبنى سنان سياسات ملائمة مع جيرانه من الحكام السنة والصليبيين الذين شكلوا تهديداً دائماً للإسماعيلية النزارية في سورية. واستطاع أن يقيم جيشاً من الفدائيين على غرار جيش الحسن بن الصباح في آلموت، وأن يعيد بناء قلعتي الرصافة والخوابي، ويستولي على قلعة العليقة المجاورة لقلعة المرقب، وقلاع: المرقب، القدموس، المينقة، صهيون، أبو قبيس، المهالبة. وكذلك قلعة شيزر التي أخذت من بني منقذ. شكل (١٧) توزع القلاع الإسماعيلية في سورية.



شكل (١٧) توزع القلاع الإسماعيلية في سورية

ويذكر محمد كرد علي في كتابه (خطط الشام) أن عدد القلاع الإسماعيلية في زمن الظاهر بيبرس من طرابلس إلى صيدا إلى حلب حتى حوران، سبعون قلعة أهمها قلعة صهيون. ومن تلك القلاع سبعة لاتسامى منعة ولا تزاحم حصانة.

وتشير بعض المراجع إلى أن سنان أشاد قلعة الرصافة سنة (٥٦١هـ/١١٦٥م) لصد غارات الصليبيين عن مصياف. كما أنه بنى قلعة القاهر (برج القاهر) إلى الغرب من مصياف في سنة (٥٥٨هـ/١١٦٢م).

ولقد أحدث سنان في قلعة الكهف مدرسة لتدريب الفدائية، ومنظمات الاستطلاع السرية. حتى إذا بلغ طلابها مرتبة الجدارة في عملهم بعث لهم ليرفعوا إليه أنباء قلاعه وأخبار أعوانه في الداخل وخصومه في الخارج، فلا ينحدر إلى مزالق الخطأ والذل في معالجة الأمور ووضع الحلول.

ويذكر (أبو فراس) في كتابه عن مناقب سنان كيفية سقوط قلعة العليقة فيقول: "وأخبرني بعض الرفقاء الأمناء بأن المولى راشد الدين منه السلام لما فتح قلعة العليقة أرسل هدية إلى (شبل) صاحب القلعة، وقال لرجاله الذين حملوا الهدية: إنني سأوافيكم في آخر الليل. فلما وصلوا قلعة العليقة ليقدموا الهدية وجدوا صاحبها شبل في قرية (نحل الغربية) فذهب من عرفه بقدوم الوفد بينما كان في مجلس الشراب، فأمر رجاله بأن ينزلوا الوفد في القلعة حتى يأتيهم شبل من قرية نحل، ففعلوا ما أمرهم به.

ولما أسبل الليل الستر، ونامت العيون، هجم رجال المولى منه السلام على سكان القلعة وصاروا ينادون كل رجل من أهلها باسمه، فإذا خرج إليهم من بيته أوثقوه وقيدوه إلى أن فعلوا ذلك بأكثر القوم.

وفي هذه الأثناء كان المولى وجماعته قد وصلوا إلى تحت أسوار القلعة، فقرب المولى فرسه إلى شجرة البطن[1]، وأراد أن يربطها بها ولكنها صهلت فانتهرها فسكتت.

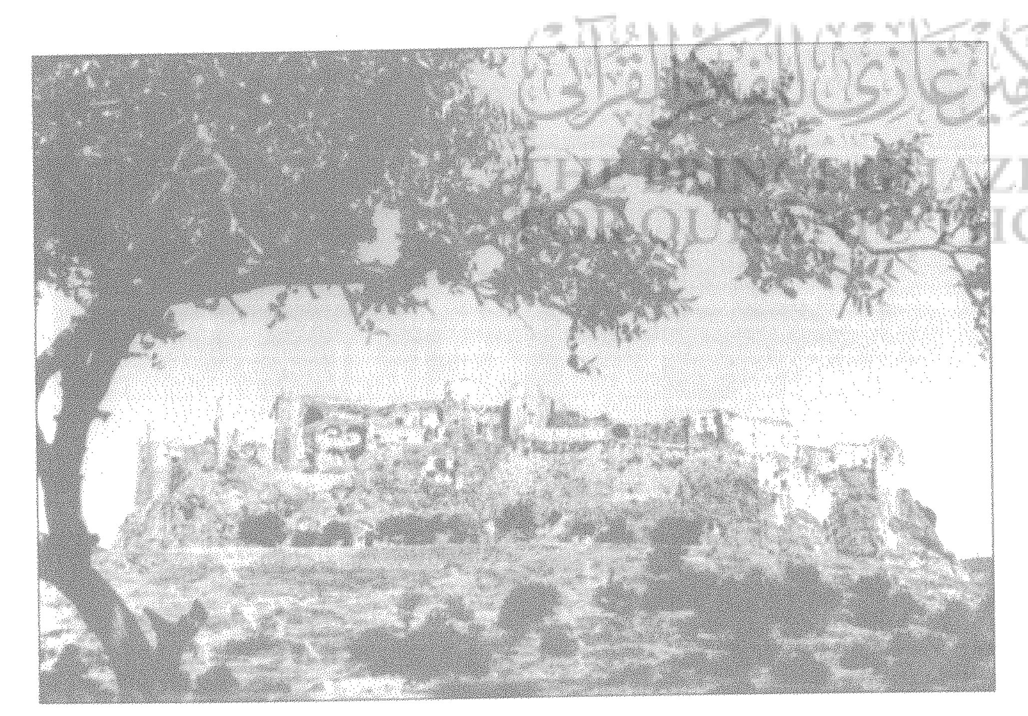
ثم قال منه السلام لرجاله: اعلموا أيها الرفقاء وطيبوا قلوبكم، بأنكم ستأخذون هذه القلعة بإذن الله تعالى في هذه الليلة، ولن يقتل منكم سوى رجل واحد لأنه من المنافقين الشاكين المكذبين بنا.

وما كاد منه السلام يتم كلامه حتى سمعنا رجالنا يكبرون من القلعة، فصعدنا الأسوار وأخذنا القلعة، ولم نخسر سوى رجلاً واحداً القت عليه امرأة معرجلانة فقتلته، وهذا هو الذي أشار إليه المولى منه السلام. وتسلمنا القلعة ولم يقتل أحد من أهلها. وأرسل مولانا إلى شبل صاحب القلعة زوجته برفقة بعض الأخيار الثقاة ومعها ما يخصها من حلي ومصاغ وأموال".

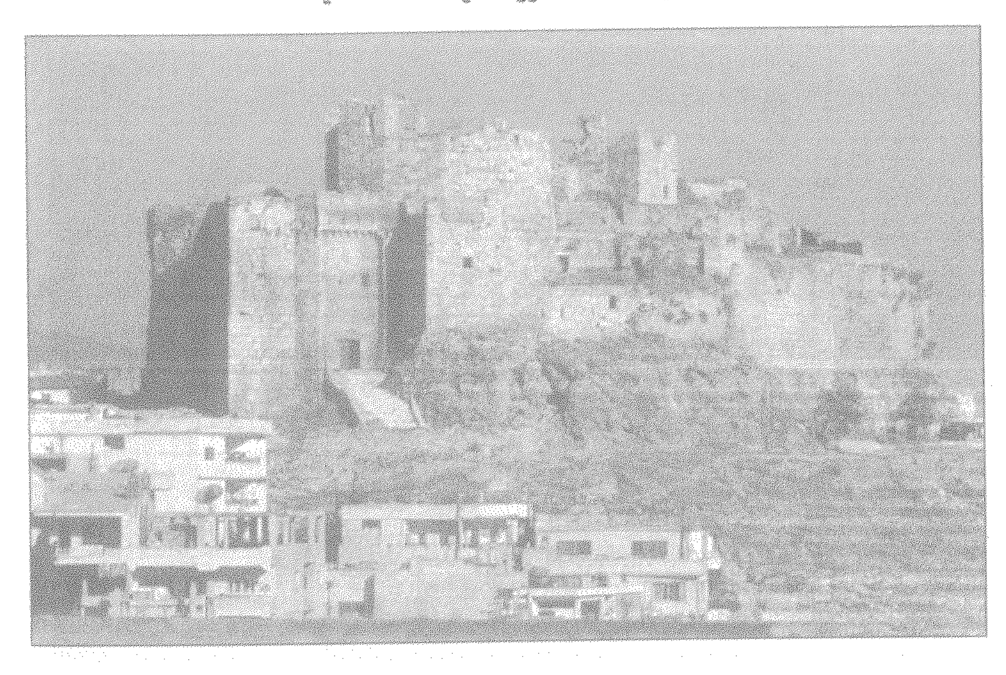
ومما تجدر الإشارة إلى ذكره، أنه قبل وصول سنان إلى قلاع الدعوة بنحو سبع سنوات، كانت المنطقة الغربية من سورية على طريق الوادي الانهدامي الصدعي قد تعرضت لزلزال عنيف (سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م) أدى إلى تدمير كبير في العديد من القلاع والمدن، منها قلعة أفاميا، قلعة شيزر، قلعة مصياف، الرصافة، أبو قبيس.. وغيرها. وقد تم ترميم بعض القلاع وتجديد البعض الآخر، كما في قلعة أبو قبيس التي جددها عميد الإسماعيلية في مصياف نجم الدين الشعراني، وقلعة شيزر رممها وجدد فيها نور الدين الزنكي.. وقلاع أخرى غيرها. ويعد أحدث ترميم وتجديد هو ما تم لقلعة مصياف في الفترة (٢٠٠٢ ـ ٢٠٠٦م)، وكذلك لقلعة صهيون، وقلعة حلب من قبل شبكة الآغاخان. شكل (١٨).

---

[1] ـ شجرة البطن: أو شجرة البطم كما هو شائع، وهي من الفصلية الشجرية البطمية.



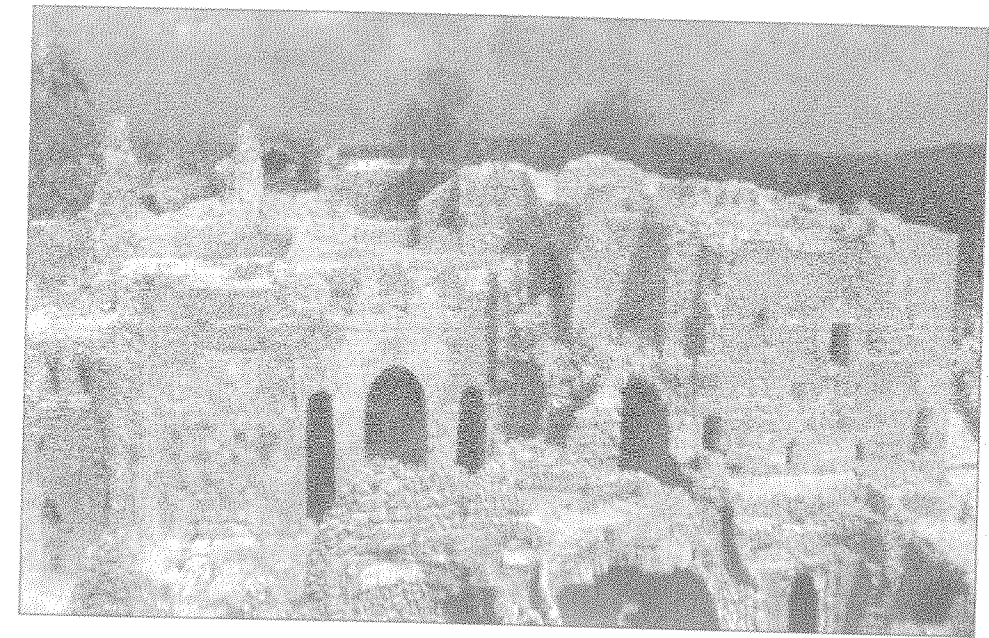
شكل (١٨ ـ آ) صورة قديمة لقلعة مصياف



شكل (١٨ ـ آ) صورة حديثة لقلعة مصياف



شكل (١٨ ـ ب) قلعة حلب



شكل (١٨ ـ ج) قلعة صلاح الدين الأيوبي

وكان سنان راشد الدين يقضي أيام الأسبوع متنقلاً بين القلاع والحصون، وقد خصص يومين للإقامة في جبل مشهد حيث ينقطع للكتابة ورصد النجوم والتأويل. وكان يكثر من التخفي لزيارة بعض المدن السورية لتفقد أحوال الإسماعيلية فيها. وكان كل يوم جمعة يجلس على صخرة عالية يخطب ويحاضر داعياً إلى التمسك بأصول المذهب والعمل لما فيه مرضاة الإمام صاحب العصر والزمان. قال عنه (ابن جبير) الذي زاره في معقله: "إن الإسماعيليين يبذلون الأنفس دون زعيمهم سنان. وحصلوا من طاعته وامتثال أمره بحيث يأمر أحدهم بالتردي من شاهق جبل فيتردى؟".

ـ علاقة سنان بآلموت:

لم تكن هناك أية مشاكل داخلية للإسماعيليين السوريين مع قيادتهم المحلية بقيادة سنان راشد الدين، ولا في العلاقات مع صلاح الدين الأيوبي والإفرنجة. إلا أن قيادة آلموت على ما يبدو، لم يكن لها دور هام في الدولة الإسماعيلية النزارية السورية. وهناك ما يشير إلى أن سنان تلقى توجيهات من آلموت للنظر في قضية الخواجة علي الذي حاول تسلم القيادة من الشيخ أبو محمد المينقي دون تسمية أو تعيين من الإمام في آلموت. ولقد أعقب ذلك قتل الخواجة علي، واتهم بالتحريض على قتله عضوين من الجماعة، هما: أبو منصور أحمد بن الشيخ أبو محمد، والريس فهد. وتلا ذلك إرسال تعليمات من آلموت إلى سنان بالحكم على القاتل بالموت، وإطلاق سراح فهد.

كما أن الإمام على ذكره السلام (الحسن الثاني) أرسل إلى سنان أمراً يطلب منه فيه إعلان القيامة في سورية طبقاً لإعلانها في آلموت في يوم (١٧) رمضان سنة (٥٥٩هـ) والتي أتى فيها على لسان الإمام الحسن الذي قرأ الرسالة ـ دون أن يفصح عن ما هيته ـ الموجهة إلى الإسماعيليين المحتشدين في ميدان عند سفح آلموت: "إن إمام زماننا أرسل إليكم بركاته وشملكم

برحمته، وسمّاكم خدمة المصطفين، ورفع عن رقاب المؤمنين حدود الشريعة وأغلالها وأوصلكم إلى القيامة[1] ". وقد احتفل الاسماعيليون السوريون بالقيامة بعد وقت من إعلانها في آلموت.

غير أن بعض المصادر التاريخية، تقول بأنه لم يكن عملياً لآلموت دورٌ في علاقات سنان مع المسلمين السنة والإفرنجة. ولكن لا يمكن غض النظر عما شهدته الدولة الإسماعيلية السورية السنانية من محاولة حركة انفصال خطيرة مضادة ضد آلموت من جزء من إسماعيلية سورية. وقد تم التعبير عن ذلك بطرق مختلفة. فبعض الكتاب يرون أن آلموت كانت تثق ثقة مطلقة بقدرة سنان على حل مشاكل الإسماعيليين السوريين ومن ثم فليس هناك أية حاجة للتدخل معه. غير أن بعض المؤرخين يروون أن الفقر بالمعلومات عن الدولتين في إيران وسورية لما كان يحيط بهما من أعداء خطيرين جعل السرية تحكم العلاقات بين إسماعيلي الدولتين وقيادتهما.

ولكن المسألة التي حيرت المؤرخين هي استمرار الدارسين الإسماعيليين في نكرانهم لوجود علاقات سياسية لإسماعيلية سورية مع آلموت، غير أن العلاقات العقائدية المذهبية كانت قوية، وكانت تابعيتهم العقائدية لآلموت مقر الإمامة آنذاك.

ورغم أن الشيخ أبو فراس المينقي أغدق بغزارة وإسراف المدح والإطراء على بطولات سنان وقواه الخارقة، وحكمته، إلا أنه ليس من الانصاف الاستنتاج من ذلك أن سنان كان يعتبر كالإمام، أو أنه سمح لإسماعيلية سورية التعامل

---

[1] فسرت القيامة بطريقة رمزية روحية اعتماداً على التاويل الإسماعيلي، التي عنت: إظهار الحقيقة الظاهرة في شخص الإمام. حيث اصبح بإمكان المؤمنين الإسماعيليين النزاريين استيعاب الحقيقة الروحانية اي باطن الشريعة وفهمها. وغدا باطن الشريعة مكشوفاً للإسماعيليين لينتهي عندها دور الشريعة والحياة الأرضية، ولينتقلوا إلى دور الطريقة المتمثل بظاهر الحقيقة.

معه كإمام، وإنما نائباً للإمام الموجود في آلموت. ومن ثم فإن الخوارق التي نسبت إلى سنان راشد الدين، يمكن تفسيرها من خلال عقيدته الإسماعيلية، باعتبار أن سنان كان خادماً أميناً ومطيعاً للإمام، بل ونائباً عنه، وإنه يتلقى التأييد والقوة والمساعدة الروحية من الإمام، وهذا ما يمنحه القدرة والقوة على فعل الخوارق التي يعجز الإنسان العادي عن فعلها. ووصفته المصادر الإسماعيلية بالحكمة والبلاغة في الكلام والحجة فيما يقول.

ومما تميز به إسماعيلية سورية في الحقبة السنانية وما تلاها، وذلك في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، تأثرهم بشكل واضح بالكتاب الصوفيين، أمثال محي الدين بن عربي، وجلال الدين الرومي، وابن الفارض.. وأخرين. ويرى (أبو فراس المينقي) في كتابه (سلم الصعود إلى دار الخلود) أن الصوفية القت بظلالها على الكثير من المفاهيم الدينية للرسالة المحمدية. والشيء الآخر الجدير بالذكر، هو أن سنان راشد الدين كان يلقب بالمولى (اللورد، الزعيم، السيد) التي لم تكن تعني مطلقاً الإمام، كما حاول البعض تفسيرها، اعتماداً على الألقاب التي يوصف بها الإمام نفسه، ومنها المولى، كأن يقال مولانا كريم، ولكن ما تدل عليه بالنسبة للإمام تختلف عن مدلولها عند نائبه. كما في سنان..

وعلى كل حال، فإن بعض المؤرخين الإسماعيليين في العصر الحديث. كما في عارف تامر. نشروا عدة دراسات، تدعم وجهة النظر من أن سنان كان يعتبر عند أتباعه إماماً، وليعد في نظرهم الإمام السابع في سلسلة الأئمة التي بدأت بالإمام الفاطمي المعز (٣٤١ـ ٣٦٥هـ/٩٥٢ـ ٩٧٦م). بجانب ذلك فإن الكتاب الإسماعيليين من القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين الذين نشرت بعض أعمالهم ودراسات عنهم، كما في الشاعر مزيد الحلي الأسدي الذي قال شعراً في سنان وضعه فيه بمرتبة الأئمة. ويرى البعض أنه كان ينظر

إلى سنان واحد من الأئمة الذي كان يعيش في سورية متخذاً مصياف داراً للهجرة. بل وصل الأمر بالبعض إلى اعتبار سنان ابناً للإمام حسن الألموتي رئيس (سيد) قلاع طالقان وفارس، وإنه استمد (ورث) الإمامة منه.

وابتداء من عام(٥٧٢هـ/١١٧٦ م) أخذ سنان ينشغل بمشاكل خارجية تجلت في صراعه أولاً مع الزنكيين (نور الدين وابنه الملك الصالح)، ومن ثم مع صلاح الدين والإفرنجة والصليبيين، وليتجاوز تلك المشاكل بدهائه وحسن تخطيطه.

. سنان والزنكيين:

كانت علاقة نور الدين الزنكي مع سنان بين مد وجزر. ولم يكن نور الدين مرتاحاً ومطمئناً لوجود الإسماعيلية في جبال البهراء بقلاعها المنيعة التي استهدفها الإسماعيلية وجعلوا منها معاقلهم ومراكز قوتهم، وليشكلوا من خلالها دولتهم الإسماعيلية الشيعية (دولة مصياف) المتطورة فكراً وعقيدة، والمخالفة بذلك لفكر وعقيدة الزنكيين السنة.

وقد أدرك نور الدين خطورة الوضع في سورية بغزو الصليبيين لها من الغرب عبر البحر المتوسط وتملكهم لشواطئه،وهم الأعداء الرئيسيين، الذين جعلوا نور الدين في حيرة من أمره، فهو يريد توحيد الجبهة الإسلامية لطرد الصليبيين من جهة، وينظر إلى الإسماعيلية بمنظار العداوة المذهبية، ولكنه يخشاهم لما ذاع من أخبار عن بسالة فدائيتهم.

وكان أول نزاع نشب بين سنان ونور الدين الزنكي الذي أرسل إليه الجيوش تلو الجيوش لمحاربته دون أن يحصل على انتصار ما. حتى عزم نور الدين على السير بنفسه على رأس جيش لمحاربة سنان، فاستولى على قلعة شيزر (سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م)، وهاجم بقية القلاع الإسماعيلية،ولكنه ارتد عنها أمام ضغوط سهام الفدائيين. فعمد سنان إلى إرسال أحد فدائيته فتمكن من وضع

خنجر مسموم ورسالة تهديد عند رأس نور الدين، تنذره بالموت إذا لم يقلع عن مهاجمة القلاع الإسماعيلية، فانصرفت جيوشه في اليوم التالي للإنذار. ومن الرسائل الموجهة من سنان راشد الدين إلى نور الدين زنكي،هذه الرسالة:

"هذا كتاب من مولانا راشد الدين سنان موجه إلى نور الدين الزنكي لما أراد حصار الجبل، أما بعد:

وفقك الله لخيرات الدنيا، آثرت عليّ شنعة إبطال الشريعة وترك الصلاة والصيام. وأراك وأنت بعد في المنام، ونحن في القيام بقيام القيام قيامته، وهو العليم الذي شُرِف بنوره القديم، نافخاً في السور العظيم، محي العظام وهي رميم. ها هو قد ظهر القدوس، وإنه بعث في الناموسية إلى قوم يستحقون، وقامت قيامة القيامات. فلا تراها وستتوفى في انتظام انتظار العلامات، فتدوم عليكم الحسرة والندامات. وإنما شنعت عليّ إبطال الشريعة فلنا إسوة برسول الله محمد (ص) حيث قال: ما جئت لإبطال التوراة، بل جئت لإكمالها. وكانت التوراة هي أصل الشريعة، فكملت بالقرآن. فكيف لا تكمل بالقيامة؟ وهي الميزان. وكيف لا تنتهي إلى قيامة القائم وهو الوزن؟ فقولنا هذا أن تكمل الشريعة بالقيامة، والطاعة بالمعرفة، والوجود بالوحدة. وليس قولنا أن الشريعة هي القيامة، والطاعة هي المعرفة، والمتقابلات العدم هي الوحدة. على أنه ليس من شيء خارج عنه اليوم، يستدير الزمان كهيئته الأولى يوم خلق السموات والأرض، وينادي رب العزة فيكم ثلاثاً. لمن الملك اليوم؟ فيجيب الرابع لله الواحد القهار،المنفرد بذاته، ولا سواه. هو المنادي، وهو المجيب. هو المتقدس بذاته، المتصف بعلياء صفاته، وحسن سماته. هو هو بهويته، هو هو بوحدانيته، هو هو، ولا هو إلا هو، والسلام على أهل السلام. ختام والحمد لله رب العالمين.

سنان راشد الدين

وبعد وفاة نور الدين الزنكي في سنة (١١٧٤م) تركت حلب وما ولاها من البلدان إلى ولده الصالح إسماعيل الذي كان صغير السن لا يتجاوز الثانية عشرة من عمره.

غير أن العلاقة بين الإسماعيلية وحكام حلب بعد وفاة نور الدين الزنكي، دخلت مرحلة صعبة. إذ أقدم الفدائيون الإسماعيليون في (سنة ٥٧٣هـ/ ٣١ آب - ١١٧٧م) على اغتيال شهاب الدين بن العجمي وزير الملك الصالح صاحب النفوذ، في مسجد حلب الكبير. وكان الوزير المذكور في منافسة حادة مع سعد الدين غوموشتكين، الذي قام بالتحريض على عملية الاغتيال تلك. وقد زُعِمَ أن (غوموشتكين) قد زور توقيع سيده على رسالة بعث بها إلى سنان يطلب فيها إرسال فدائيين، وعلى كل حال فقد استغل أعداء غوموشتكين الحادثة وطردوه من منصبه وعذبوه حتى الموت.

وفي سنة (٥٧٥هـ/١١٧٩ - ١١٨٠م) انتزع الملك الصالح قلعة هجيرة (Hajirah) من الإسماعيليين النزاريين، الذين احتجوا دون جدوى، فبعث سنان بعملاء نزاريين إلى حلب حيث أشعلوا حرائق في مواضع عديدة من أسواق المدينة.

. سنان وصلاح الدين الأيوبي:

انتهز نور الدين الزنكي فرصة التضعضع في الدولة الفاطمية بمصر، فأرسل قائداً عسكرياً من عنده إلى مصر اسمه شيركوه استطاع أن يحقق انتصارات حربية وسياسية، مكنته من تقلد الوزارة سنة (٥٧١هـ) في عهد الخليفة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين. ولم يعش بعدها سوى بضعة أشهر ليموت في السنة نفسها، ويخلفه ابن أخيه صلاح الدين في الوزارة الذي كان يضع نصب عينيه قضيتين، أولهما: إحلال السنة محل الشيعة بمصر، والثانية محاربة الإفرنجة الغزاة لبلاد الإسلام وطردهم.

لقد أراد صلاح الدين الأيوبي أن ينهج نهج نور الدين الزنكي في البلاد الشامية، وهو السني المتعصب، والذي قلبه ممتلئ بالعداء للإسماعيلية، فأغار في (١٤) ذي الحجة (٥٧١هـ) المكافئ إلى (٢٤) حزيران (١١٧٦م) على بعض القرى الإسماعيلية في جهات حلب، فخرب بزاغة واعزاز. ولم يكتف بذلك بل وجه نظره إلى معاقلهم الرئيسية في الجبال الساحلية الوسطى، فقصد في جيش عرمرم معقلهم الرئيسي في مصياف ليحاصرها في (محرم ٥٧٢هـ/تموز ١١٧٦م) ولم يدم الحصار طويلاً. ويقول الداعي أبو فراس في مناقب صلاح الدين عن قدوم صلاح الدين إلى مصياف ومحاصرته لها: «ومن الروايات المشهورة عنه والمتفق عليها بين الرجال الأخيار الأفاضل، والتي نقلوها عن آبائهم وأجدادهم أن الملك صلاح الدين بن أيوب رحمة الله عليه عندما جاء إلى مصياف بجيش عظيم فحاصرها. أرسل إلى المولى منه السلام رسولاً إلى حيث كان يومئذ. في قرية يقال لها (العنيبة) من أعمال القدموس. ولما أطل رسول صلاح الدين على تلك القرية شاهد المولى منه السلام جالساً خارج القرية ومعه رجلان لا غير. فسأل الرسول أحد الرجلين عن المولى فأخبراه بأنه المولى راشد الدين. فتوجه نحوه وهو يستهزئ به، فلما اقترب منه لاحظ أنواراً باهرة، وجلالة طاهرة، ومهابة زاهرة، وقوة بقدرة الله قاهرة. مما أدهشه وأطار لبه، وأرعب قلبه، فارتعدت فرائصه، وعظم الأمر عليه، فلم يستطع الدنو منه، فبعث إليه المولى راشد الدين منه السلام الحاجب دبوس [1] فأحضره بين يديه. ولما زالت دهشته، وتبدلت بالإنس وحشته، اعترف بذنبه، وبما دار في خلده، وطلب من مولانا أن يكون من الجماعة، فيؤدي له الطاعة، وينتظم في سلك

(1) الحاجب دبوس: كان من كبار دعاة وعلماء الدعوة الإسماعيلية النزارية في ذلك الوقت ومن المشهود لهم بالشجاعة والإقدام وحسن التنظيم والتدبير وسداد الراي والإخلاص في سبيل عقيدته.

الدعوة، حتى لا يكون له إلى عسكر صلاح الدين بعد ذلك رجعة. فقال له المولى راشد الدين: بل يجب أن تعود إلى عند الملك وتبلغه جواب رسالته التي أتيت بها إلينا. وقل له إن اختار أن يأتي إلى عندنا فليأتي فما عندي غير هذين الرجلين الذين تراهما، وإن لم يجئ فأنا غداة غد أنزل إليه. فعاد الرسول إلى الملك وأخبره بذلك. فقال: إنني لا أغتر بذلك ولن أسمح لجيشي بدخول هذه الجبال الشامخة. وأما المولى منه السلام فإنه نزل من القرية التي كان فيها وتوجه إلى الجبل الذي يشرف على مصياف فقعد على القمة في نفس المكان الذي بني فيه المشهد المعروف في زماننا هذا. وأما الملك صلاح الدين فإنه لما علم بذلك وشاهد بعينه المولى وهو جالس على القمة وعنده الرجلان. أمر عند ذلك بأن يضرب حول الجبل حلقة ففعلوا ذلك. ثم أرسل إلى المولى راشد الدين منه السلام نحو خمسين أو ستين فارساً من الأمراء والأعيان وأكابر رجالات الدولة والخواص، وأمرهم أن يقبضوا عليه، ويأتوا به إليه.

فلما شاهد الرجلان المرافقان لمولانا هذه الشرذمة من الفرسان، قالا: لقد أقبلت علينا شرذمة ألا نركب خيلنا يا مولانا وننجو بأنفسنا؟ فقال منه السلام: لن يصلوا إلينا ولا يقدرون علينا.

ولما دنوا من المولى راشد الدين منه السلام وشاهدهم وشاهدوه، توجه إلى الهوية المطلقة بقلبه ودعا بدعاء في سره مبتهلاً إلى ربه، ثم نظر إلى القوم فسكنت حركاتهم، وبطلت آلاتهم. فقال منه السلام لهم: تقدموا وخذونا كما أمركم الذي أرسلكم إلينا. فقالوا: إن الله قد نجاكم، ومنا قد حماكم، وأيدكم بحراسته وعظمته. فقال لهم منه السلام: ارجعوا إلى صاحبكم وأعلموه بما جرى لكم. فعادوا إلى عند الملك وعرفوه بصورة حالهم، فتعجب واندهش من مقالهم، فقال له تقي الدين صاحب حماة: لو يعلم هذا الرجل بأن مولانا السلطان يستطيع أن يملكه لما جاء إلى هذا المكان.

فعند ذلك كتب الملك إلى مولانا كتاباً آخراً. فكتب له المولى راشد الدين منه السلام الجواب قبل وصول الكتاب وحتى قبل خروج الرسول من المعسكر. ولما أقبل رسول الملك صلاح الدين قال مولانا منه السلام: إن هذا الرسول الذي أرسله إلينا الملك كردي أحمق متكبر سيقف على رؤوسنا وهو راكب. فدفع إلى أحد أصحابه قضيباً وأمره أن يضعه بعيداً عنهم. ففعل الرجل ذلك. ولما وصل الرسول راكباً إلى الموضع الذي فيه القضيب وقف جواده ورفض أن يتقدم فانهال عليه بالمقرعة وبالمهاميز ولكن الجواد يتقهقر إلى الوراء ولا يتقدم، حتى أعياه ذلك، فاحتار في نفسه بينما الجواد لا يتحرك إلا إلى الوراء. فعند ذلك نزل عن جواده، فقال المولى منه السلام لأحد أصحابه ادفع إليه كتابي هذا، وإذا أعطاك كتابه فلا تأخذه منه، وقل له: ارجع الكتاب إلى الملك (فقد كتبت له الجواب) ففعل الرجل ذلك، هذا ولم ينظر المولى راشد الدين إلى الرسول ولا احترش به، ولا كلمه. بل انشغل عنه مع الحاجب دبوس.

ولما عاد الرسول إلى الملك وأخبره بما رآه. وأن سنان راشد الدين لم يفض كتابه ولا قرأه. ثم دفع إلى الملك كتاب المولى راشد الدين منه السلام فوجده جواباً لما حواه كتابه فصلاً فصلاً من أوله إلى آخره. فعظم شأن المولى راشد الدين منه السلام عند الملك، وعلم بأن الله قد منحه سراً لأنه من عباده المخلصين وأوليائه المكرمين. وخاف على نفسه منه، وهابه مهابة عظيمة فأمر بطرح الجير والرماد حول دهليزه ورتب لحراسته في الليل ألف فارس.

ولما أغدق جنح الظلام، وغلب النوم على النيام، نزل المولى منه السلام من الجبل، وبين يديه فانوسٌ يضيء ورجاله من القلعة يشاهدون ضوء الفانوس إلى أن وصل إلى الجيش فغاب عنهم الضوء. وكان مولانا قد دخل إلى خيمة الملك صلاح الدين وهو نائم فحول النور الذي عند رأسه إلى عند قدميه، والنور الذي

عند قدميه إلى عند رأسه، ثم وضع بالقرب منه جرادق[1] من خبز الإسماعيلية كانت معروفة في ذلك الزمان، وشك في الجرادق سكيناً من سكاكين الفدائية مغموسة في السم إلى نصفها، ووضع فوق الخبز ورقة فيها بيتان من الشعر بخط المولى راشد الدين منه السلام في المعنى:

أما وجلال الملك ما تملكونا ... مراغمة منا وذا النصر قائم

نخبركم أنا قدرنا عليكم ... نوخركم حتى تتم العزائم

ثم خرج من عند الملك (وعاد إلى الجبل). وأما الملك فإنه استيقظ فلمح شبحاً يغادر خيمته، ووجد الأنوار قد تغيرت، وشاهد السكين والرسالة مع الجرادق إلى جانب فراشه. فصاح صيحة أزعج بها كل من كان عنده، فأقبل عليه الأمراء والأكابر من أهل مملكته وأماثل دولته كتقي الدين صاحب حماة[2] وغيره من الأمراء والوزراء، فأخبرهم بما جرى له، وعرض عليهم السكين المسموم والجرادق، ومن ثم قرأوا الورقة، فدهشوا لتلك الجرأة النادرة والخطب الجسيم، فقالوا: يا للغرابة من هذا الحلم الجميل، والفضل الجزيل، والبراعة التامة، والبرهان الباهر، والمعجزة الظاهرة، والعفو الكبير عند المقدرة. ثم أن الملك سأل خدمه ومماليكه بقوله: هل سمع أحدكم حساً، أو شاهد أنساً؟ فقالوا: لا. ولكننا عندما سمعنا صراخ الملك يدعونا لمشاهدة الشبح الذي خرج من خيمته، توجهنا إلى باب الدهليز والشموع في أيدينا، فرأينا على الجير والرماد آثار أقدام إنسان خارجاً فقط، ولم نره داخلاً.

(1) جرادق: رغيف من الخبز.

(2) صاحب حماه في ذلك الوقت هو شهاب الدين محمود الحارمي خلال صلاح الدين الأيوبي والذي يرد اسمه في بعض المراجع: شهاب الدين محمود بن تكش (تقش). وهو على الأرجح نفسه ما يشار إليه باسم تقي الدين صاحب حماه.

وكانت اليزيك[1] محيطة بالدهليز والرجال على ظهور الخيل فسألناهم فقالوا: لم نر أحداً. فازداد تعجب الملك من ذلك وعظم الأمر عليه، وخاف خوفاً شديداً. فقال له تقي الدين صاحب حماة: إن الذي استطاع أن يدخل على الملك ويصل إليه ويفعل ما قد فعل، لو أراد أن يقتل الملك لقتله. فقال السلطان: ليس الخبر كالعيان ومن الواجب أن تجدوا لنا من هذا الرجل أماناً، ونسأله ألا يؤاخذنا على ما سلف عن خطايانا. ثم أمر بأن يكتب إلى المولى راشد الدين منه السلام في هذا المعنى كتاباً يرسل إليه.

فلما وصل رسول صلاح الدين إلى المولى ابتسم منه السلام ضاحكاً وقال للرسول: قل للملك إنه ما دام يحاصر قلعتي، فلا أمان له عندي، بل هو خارج عن أماني. فرجع الرسول إلى الملك وأخبره بذلك. فقال: لقد طلب الحق المبين، ونحن فيما يرضيه من الراغبين ولحقه من الموجبين، وعن كل ما يكرهه من التائبين، وإلى مودته ومصافاته ومخالصته من الطالبين، وقد تحققنا بأنه من عباد الله الصالحين المقربين.

ثم رحل صلاح الدين وترك لمولانا منه السلام جميع الزردخانة[2] على حالها في مكانها، وجميع الآلات على اختلاف أصنافها، ثم نزل على جسر ابن منقذ، وسير إلى المولى راشد الدين علينا سلامه من هناك رسولاً يطلب منه الأمان. فأعطاه أمانه. وقسم الآلات التي تركها صلاح الدين على القلاع، من الطوارق، والجنويات، والعشي، والجلوخ، والزرديات، وغير ذلك. وصار له الملك صلاح الدين موالياً، بعد ما كان معادياً.

(1) اليزيك: الحرس السلطاني.

(2) الزردخانة: مخازن دروع الحلقات.

ويشير بعض المؤرخين، إلى أن الصلح بين سنان وصلاح الدين، تم بوساطة خال صلاح الدين، شهاب الدين الحارمي أمير حماه وجار سنان وصديقه الذي كانت له مصلحة في إقامة علاقات طيبة مع النزاريين.

ويروي (ابن الأثير) قصة حصار صلاح الدين لمصياف وصلحه مع سنان بقوله: "لما رحل صلاح الدين من حلب. قصد بلاد الإسماعيلية في المحرم ليقاتلهم بما فعلوه من الوقوف عليه وإرادة قتله. فنهب بلدهم وخربها وأحرقها وحاصر قلعة مصياب (مصياف) وهي أعظم حصونهم وأحصن قلاعهم، فنصب عليها المجانيق وضيق على من بها، ولم يزل كذلك. فأرسل سنان مقدم الإسماعيلية إلى شهاب الدين الحارمي صاحب حماه وهو خال صلاح الدين يسأله أن يدخل بينهم ويصلح الحال ويشفع فيهم، ويقول له: إن لم تفعل قتلناك وجميع أهل صلاح الدين وأمرائه. فحضر شهاب الدين عند صلاح الدين وشفع فيهم وسأل الصفح عنهم، فأجابه إلى ذلك وصالحهم ورحل عنهم".

وكان من شروط الصلح أن يشارك الإسماعيليون في محاربة الصليبيين، ولقد ساهموا بالفعل في قتال الصليبيين، وكان لهم دورٌ في دحرهم وطردهم من بلاد الشام.

. محاولات الإسماعيليين اغتيال صلاح الدين وتهديده:

لقد أظهر صلاح الدين الأيوبي في بداية عهده العداء الكبير للإسماعيلية النزارية ولسنان راشد الدين في سورية، مما جعله يغير على قراهم في حلب ويدمرها. ليس هذا فحسب بل سبق ذلك ما ارتكبه صلاح الدين من قتل وتدمير في القاهرة الإسماعيلية الفاطمية. ومما سنذكره من محاولات اغتياله:

١ـ لم يتذكر صلاح الدين أن النزاريين الإسماعيليين في سورية ينتمون أصلاً إلى الخلافة الفاطمية حتى عهد المستنصر بالله (وفاته سنة ١٠٩٤م)، وبأنه رغم الخلافات التي حدثت بعد المستنصر وانقسام الإسماعيلية بين نزارية ومستعلية،

وبأن الأئمة النزارية والمستعلية هم من أصل واحد وأب واحد، ودم واحد. والمستعلية هم الذين بقوا في مصر الذين أذاقهم صلاح الدين المرارة؛ ففتك بعائلة الخليفة الفاطمي العاضد (١١ ولداً وأربع بنات وأربع زوجات) وأقارب لها زاد عددهم عن (١٧٠) شخصاً، وأحرق مكتبة الإسماعيلية في دار الحكمة بعد أن بعثر محتوياتها.

وما أن سمع سنان راشد الدين بذلك، حتى تألم كثيراً، وعزم على الانتقام من صلاح الدين، فأرسل الفدائي حسن الأكرمي إلى مصر وأمره بتهديد صلاح الدين في قصره بالقاهرة، فتمكن هذا الفدائي من دخول القصر الملكي والوصول إلى حجرة رقاد صلاح الدين فوجده غارقاً في أحلامه يغط في سبات عميق، فترك له خنجراً مسلولاً منطعاً بالدم بقرب وسادته، مع البطاقة التالية:

"اعلم أيها السلطان المغتصب العاتي... إنك وإن أقفلت الأبواب، ووضعت الحراس، لا تستطيع أن تنجو من القصاص ومن انتقام الإسماعيلية. أراك قد بالغت في القحة واستبديت وقتلت، وظلمت وسلبت، دون أن تحسب حساباً لشيخ الجبل الإسماعيلي الذي يقف لك بالمرصاد، لو أردنا قتلك الليلة لفعلنا، ولكن عفونا عنك لعلك تقدر هذا. وإننا ننذرك لتصلح من سيرك وتعيد الحق المغتصب إلى ذويه، ولا تحاول أن تعرف من أنا، فذلك صعب عليك وبعيد عنك، بعد السماء عن الأرض، إذ قد أكون أخاك، أو خادمك، أو حارسك أو زوجك، وأنت لا تدري والسلام".

٢ـ بعد إغارة صلاح الدين على قرى حلب سابقة الذكر، قام سنان راشد الدين في جمادى الآخرة سنة /٥٧٠هـ ـ كانون الأول ١١٧٤م/، بإرسال فدائيين، تمكنوا من التسلل إلى داخل معسكر صلاح الدين، إلا أنهم لم يتمكنوا من قتله.

وعن ذلك جاء في (كتاب الروضتين) لأبي شامة، ما يلي:

"ثم إنه استناب أخاه سيف الإسلام طغتكين بدمشق، وسار بالعسكر ونزل على حمص، فأخذها يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الأولى، وامتنعت القلعة فأقام عليها من يحصرها. ورحل إلى حماة فأخذها مستهلّ جمادى الآخرة.

ثم مضى ونزل على حلب، فحصرها ثالث الشهر، فلمّا اشتد على الحلبيين الحصار، وأعوزهم الانتصار، استغاثوا بالإسماعيلية وعيّنوا لهم ضياعاً، وبذلوا لهم من البذل أنواعاً، فجاء منهم في يوم بارد شات، من فُتاّكهم كل عات؛ فعرضهم الأمير ناصر الدين خمارتكين صاحب أبو قبيس، وكان مشاغراً للإسماعيلية، فقال لهم: لأي شيء جئتم، وكيف تجاسرتم على الوصول وما خشيتم! فقتلوه وجاء من يدفع عنه فأثخنوه، وعدا أحدهم ليهجم على السلطان في مقامه، وقد شهر سكين انتقامه، وطغريل أمير جاندار واقف ثابت، ساكن ساكت، حتى وصل إليه، فشمل بالسيف رأسه، وما قتل الباقون حتى قتلوا عدة، ولاقى من لاقاهم شدة.

وعصم الله حشاشته في تلك النوبة من سكاكين الحشيشية، فأقام إلى مستهّل رجب، ثم رحل إلى حمص...".

وفي السنة التالية: في (١١) ذي القعدة سنة (٥٧١هـ / ٢٢ أيار سنة ١١٧٦م)، وبينما كان صلاح الدين يحاصر إعزاز شمال حلب، كرر الفدائيون تسللهم إلى معسكر صلاح الدين، وأصابوه هذه المرة بجروح بسيطة بسبب الدروع التي كان يرتديها، وذكر هذه المحاولة شهاب الدين المقدسي المعروف بأبي شامة في (كتاب الروضتين)، ويصفها كالآتي:

"قال العماد: وفي حادي عشر ذي القعدة قفز الحشيشية على السلطان ليلة الأحد وهو نازل على إعزاز. وكان للأمير جاولي الأسدي خيمة قريبة من المنجنيقات، وكان السلطان يحضر فيها كل يوم لمشاهدة الآلات وترتيب

المهمات، وحض الرّجال، والحث على القتال، وهو بارٌ ببث أياديه، قارٌّ على الدهر بكف عواديه. والحشيشية في زي الأجناد وقوف، والرجال عنده صفوف، إذ قفز واحدٌ منهم فضرب رأسه بسكينه، فعاقَتْه صفائح الحديد المدفونة في لمّته عن تمكينه، ولفحت المدية خدّه فخدشته. فقوّي السلطان قلبه، وحاش رأس الحشيشي إليه وجذبه، ووقع عليه وركبه، وأدركه سيف الدين يازكوج فأخذ حشاشة الحشيشيّ وبَضعَه، وقطعه. وجاء آخر، فاعترضه الأمير داود بن منكلان فمنعه، وجرحه الحشيشي في جنبه، فمات بعد أيّام. وجاء آخر فعانقه الأمير علي بن أبي الفوارس وضمّه من تحت إبطيه، وبقيت يَدُ الحشيشيّ من ورائه لا يتمكن من الضرْب، ولا يتأتى له كشف ما عراه من الكرب، فنادى علي اقتلوني معه فقد قتلني، وأذهب قوّتي وأذهلني، فطعنه ناصر الدين بن شيركوه بسيفه. وخرج آخر من الخيمة منهزماً، وعلى الفتك بمن يعارضه مُقدماً، فثار عليه أهل السوق فقطعوه.

وأما السلطان فإنه ركب وجاء إلى سرادقه وقد خرعه الحادث، وفزعه الكارث، وصوته جهوريّ، وزئيره قسوريّ، ودم خده سائل، وعطف روعه مائل، وطوق كزاغنده[1] بتلك الضربة مفكوك، ونهج سلامته مسلوك. وكان سلا سلامته وأقام القوم قيامته، ومن بعد ذلك رعب ورهب، واحترز واحتجب، وضرب حول سرادقه على مثال خشب الخركاة[2] تأزيراً، ووقفه تحجيراً، وجلس في بيت الخشب، وبرز للناس كالمحتجب، وما صرف إلا من عرفه، ومن لم يعرفه صرفه، وإذا ركب وأبصر مَنْ لا يعرفه في موكبه أبعده ثم سأل عنه، فإن كان مُستَسعفاً أو مُستَسعداً أسعفه وأسعده".

---

(1) الكزاغند والقزاغند: المعطف القصير يلبس فوق الزردية، ويصنع من القطن أو الحرير المبطن.

(2) الخركاة: خيمة تعقد على شكل قبة، واللفظ فارسي الأصل.

ومن كتاب فاضلي إلى العادل[1]: السلامة شاملة، والراحة بحمد الله للجسم الشريف الناصري حاصلة، ولم ينله من الحشيشي الملعون إلا خدشٌ قطرت منه قطرات دم خفيفة، انقطعت لوقتها، واندملت لساعتها، والركوب على رسمه، والحصار لإعزاز على حكمه، وليس في الأمْر بحمد الله ما يضيق صدراً، ولا ماَ يشغل سراً.

وقال ابن أبي طيّ: لما فتح السلطان حصن بزاغة ومنبج، أيقَن مَنْ بحلب بخروج ما في أيديهم من المعاقل والقلاع، فعادوا إلى عادتِهم في نصب الحبائل للسلطان. فكاتبُوا سناناً صاحب الحشيشية مرة ثانية، ورغبوه بالأموال والمواعيد، وحملوه على إنقاذ من يفْتك بالسلطان، فارسل، لعنه الله، جماعة من أصحابه فجاءوا بزي الأجناد ودخلوا بين المقاتلة وباشروا الحرب وأبلوا فيها أحسن البلاء، وامتزجوا بأصحاب السلطان لعلّهم يجدون فرصة ينتهزونها. فبينما السلطان يوماً جالس في خيمة جاولي، والحرب قائمة والسلطان مشغول بالنظر إلى القتال، إذ وثب عليه أحد الحشيشية وضربه بسكينة على رأسه، وكان رحمه الله محترزاً خائفاً من الحشيشية، لا ينزع الزردية عن بدنه ولا صفائح الحديد عن رأسه، فلم تصنع ضربة الحشيشي شيئاً لمكان صفائح الحديد. وأحس الحشيشي بصفائح الحديد على رأس السلطان فسبح يده بالسكينة إلى خد السلطان فجرحه وجرى الدم على وجهه، فتتعْتع لذلك.

ولما رأى الحشيشي ذلك هجم على السلطان وجذب رأسه، ووضعه على الأرض وركبه لينحره، وكان منْ حولَ السلطان قد أدركهم دهشة أخذت بعقولهم وحضر في ذلك الوقت سيف الدين يازكوج، وقيل أنه كان حاضراً، فاخترط سيفه وضرب الحشيشي فقتله. وجاء آخر من الحشيشية أيضاً بقصد

[1] كان العادل في مصر، منذ سنة (٥٧٠هـ) نائباً عن صلاح الدين.

السلطان، فاعترضه الأمير داود بن منكلان الكردي وضربه بالسيف، وسبق الحشيشي إلى ابن منكلان فجرحه في جبهته، وقتله ابن منكلان، ومات ابن منكلان من ضربة الحشيشي بعد أيام. وجاء آخر من الباطنية فحصل في سهم على الأمير علي بن أبي الفوارس فهجم على الباطني، ودخل الباطني فيه ليضربه فأخذه علي تحت إبطه، وبقيت يد الباطني من ورائه لا يتمكن من ضربه، فصاح علي: اقتلوه واقتلوني معه، فجاء ناصر الدين محمد بن شيركوه فطعن بطن الباطني بسيفه، وما زال يخُضخِضهُ فيه حتى سقط ميتاً ونجا ابن أبي الفوارس. وخرج آخر من الحشيشية منهزماً، فلقيه الأمير شهاب الدين محمود، خال السلطان فتنكبَ الباطني عن طريق شهاب الدين فقصدَه أصحابه وقطعوه بالسيوف.

وأما السلطان فإنه ركب من وقته إلى سرادقه ودمه على خده سائل، وأخذ من ذلك الوقت في الاحتراس والاحتراز، وضرب حول سرادقه (مثال الخركاه، ونصب له في وسط سرادقه) برجاً من الخشب كان يجلس وينام فيه، ولا يدخل عليه إلا مَنْ يعرفه، وبطلت الحرب في ذلك اليوم، وخاف الناس على السلطان.

واضطرب العسكر وخاف الناس بعضهم من بعض، فألجأت الحال إلى ركوب السلطان ليشاهده الناس، فركب حتى سكن العسكر، وعاد إلى خيمته. وأخذ في قتال إعزاز فقاتلها مدّة ثمانية وثلاثين يوماً حتى عجز من كان فيها وسألوا الأمان، فتسلمها حادي عشر ذي الحجة، وصعد إليها وأصلح ما تهدّم منها، ثم أقطعها لابن أخيه تقي الدين عمر.

وكانت إعزاز أولاً للجفينة غلام نور الدين، فلما ملك السلطان منبج أخذها منه الملك الصالح وقوّاها لعله يحفظها من الملك الناصر، فلم يبلغ ذلك.

ولما فرغ السلطان من أمر إعزاز حقد على مَنْ بحلب لما فعلوه من أمر الحشيشية، فسار حتى نزل على حلب، خامس عشر ذي الحجة، وضربت خيمته على رأس الياروقية فوق جبل جوشن وجبى أموالها وأقطع ضياعها، وضيق على أهلها، ولم يفسح لعسكره في مقاتلتها، بل كان يمنع أنْ يدخل إليها شيء أو يخرج منها أحد.".

- وهذا ما أثار الخوف والذعر عند صلاح الدين، وصمم على الثأر من مقدم الإسماعيليين في مصياف سنان راشد الدين، مرسلاً إليه صلاح الدين الرسالة التالية: "من الملك الناصر أبي المظفر صلاح الدين ملك مصر إلى سنان راشد الدين زعيم الإسماعيلية في بلاد الشام.

اعلم يا سنان إنك وإن كنت قد أغلقت أبواب قلاعك، وأوصدت أبراج حصونك في وجهي، وأقمت الحراس، وحشدت الفدائية بالنبال والأقواس، فانت لا تقدر أن تنجو من صلاح الدين، الذي سيقطع رأسك، ويخمد أنفاسك، بالرغم من فدائيتك وحراسك. أنا قادم إليك بجيوشي ورجالي، فإما أن تاتي إلينا خاضعاً تائباً ولأوامرنا طائعاً، أنت وجميع قوادك ورؤساء جنودك وتسلموا إلينا مفاتيح القلاع والحصون، لنرفع عليها الأعلام والبنود، وأما نصبنا عليكم المنجنيقات، فلا أبقينا منكم أحد على قيد الحياة، وقد أعذر من أنذر، والسلام.

صلاح الدين

هذه الرسالة أرسلها صلاح الدين وهو يفكر في الهجوم على معاقل الإسماعيلية، وبخاصة مصياف عندما عسكر إلى الجنوب من قلعتها، ظناً منه أن شيخ الجبل ستخيفه جيوش صلاح الدين وطغيانه وظلمه، وحبه لسفك الدماء. وكان سنان أثناء محاصرة صلاح الدين لمصياف يتجول في القرى

الإسماعيلية يتفقدها ويستنهض همم رجالها للمعركة مع صلاح الدين، وصعد إلى قمة جبل مشهد يراقب جيش صلاح الدين، ويستقبل هناك الوفد الذي أرسله صلاح الدين لمفاوضته على التسليم، فكان الوفد برئاسة محمد الكردي الذي سلم الكتاب إلى سنان، فما كان من سنان راشد الدين إلا أن يرسل لصلاح الدين الجواب التالي على رسالته:

يا للرجال من أمر هال مفظعه … ما مر قط على سمعي توقعه

يا ذا الذي بقراع السيف هددنا … لا قام مصرع جنبي حين تصرعه

قام الحمام إلى البازي يروعه … واستيقظت لأسود البر أضبعه

أضحى يسدُّ فم الأفعى بأصبعه … يكفيه ما قد تلاقي منه أصبعه

لو أن عمرك حبلاً أنت ماسكه … فسوف تعلم يوماً كيف نقطعه

وقفنا على تفاصيله وجمله، وعلمنا ما هددنا به من قوله وعمله، فيا لله العجب من ذبابة تطن في أذن فيل، وبعوضة تعض في التماثيل، ولقد قالها من قبلك قوم آخرون، فدمرناها عليهم، وما كان لهم من ناصرين، أو للحق تدحضون، وللباطل تنصرون؟ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. وأما ما صدر من قولك في قطع رأسي، وقلعك لقلاعي من الجبال الرواسي، فتلك أماني كاذبة وخيالات غير صائبة، فإن الجواهر لا تزول بالاعراض، كما أن الأرواح لا تضمحل بالأمراض، كم بين قوي وضعيف، ودنيء وشريف، وإن عدنا إلى الظواهر والمحسوسات وعدلنا على البواطن والمعقولات، فلنا أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: "ما أوذي نبي ما أوذيت" ولقد علمتم ما جرى على عترته وأهل بيته وشيعته، والحال ما حال والأمر ما زال، ولله الحمد في الأولى والآخرة، إذ نحن مظلومون لا ظالمون، ومغصوبون لا

غاصبون، وإذا جاء الحق زهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً. ولقد علمتم ظاهر حالنا وكيفية رجالنا وما يتمنونه من الفوت، ويتقربون به إلى حياض الموت. "قل فتمنوا الموت إن كنتم صادقين. ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين". وفي أمثال العامة السائرة (أو للبط تهددون بالشط؟). فهيء للبلايا جلباباً وتدرع للرزايا أثواباً، فلأظهرن عليك منك، ولأفنينهم فيك عنك، فتكون كالباحث عن حتفه بظلفه، والجادع مارن أنفه بكفه، وما ذلك على الله بعزيز. فإذا وقفت على كتابنا هذا فكن لأمرنا بالمرصاد، ومن حالك على اقتصاد، واقرأ أول النحل وآخر صاد".

وبعد أن أدرك سنان أن الرسائل ليست بالسلاح المخيف، عمد إلى إرسال أحد الفدائية - بل ويرى البعض أن سناناً نفسه هو من قام بذلك - فدخل خيمة صلاح الدين مقابلة القلعة من الجنوب، رغم حيطته في فرض الحراسة المشددة، فبدل موضع المصابيح التي كانت تنير الخيمة، ووضع خنجراً مسموماً غرسه في رغيف حار قرب رأس صلاح الدين، وإلى جانبه قطعة من الورق كتب عليها عدة أبيات من شعر سنان فيها:

إنا قد منحناك ثوباً للحياة فإن ... كنت الشكور وإلا سوف نخلعه
قد قام قف إلى قاف يزعزعه ... كضفدع تحت صخر رام يقلعه
ما يستحي ثعلب صفرت همته ... يرسل إلى أسد الغابات يفزعه

أما في مناقب سنان راشد الدين، فذكر البيتين التاليين سابقي الذكر:

أما وجلال الملك ما تملكونها ... مراغمة ما دام ذا النصر قائم
نخبركم أنا قدرنا عليكم ... نؤخركم حتى تتم العزائم

وعندما نهض صلاح الدين مبكراً ورأى الخنجر والكتاب أيقن بأن حياته بيد سنان، فلو أراد قتله لفعل، وهنا لجأ إلى المصالحة عن طريق خاله أمير حماة شهاب الدين الحارمي.

- سنان والصليبيين (Sinan and the Crusaders):

إن معظم القلاع التي امتلكها الإسماعيليون في جبال البهرة، كانت سابقاً بيد الصليبيين، وبقيت العديد من القلاع الهامة القريبة من قلاع الإسماعيلية بيد الصليبيين والتي تشكل خطراً عليهم.

وفي سنة (٥٣٧هـ/١١٤٢ أو ١١٤٥م) أعطى أمير طرابلس حصن الأكراد (قلعة الحصن) الواقع في الطرف الجنوبي من جبال البهراء إلى الجنوب من مصياف بنحو (٤٠) كم إلى الاسبتارية. وقد حصل نزاع واشتباكات بين الإسماعيليين النزاريين وجماعتي الاسبتارية وفرسان المعبد، وهما المنظمتان اللتان كانتا تدينان بالولاء مباشرة للبابا، حيث كان الإسماعيليون يدفعون أتاوة سنوية لفرسان المعبد[1]. وعقب ذلك، وحوالي سنة (٥٦٩هـ/١١٧٣م) أرسل سنان إلى أمريك الأول، في سعي منه لإعادة علاقات صداقة رسمية مع مملكة القدس اللاتينية، حيث كان يأمل في التخلص من دفع الأتاوة لفرسان

(1) الاسبتارية: منظمة دينية عسكرية ساهمت في أحداث الحروب الصليبية. نشأت في القرن الحادي عشر الميلادي للعناية بالحجاج المسيحيين في فلسطين، كان مقرها الرئيسي مستشفى القديس يوحنا في القدس، ثم انتقل مركزها إلى عكا منذ (١١٨٧م)، ثم إلى قبرص سنة (١٢٩١م) وبعده في سنة (١٣٠٠م) إلى رودس.

أما فرسان المعبد أو فرسان الهيكل أو الداوية: فهم منظمة دينية عسكرية أيضاً، اطلق عليها اسم فرسان الهيكل نسبة إلى مقرهم في القدس قرب هيكل سليمان. أصبحوا منظمة عسكرية مرموقة خلال الحرب الصليبية، وكان الداوية قد نقلوا مقرهم إلى عكا وبعده إلى قبرص. وقد كان رجال هاتين المنظمتين من أشد الصليبيين وطأة على المسلمين، حيث كانوا مكلفين بحفظ القلاع والإغارة منها على بلاد المسلمين.

المعبد. غير أن فرسان المعبد عارضوا هذه السفارة النزارية، حتى أن أحد رؤسائهم ويدعى (وولتر) من منسيل، نصب كميناً لمبعوثي سنان في طريق عودتهم وقتلهم عن آخرهم. ولم تسفر المباحثات بين إفرنجة القدس وسنان عن شيء. ولقد توفي أمريك الأول سنة (٥٧٠هـ/١١٧٤م). على أن الإسماعيليين بقيادة سنان راشد الدين لم يأبهوا لتعنت الصليبيين، بل ازدادت قوتهم وعزيمتهم على الوقوف في وجههم، وغدوا قوة جبارة ضد الصليبيين مع قوة صلاح الدين.

ولقد نفذ الفدائيون الإسماعيليون عدة اغتيالات بالقيادات الصليبية، نذكر منها:

١ـ اغتيال المركيز كونراد دي مونتفرات في صور، ملك القدس الإفرنجي المنتخب حديثاً، وزوج إيزابيلا ابنة أمريك الأول، وذلك في ربيع الثاني من سنة (٥٨٨هـ) الموافق إلى شهر نيسان (١١٩٢م). ولقد نفذ الاغتيال اثنان من الفدائيين تنكرا بزي راهبين مسيحيين كانا قد تمكنا من كسب ثقة كونراد، وقَدَّمَ الفدائيان رأس كونراد هدية إلى صلاح الدين، فكافأهما وأحسن إليهما ومنحهما دقيقاً، كما أعطى سناناً عشر قرى ألحقها بمصياف. وكان كونراد دي مونتفرات قد اعتدى على سفينة إسماعيلية في عرض البحر مقابلة مدينة صور.

ولقد أورد (أبو فراس) صاحب مناقب سنان، ما يلي:

"فنرى كونراد مونتفرات، أمير صور يعتدي على سفينة إسماعيلية في عرض البحر، فيرسل إليه سنان فدائيين لقتله، وتقديم رأسه لصلاح الدين، فكافأهما وأحسن إليهما ومنحهما دقيقاً، بعد أن قاما بتنفيذ مهمتهما. وأعطى سناناً عشر قرى ألحقها بمصياف". ولنستمع إلى صاحب المناقب، وهو يروي هذه المغامرة:"وأخبرني الرفقاء الأمناء الفضلاء أن الملك صلاح الدين لما

أخذ عكا خرج عليه من البحر ملك من ملوك الإفرنج بجيش عظيم، فهجم على عكا وملكها، وقتل من كان فيها من المسلمين. ونصب دهليزه مقابل دهليز الملك صلاح الدين، وأصبح جيشه مقابل جيشه، واشتد الحرب بينهما.

وظل صلاح الدين في حيرة من أمره. وكان المولى راشد الدين منه السلام يومئذ في حصن الكهف، فقال: أيها الرفقاء إن صاحبنا الملك صلاح الدين اليوم في ضائقة وهو بأمس الحاجة لمساعدتنا. ثم طلب رجلين من رجال الجهاد الذين قد علمهما الحديث بالإفرنجي.

فلما مثلا بين يديه أمر لهما ببدلتين من لباس الإفرنج وسيفين من سيوف الإفرنج، ثم قال لهما: اذهبا إلى الملك صلاح الدين بكتابي هذا، وليكن مبيتكما هذه الليلة في المكان الفلاني، وفي الليلة الثانية في المكان الفلاني. وبعد أن عين لهما المنازل ليلة بعد ليلة، قال لهما: وسيكون وصولكما إلى عكا في الليلة الفلانية وقت العصر، فإن لم تصلا في نفس اليوم الذي أُعينه لكما وفي الوقت الذي أوقته لن تصلا إلى مرادكما ولن تبلغا مقصدكما، وستصلان في نفس اليوم والوقت إن شاء الله تعالى. وستدخلان على صلاح الدين فسلما عليه من جهتي، وبلغاه خالص محبتي، وادفعا إليه بكتابي هذا، فإذا قرأه وعرف ما فيه، وفهم معانيه، فقولا له إنني قد أرسلتكما إلى عدوه ملك الإفرنج لتقتلاه في تلك الليلة. وإذا غربت الشمس اخرجا من عند الملك وابتعدا عن الجيش، ثم عودوا إلى جيش الإفرنج عن طريق شاطئ البحر فاختلطا فيه في الغبش، ومن ثم اقصدا دهليز الملك ليلاً فتجدانه سكراناً مكباً على وجهه، وليس عنده أحد فاجتزا رأسه وخذا حياصته وسيفه وأنتما في لباس الإفرنج فلا يعرفكما أحد، وإذا قال لكما أحد شيئاً فجاوباه بالإفرنجي فلا يعرفكما. ومتى وصلتما إلى عند الملك صلاح الدين ووضعتما الرأس والحياصة والسيف بين يديه فإنه من ساعته يبادر إلى عسكر الإفرنج

فيكسره ويمزقه في كل قطر إن شاء الله تعالى ويقتل منهم خلقاً كثيراً، ويصبح منصوراً مجبوراً مسروراً، فيطلبكما ويقول لكما تمنيا علينا مهما شئتما، فلا تتمنيا ذهباً ولا فضة، ولا غير ذلك. بل قولا له نحن قوم قد خرجنا عن أنفسنا في طاعة الله تعالى، وتركنا الدنيا وأسبابها وزهدنا فيها، فلا تتمنيا شيئاً منها إلاّ شيئاً واحداً، وهو أنه لما سافرتما من عند أهلكما لم يكن عند صغاركما دقيق فيتصدق الملك على كل واحد منكما براحلة دقيق لا غير. فقالا سمعاً وطاعة.

ثم خرجا من عند المولى راشد الدين علينا منه السلام، وتوجها إلى عكا، وحافظا على كل ما أمرهما به، وعملا بجميع وصاياه. ووصلا إلى عكا في الوقت المعين لهما بعينه، وحضرا عند الملك صلاح الدين، ودفعا له كتاب المولى راشد الدين منه السلام وبلغاه سلامه إليه، وقالا له: إن سيدنا قد أمرنا أن نقتل ملك الإفرنج في هذه الليلة وقد عين لنا الوقت الذي يجب أن نقتله فيه لأننا كما قال مولانا سنجده نائماً على وجهه وهو سكران وليس عنده أحد. وإذا تأخرنا عن الوقت الذي حدده لنا لا نقدر عليه، ولن نصل إليه.

فلما سمع الملك كلامهما سره ذلك سروراً عظيماً فأكرم مثواهما واختفيا عنده إلى أن جنحت الشمس إلى الغروب، فلبسا لباس الإفرنج وتحدث كل واحد منهما مع صاحبه بالإفرنجية فأعجب الملك لباسهما وشكلهما وحديثهما فابتسم ضاحكاً منهما، وقد سره عزمهما ورباطة جأشهما. ثم خرجا من عنده وابتعدا عن الجيش وعادا من جهة شاطئ البحر إلى جيش الإفرنج فغاصا في لجته وقد أرخى الليل أذيال دجنته. ولما قربا من دهليز الملك وحان الوقت المعين لهما هجما عليه فوجداه سكراناً نائماً على وجه كما قال لهما سيدهما وليس عنده لا أنس ولا جان.

فاجتزا رأسه ووضعاه في مخلاة من الشعر، وأخذا سيفه وحياصته وخرجا من بين جيش الإفرنج مسرعين إلى أن دخلا على الملك صلاح الدين فوضعا الرأس بين يديه والسيف والحياصة. فقبل صلاح الدين كل واحد منهما بين عينيه، ثم أمر جيشه بالركوب، فركبوا وحملوا على جيش الإفرنج فهزموه ومزقوه وقتلوا أكثره ومحقوه، وبذلك أصبح الملك صلاح الدين في غاية البسط والحبور، مؤيداً منصوراً مستبشراً مسروراً. وبعد أن تم له كل شيء طلب الفدائيين، فلما حضرا قام لهما تبجيلاً وعظم قدرهما فقام لقيامه الوزراء والجلساء، فخلع عليهما وأحس إليهما وأجلسهما إلى جانبه وقال لهما: تمنيا علينا مهما شئتما، واطلبا أي شيء أردتما، فقد وجب علينا حقكما؟ فقالا: أيد الله مولانا الملك وحرسه بالملائكة، وألقى عدوه في التهلكة، إن الدنيا دار عدم سيندم المغتر بها حيث لا ينفعه الندم، ونحن عنها من الحائدين وفيها من الزاهدين، لا نطلب شيئاً على التحقيق سوى راحلتين من الدقيق لكل منا راحلة لأجل ما عنده من الأطفال. فرسم السلطان صلاح الدين عند ذلك بأن يكتب للدعوة الهادية في كل معاملة من المعاملات القريبة إلى قلاع الدعوة عشرة ضياع، ويبني لبيت الدعوة الهادية في كل مدينة من المدن دار دعوة في مصر ودمشق وحمص وحماة وحلب وغيرها من المدن. ولا تزال إلى زماننا هذا تعرف بالدعوة. وأنعم على الفدائيين، وسير معهما إلى المولى راشد الدين منه السلام هدية سنية".

- **فدائية سنان:**

إن سنان راشد الدين وقادة الحركة الإسماعيلية في سورية السابقين له كانوا مرتبطين بالدولة الإسماعيلية النزارية في إيران، وتلقوا تعليمهم في مدارسها، وتربوا على مبادئها وانتهجوا نهجها في الدعوة، وكان التنظيم

الفدائي أحد الأساليب الذي أوجده الحسن بن الصباح في إيران، وانتقل إلى سورية بمراتبه المعروفة وآلية الأعداد.

والواقع أن الفدائية ردة فعل سلبية عنيفة، شنتها الحركة الإسماعيلية على خصومها، الذين أظهروا عداءَهم الشديد للإسماعيلية أينما كانوا في العراق والشام والجزيرة العربية وإيران، محدثين المجازر الشنيعة بحقهم دون تفريق بين طفل وشيخ ورجل وامرأة. ولذا أشهر الإسماعيليون خناجرهم وأخرجوها من أغمادها، واستخدم قادتهم ذكاءَهم الوقاد في تنظيم هذه الأداة لتأييد سلطانهم السياسي وترسيخه في جبال البهرة دولتهم الثانية بعد آلموت، وأملهم المنشود في البقاء والاستمرار.

وحاولت الدولة الإسماعيلية أن تتشبث بالحياة وسط صخب العواصف وتطاحن الشرق والغرب على صعيد المادة والروح. فلم تجد جيشاً يرتفع إلى مستوى القوى المتصارعة.ولم ترض لنفسها نهاية فاجعة دون أن تهرق دماء المعتدي ما يشفي غلة الصدر. ولم يكن هناك من سبيل بالإضافة إلى الدعوة السلمية والدفاع العلني سوى الحرب الخفية السرية المنظمة عبر ما عرف بالفدائية الإسماعيلية الذين هم تنظيمٌ إسماعيليٌ مبتكرٌ لا سابق له في التاريخ، انتقل من إيران الحسن بن الصباح إلى سورية.

ولقد بذل شيوخ الجبل الإسماعيليون السوريون وعلى رأسهم سنان راشد الدين عناية كبيرة في إعداد أفراد التنظيم الفدائي في مدرسة الدعوة في الكهف، وعملوا على تلقينهم منذ الصغر مبادئ الدعوة وأصول العقيدة، وجهدوا على تنشئة جيش الفدائية على الطاعة العمياء والانقياد الكلي لإرادة شيوخ الجبل التي هي من إرادة وتعليمات الإمام، دون أن يهملوا تعليمهم أصول الجدل والمناقشة ودراسة الفقه الإسلامي، وتدريبهم على استعمال المكاتبات السرية في اتصالاتهم الداخلية والخارجية.

كما أدرك شيوخ الجبل في مصياف قيمة الجاسوسية الدولية، وفطنوا لأساليبها، فعملوا على تدريب الفرق الفدائية على مختلف أنواع الأسلحة وضروب القتال، كما لقنوا أفرادها العلوم والفلسفة، وعلموهم لغات أهل البلاد المجاورة، ومذاهبهم وأديانهم. وبهذا تشكل تنظيماً فدائياً على مستوى الأحداث التي عاشتها دولة مصياف الإسماعيلية، فنفذ أفراده الاغتيالات للأعداء بنجاح عجيب، وحموا الحصون والقلاع، وسهروا على الأمن والنظام وهادنهم ومالاءهم الأقوياء من سلاجقة وصليبيين وأيوبيين وزنكيين، ومماليك. وحققوا المجد والعزة والفخار لعقيدتهم لفترة طويلة من الزمن، بحيث نجد أن التاريخ لم يستطع أن يطويها، فهي من مورثات الأجيال البشرية من كان إسماعيلياً أو صديقاً أو عدواً، وما تزال بطولات الفدائيين وشجاعتهم إنموذجاً يحتذى به.

ومما ذكره المؤرخون الأجانب المرافقون للحملة الصليبية الثالثة عن فدائية سنان، نذكر ما قاله المؤرخ الألماني (أرنولد لوبيخ): "سأنسب أشياء إلى هذا الشيخ تبدو تافهة ولكنها توضحت لي من خلال تأكيدات شهود وأعيان. إن هذا الشيخ له تأثير لا يقاوم وسحر يذهل شعب بلد، بحيث أنهم لا يؤمنون بأي إله ولا يعبدون أحداً غيره، وهو يغريهم بآمال وملذات أبدية، ويجعلهم يفضلون الموت على الحياة. والعديد منهم يقفزون من على سور بناء عال بإيماءة منه ويحطمون رؤوسهم ويموتون بشكل مأساوي. إن ذوي الحظ الأوفر هم الذي يقتلون أحداً ثم يتعرضون للانتقام ويقتلون انتقاماً له، يسلمه ـ أي الشيخ ـ بيده خنجراً معداً خصيصاً لهذه الأعمال ثم يُسمّمه بحيث تراه يطعن به بكل نشوة. وهو يحدثهم عن الأحلام السحرية الرائعة المليئة بالأفراح والملذائذ التي يعدهم بتحقيقها لهم في الحياة الآخرة مكافأة لهم على طاعتهم وأعمالهم".

ومما يدل على الرعب الذي عاشه الصليبيون وأعداء الإسماعيلية من الفدائية، ذلك الوصف الذي قدمه الراهب الألماني (كريس بروكاردوس) في رسالته التي أرسلها إلى ملك فرنسا فيليب السادس، اثناء تجهيز حملة صليبية من أجل استعادة الأماكن المسيحية المقدسة، متضمنة نصائح يجب الأخذ بها، والمخاطر التي قد تواجه رجال الحملة، فكان مما قاله: "واذكر الحشاشين الذين يجب لعنهم والابتعاد عنهم.. وهم مثل الشيطان يظهرون بمظهر الملائكة، ويقلدون عادات وتصرفات مختلف الشعوب والأمم. وهكذا تجدهم مختبئين في ثياب الصوف، ويتعرضون للموت حالما يتم التعرف عليهم. وإني في الحقيقة لم أشاهد أحداً منهم، ولهذا لا يمكنني أن أقول كثيراً، ولا إعطاء المزيد من المعلومات عنهم. ولا أستطيع أن أبين كيف يمكن التعرف عليهم إن كان من خلال عاداتهم أو أي سمات أخرى، لأنني لا أعرف شيئاً عن ذلك، وكذلك لا يعرفه الآخرون. ولا يمكنني أن أعرفهم من خلال أسمائهم لأن صنعتهم ملعونة ويكرهها الجميع. وهم يسترون أسماءهم قدر استطاعتهم. وإنما أعرف أن هناك علاجاً واحداً فقط لأجل حماية الملك منهم، وهو أنه لا يجوز لحاشية الملك مهما كان السبب صغيراً أو كبيراً أن تتكلم إلا مع الذين يعرّفون عن أسمائهم وحالهم وحال بلادهم بوضوح كامل".

ولم يكن الفدائي يوماً مرتزقاً، يبيع نفسه بالمال، ولا تغريه ملذات الحياة، وليس بالمتعطش للدم، فالقتل ليس من شيمته وإنما الدفاع عن عقيدته وجماعته هو الذي يقوده إلى التضحية بحياته.

. وفاة سنان راشد الدين:

توفي سنان راشد الدين في قلعة الكهف سنة (٥٨٨هـ/١١٩٢م) أو سنة (٥٨٩هـ/١١٩٣م). والتاريخ الأول هو الأكثر تداولاً. وتم دفنه في احتفال كبير في قمة جبل مشهد المطل على مصياف من الجهة الغربية، بعد أن خدم

الإسماعيلية في سورية أكثر من ثلاثين عاماً، عمل خلالها على توطيد الدولة النزارية السورية، وقاد أتباعها إلى قمة المجد والشهرة، وكان الوحيد من بين الزعماء النزاريين السوريين الذي حقق استقلالاً ملموساً عن آلموت.

ولقد حقق سنان لإسماعيلية سورية هوية مستقلة، ونفوذاً خاصاً بهم، وأمن لهم شبكة من القلاع والحصون، ومجموعة من الدعاة الأكفاء، وأوجد قوة فدائية شديدة البأس. كما أنه بأفقه الواسع وذكائه المتقد، وبعد نظره، واستراتيجياته العسكرية وتحالفاته، لم يعرض مستقبل جماعته إلى الخطر، وحماها من المذابح والمهالك.

. أوضاع إسماعيلية سورية بعد سنان:

خلف سنان راشد الدين في رئاسة الدعوة الإسماعيلية في سورية سنة (٥٨٨هـ/١١٩٢م) الداعي أبو منصور بن محمد (نصر العجمي). وبتولي هذا الداعية الفارسي لأمور الدعوة النزارية السورية، استعادت آلموت سيطرتها على إسماعيلية سورية، واستمرت هذه السيطرة حتى سقوط الدولة النزارية الفارسية سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م). غير أن القيادة الفعلية بعد وفاة سنان كانت لابنه الحسن بن سنان حتى وفاته سنة (٦١٩هـ/١٢٢٠م) في القدموس، الذي استمر على أسلوب والده ونهجه، ويعبر عن ذلك (فيليب حتى) في كتابه (تاريخ سورية) بقوله:

".. ثم يأتي بعد سنان ابنه الحسن ويشعر الفرنجة بعد وفاة سنان بالفراغ الهائل، فيهرع هنري دوشامبانيا إلى زيارة الحسن الذي كان آنذاك في قلعة الكهف، وكان هنري في طريقه إلى أنطاكية، فيستقبله الحسن استقبالاً لائقاً. ولكن هنري يطلب من شيخ الجبل التعاون، ويشعره أنه بعد وفاة سنان يمكن أن تكون مظاهر الضعف قد سيطرت على الإسماعيليين شأن الفئات الأخرى. ولكن شيخ الجبل أفهمه أنه أقوى عندما أمر بإشارة إلى فدائيين أن

يلقيا بنفسيهما من أعلى البرج الشاهق، وينفذان الأمر بحماس. فيصعق هنري، ويقول للحسن ليس في دول الفرنجة من يستطيع أن يملك مثل هؤلاء الأتباع".

ولقد تمكن الإسماعيليون في عهد الحسن من بسط سيادتهم على قلعة صهيون، وعين المقدم محمد ابن سعد الدين بن المظفر سيداً عليها، وليمتد بعدها نفوذ الإسماعيليين وسيطرتهم إلى قلعة برزية (سنة ٦١١هـ/١٢١٤م)، ومن ثم قلعتي الشغر وبكاس (٦١٢هـ/١٢١٥م).

ولقد تألقت فيما بعد أسماء العديد من الدعاة والقادة الإسماعيلين، منهم: كمال الدين الحسن بن مسعود (٦١٩ ـ ٦٢٤هـ/ ١٢٢٢ ـ ١٢٢٦م)، مجد الدين بن محمد (٦٢٤ ـ ٦٢٥هـ/١٢٢٦ـ ١٢٢٧م)، سراج الدين مظفر بن الحسين (٦٢٥ ـ ٦٥٦هـ/١٢٢٧ ـ ١٢٣٧م)، تاج الدين أبو الفتوح بن محمد (٦٣٥ ـ ٦٥٦هـ/١٢٣٧ ـ ١٢٥٨م)، رضي الدين أبو المعالي (٦٥٦ ـ ٦٦٠هـ/ ١٢٥٨ ـ ١٢٦٢م)، نجم الدين الشعراني (٦٦٠ ـ ٦٧٢هـ/ ١٢٦٢ـ ١٢٧٣م)

وحافظ إسماعيلية سورية على علاقات ودية مع خلفاء صلاح الدين الأيوبي في سورية. ولم يقدموا على اغتيال أي شخصية إسلامية سنية، لكنهم واصلوا نزاعهم ومناوشاتهم مع الإفرنج الذين كانوا لا يزالون يسيطرون على الساحل السوري.

وفي سنة (٦١٠هـ/١٢١٣م) قتل الفدائيون الإسماعيليون ريموند ابن ملك انطاكية بوهيموند الرابع (١١٨٧ـ١٢٣٣م) في كاتدرائية طرطوس. وفي السنة التالية (٦١١هـ/١٢١٤م) قام بوهيموند بالانتقام، وذلك بحصار قلعة الخوابي، مما اضطر الإسماعيليين لطلب النجدة من الملك الظاهر بن صلاح الدين أمير حلب، ومن ثم من الملك العادل الأول أمير دمشق الأيوبي الذي أرسل جيشاً أرغم الإفرنج على رفع الحصار والانسحاب من الخوابي.

وفي سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٧م) بعث الإمبراطور الألماني فردريك الثاني ـ الذي ذهب إلى الأراضي المقدسة في حملة صليبية خاصة به ـ بالرسل إلى الزعيم الإسماعيلي مجد الدين وهي محملة بالهدايا التي بلغ قيمتها نحو (٨٠) ألف دينار كان مقدراً لها أن تنتهي في آلموت.

وقرابة تلك الفترة، طالب الإسبتاريون من النزاريين السوريين بدفع الأتاوة لهم، ولكنهم رفضوا في بادئ الأمر ـ حيث كان الإسماعيليون في تلك الآونة هم الذين يتلقون الهدايا والأتاوات من أباطرة الإفرنج وملوكهم ـ، فاقدم الاسبتاريون على مهاجمة الإسماعيليين، وحملوا معهم غنائم كثيرة. وبحلول سنة (٦٢٥هـ/١٢٢٨م) صار الإسماعيليون يدفعون الأتاوة إلى الاسبتارية، إضافة إلى تلك التي كانوا يدفعونها إلى فرسان المعبد، كما حاول الإسماعيليون بقيادة تاج الدين أبو الفتوح بإقامة علاقة طيبة مع الملك الفرنسي لويس التاسع الذي قاد الحملة الصليبية السابعة.

غير أن الأهم هو خضوع مناطق الإسماعيلية النزارية السورية في نهاية المطاف لسلطة السلطان المملوكي الظاهر بيبرس (٦٥٨ـ ٦٧٦هـ/١٢٦٠ـ ١٢٧٦م). ومما قام به الإسماعيليون السوريون بعد الغزو المغولي الهولاكي لسورية واستيلاء المغول على حلب سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) وبعدها على حماة ودمشق وأربعة قلاع إسماعيلية من بينها مصياف، تعاون الإسماعيليون مع المماليك والحكام المسلمين الآخرين في دفع المغول عن سورية ببداية هزيمتهم في عين جالوت (٢٥ رمضان سنة ٦٥٨هـ/١٣ أيلول سنة ١٢٦٠م)، ومن ثم استرداد القلاع الإسماعيلية والمدن السورية الأخرى، وكان زعيم الإسماعيلية آنذاك رضي الدين أبو المعالي الذي أصبح داعي الدعاة في سورية سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، وتلاه نجم الدين الشعراني (سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م). على أنه خلال فترة حكم الظاهر بيبرس لسورية خضعت مناطق الإسماعيلية للحكم المملوكي بسقوط

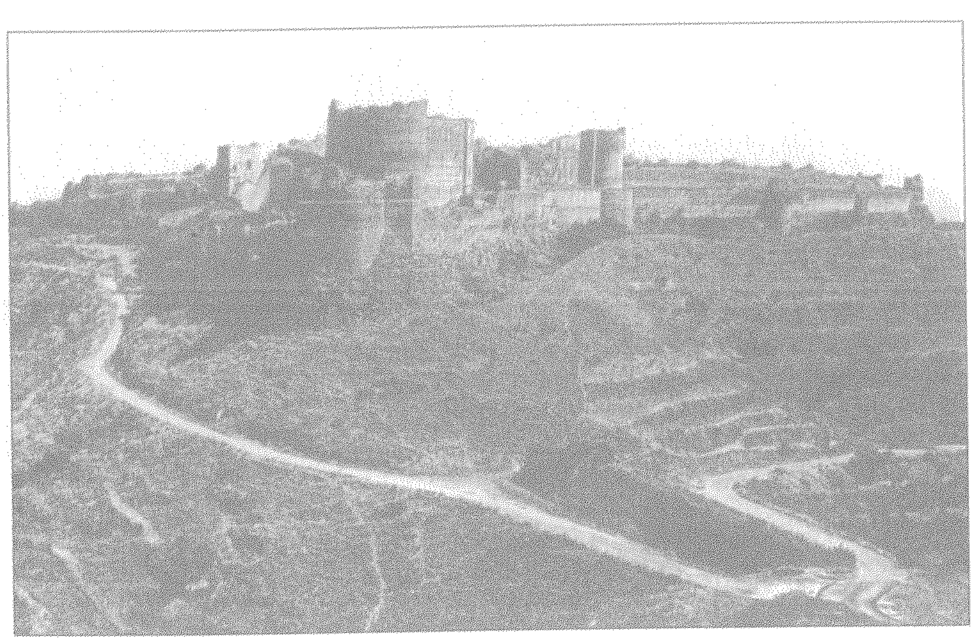
قلعة الكهف آخر القلاع التي صمدت ومن ثم احتلت سنة (٦٧١هـ/١٢٧٣م)، وفرض بيبرس على الإسماعيليين أتاوة.

لقد حاول الإسماعيليون النزاريون في سورية إقامة علاقات صداقة مع بيبرس عن طريق إرسال السفارات والهدايا، واستجاب لذلك في أوائل عهده لانشغاله بالمغول والفرنجة، ومنح عدة امتيازات للإسماعيلية. لكنه عندما شعر بضعف الإسماعيليين وانشقاقهم الداخلي وتعاظمت قوة بيبرس، أخذ منذ سنة (٦٦٤هـ/١٢٦٦م) يخطط للقضاء على دولة الإسماعيلية. ومنذ سنة (٦٦٥هـ) بدأ الإسماعيليون يدفعون الأتاوة لبيبرس.

وبينما كان بيبرس في رحلته لمحاصرة قلعة الحصن المجاورة للأراضي الإسماعيلية سنة (٦٦٨هـ/١٢٧٠م) لم يمثل نجم الدين أمام السلطان لتحيته، مما دفع بيبرس إلى عزله من رئاسة الدولة الإسماعيلية، وتسمية صهره صارم الدين بدلاً عنه. كما طلب بيبرس تسليمه قلعة مصياف. وخلال عدة أشهر أعاد بيبرس نجم الدين إلى القيادة الإسماعيلية. وفي شهر رجب من عام (٦٦٩هـ/شباط١٢٧١م) اعتقل بيبرس اثنين من الإسماعيليين من العليقة بحجة أنهما أُرسلا لقتله، وكان هو في محاصرة الإفرنج في قلعة الحصن. وعلى أثر ذلك اعتقل السلطان بيبرس، شمس الدين ابن نجم الدين بتهمة التعاون مع الإفرنج ضده، غير أن نجم الدين والده تدخل مع بيبرس وأطلق سراحه لبراءته من تلك التهمة. كما أطلق بيبرس سراح الفدائيين الإسماعيليين. ولكن بيبرس طلب من نجم الدين التخلي عن منصبه القيادي وتسليم أمر القلاع الإسماعيلية إلى المماليك. وارتحل نجم الدين بصحبة بيبرس وكان في التسعين من عمره إلى القاهرة حيث توفي هناك سنة (٦٧٢هـ/١٢٧٣م)، مع السماح لابنه شمس الدين البقاء مؤقتاً في سورية لتصفية أمور الدعوة الإسماعيلية وقلاعها. ولقد حاول الداعي شمس الدين عبثاً إعادة تنظيم النزاريين ضد بيبرس لبعض الوقت، غير

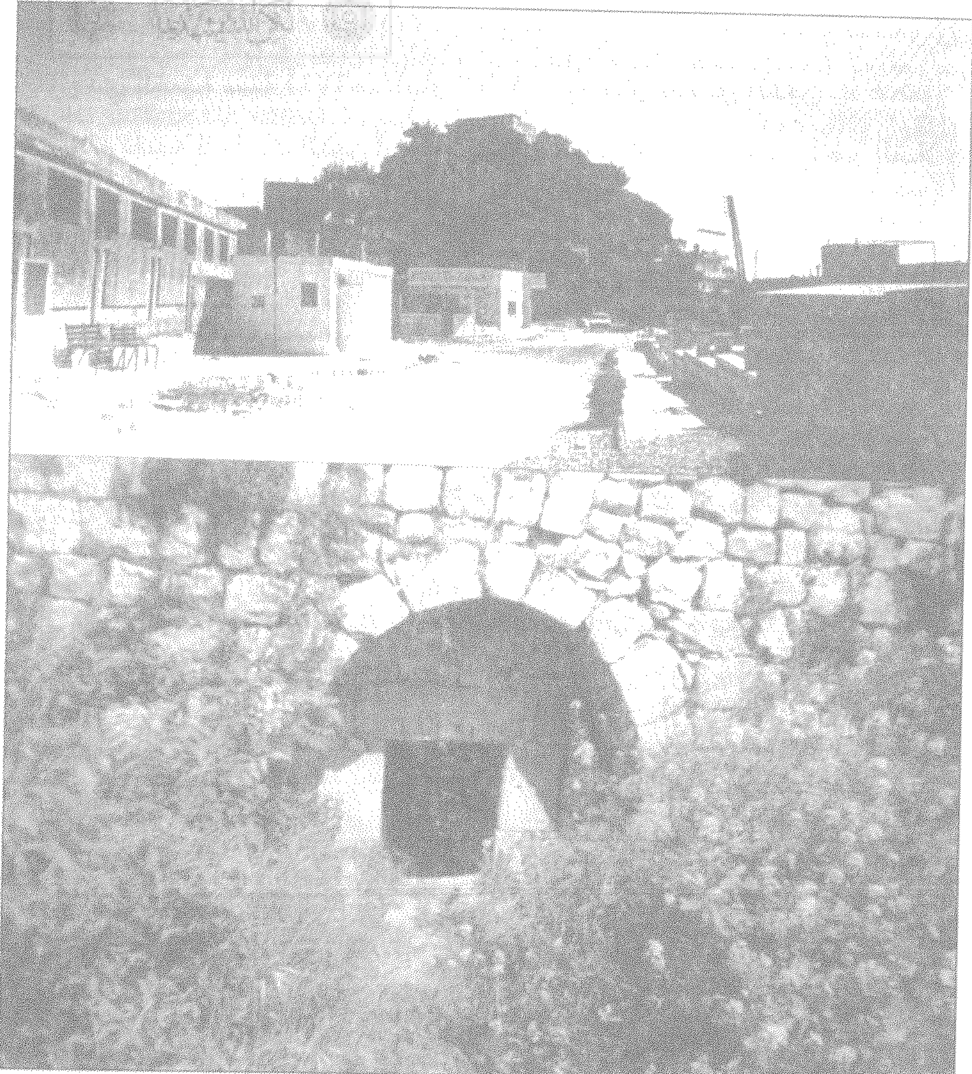
أن القلاع النزارية راحت تسلم بتتابع سريع لبيبرس سواء بالحصار العسكري أو بالمفاوضات والتهديد والترغيب؛ فقد استسلمت قلعتا العليقة والرصافة في شهر شوال سنة (٦٦٩هـ/ أيار ١٢٧١م)، والخوابي والقليعة والمينقة والقدموس بحلول ذي القعدة سنة (٦٧١هـ/أيار ١٢٧٣م). وكان شمس الدين في غضون ذلك سلم نفسه للمماليك الذين أرسلوه إلى القاهرة للإقامة فيها. وآخر القلاع الإسماعيلية التي لم تستسلم وإنما أبدت مقاومة هي قلعة الكهف التي سقطت في شهر ذي الحجة سنة (٦٧١هـ/تموز١٢٧٣م) في أيدي المماليك. شكل (١٩) صور لبعض القلاع الإسماعيلية.

غير أن بيبرس اتبع سياسة تسامح مع الإسماعيليين وأبقاهم في قلاعهم في جبال البهراء في حالة شبه استقلال ذاتي. وهذا ما منح إسماعيلية سورية الفرصة للمحافظة على هويتهم وتقاليدهم وممارساتهم، وهو ما حرم منه إخوانهم إسماعيلية إيران.



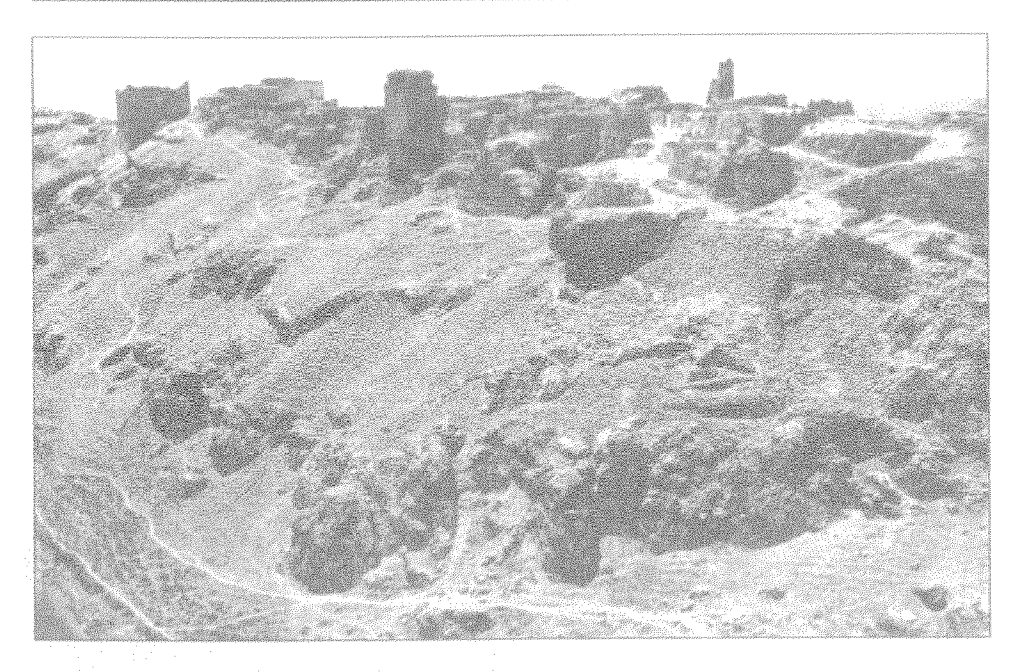
شكل (١٩ ـ آ) قلعة المرقب





شكل (١٩ ـ ب) صورة عامة لقلعة القدموس (في الأعلى) وصورة داخلية لقلعة القدموس لم يبق منها سوى هذه الغرفة

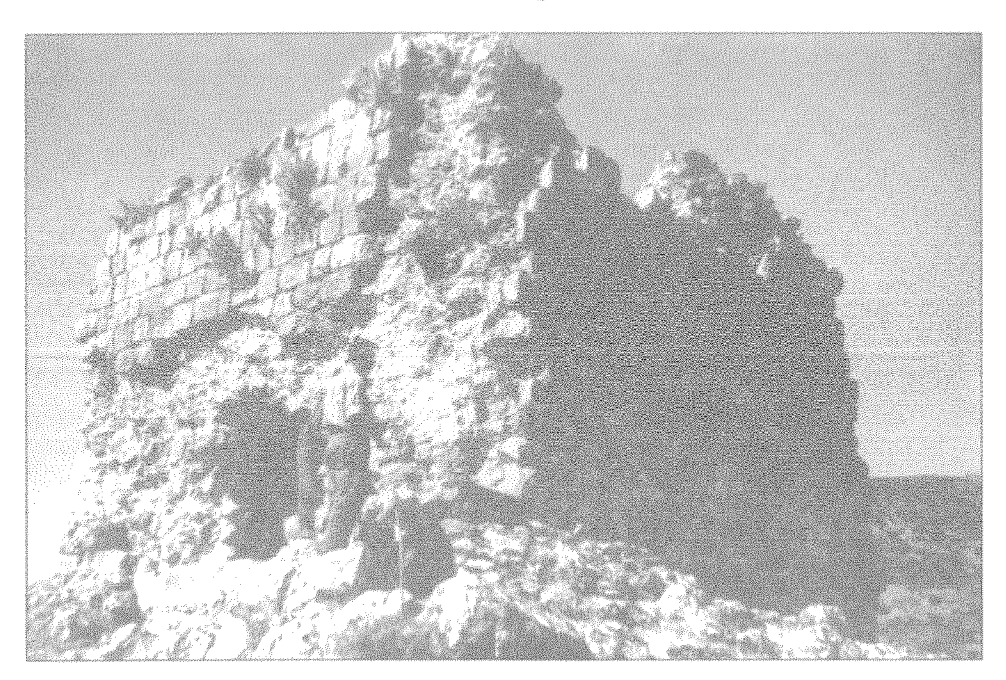




شكل (١٩ ـ ج) صورتان لقلعة شيزر



موقع قلعة أبو قبيس



من بقايا قلعة أبو قبيس

شكل (١٩ ـ د) صورتان لقلعة أبو قبيس

الفصل الرابع

شيخ الجبل الرابع

موسى بن حسن القصار

. ولادته ونشأته

. أعماله

. وفاته



. ولادته ونشاته:

ولد موسى بن حسن القصار في بلدة شيزر، من محافظة حماة، القريبة من مدينة محردة، والتي تبعد عن مدينة حماة نحو (٣٠) كم. وكانت ولادته في سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٦م). وما أن شب حتى انتقل إلى حلب، ليتلقى علومه الأولية على أيدي دعاة الإسماعيلية في مدارس الدعوة بحلب، التي أظهر فيها نبوغاً ملفتاً للنظر، مما شجع القائمين على الدعوة في حلب على إرساله إلى (آلموت) لاستكمال تعليمه الديني والفلسفي على أيدي كبار العلماء الفلاسفة الإسماعيلية.

وفي سنة(٦٥٥هـ/١٢٥٧م) عينه الإمام شمس الدين رئيساً للدعوة في ولاية حلب ليصلها من آلموت في السنة نفسها، ليجعل مقره في مدينة حلب.

. أعمال موسى بن حسن القصار:

إن أول عمل قام به بعد تولية رئاسة الدعوة في حلب، هو قضاؤه على الخلافات الداخلية بين الجماعات الإسماعيلية، موحداً صفوفهم، وتقريبه إلى السلطات الحاكمة. واشتراكه مع نجم الدين الشعراني (رئيس الدعوة في القلاع) في التوقيع على معاهدة صداقة مع السلطان الظاهر بيبرس الذي اعترف بموجبها بصيانة حقوق الإسماعيلية، واحترام عقائدهم والسماح لهم بمزاولة نشاطهم الديني السياسي. واختار بيبرس من الإسماعيليين وزراء وقواد وحراس خاصين له، حيث عيّن آغا شاهين، وعلاء الدين حسن، وعز الدين أيك في الوزارة، كما أسندت قيادة الأسطول إلى محمد البطرني أبو بكر، وعيّن العلامة بدر الدين الغفير ممثلاً للسلطان لدى الإمبراطورية الرومانية في روما.

كما فرضت تلك المعاهدة على الإسماعيليين تقديم المساعدات العسكرية لموازرة السلطان في حروبه مع الصليبيين، فساهم الإسماعيلية بسبعين مقدماً من جيشهم، تراس كل منهم الف مقاتل، وقاد المقدمون إبراهيم بن حسن الحوراني وسعد بن دبل، وإسماعيل ابي السباع الفرق الإسماعيلية لاحتلال طرابلس الشام.

. وفاة موسى بن حسن القصار:

توفي موسى بن حسن القصار في سنة (٧١٥هـ/١٣١٥م) ودفن في مدينة حلب، باحتفال كبير، وقيل أنه سار وراء نعشه عشرون الف إسماعيلي بلباسهم العسكري. وخلفه في رئاسة الدعوة الإسماعيلية المقدم معروف بن جمر صاحب حصن صهيون.



الفصل الخامس

أشهر القادة الفدائيين في بلاد الشام

- . معروف بن جمر
- . إبراهيم بن حسن الحوراني
- . جمال الدين شيحة
- . إبراهيم بن إسماعيل العجمي



١. معروف بن جمر:

ولد معروف بن جمر في قلعة الكهف سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٦م)، وقيل أنه يمت بصلة نسب إلى محمد بن الحنفية.

انخرط في التنظيمات السرية الفدائية، وتدرب على أعمالها في مركز الدعوة بمدينة مصياف. وفي سنة (٦٦٤هـ/١٢٦٦م) ترأس جيوش الفدائية الإسماعيلية التي حاربت إلى جانب السلطان الظاهر بيبرس، فأبلى البلاء الحسن في جميع المعارك التي خاض غمارها. وفي إحدى المعارك وقع في الأسر غيلة، وحمل إلى مدينة (قيطلان)، حيث وضع في سجن سري رهيب. ولقد تمكن المقدم جمال الدين شيحة ومساعده سعد بن دبل من التخفي بزي جنود الأعداء والذهاب إلى (قيطلان) حيث تمكنا من إنقاذه والإتيان به إلى مصر، فاستقبل استقبالاً عظيماً ومن ثم عاد إلى حلب مع فدائيته للدفاع عنها والتمركز فيها.

وتروي المصادر الإسماعيلية أن المقدم عرنوس بن معروف بن جمر الذي كان يعسكر مع جنوده في القاهرة، قد اختلف مع الظاهر بيبرس، فالتجأ إلى بلاد الروم وتآمر معهم لاحتلال مدينة حلب التي كانت تخضع للظاهر بيبرس والمكلف بالدفاع عنها والده المقدم معروف بن جمر، ولما اشتد الحصار على مدينة حلب، فأغلقت أبواب المدينة، فجعل المقدم معروف مقر قيادته في باب أنطاكية، بينما سلم مهمة الدفاع عن الأبواب الأخرى لكبار المقدمين الإسماعيلية.

ويذكر التاريخ أن الأبواب كانت تفتح في الصباح حيث يهاجم الفدائية الأعداء بضراوة، وفي المساء كانت تغلق الأبواب. وكان المقدم معروف بن جمر يشرف بنفسه على الحراسة. وفي ليلة من الليالي الحالكة وجد ميتاً في مركز مراقبته في باب أنطاكية فحزن عليه الإسماعيليون حزناً عميقاً، وشيعت

جنازته باحتفال مهيب. ولما علم ابنه عرنوس المنشق، بوفاة والده جمع أتباعه ليلاً وشن هجوماً ليلياً على الروم فبعثر صفوفهم، ودبت الفوضى في جموعهم، ففتحت أبواب حلب وعمل الفدائية بالروم قتلاً حتى أجلوهم عن حلب. ولما بلغ الظاهر بيبرس الأمر أصدر عفواً خاصاً عن المقدم عرنوس نظراً للخدمات الجليلة التي قدمها والده المقدم معروف، وعاد إلى صفوف الفدائية.

ويعد معروف بن جمر من أشهر قواد الفرق الفدائية الإسماعيلية في بلاد الشام. أحيطت أعماله البطولية بهالة من الأساطير تناقلتها الألسن، وكان لها الصدارة في المنتديات العامة، وأصبح اسمه على كل شفة ولسان. ويذكر التاريخ أن معروف بن جمر كان القائد العام للفرق الفدائية أثناء الحروب التي خاضها الظاهر بيبرس، يرأس سبعين مقدماً وكان كل مقدم يرأس ألف فدائي، وهو مقدم على جميع المقدمين.

٢. إبراهيم بن حسن الحوراني:

كما يبدو من كنيته، أنه من مواليد منطقة جنوبي سورية التي عرفت منذ القديم باسم حوران وما تزال تسمى، ولقد كان معاصراً لموسى بن حسن القصار، وزعيم إسماعيلية سورية آنذاك نجم الدين الشعراني. وهذا يمكننا من تحديد زمني تقريبي لولادته بين (٦٢٥. ٦٣٠هـ/١٢٢٨ .١٢٣٢م)؛ أي قريباً من ميلاد موسى القصار.

وإبراهيم بن حسن الحوراني من أبطال الإسماعيلية المشهورين الذي ما تزال بطولاته في ذاكرة الأجيال التي تم تناقلها من السلف إلى الخلف. وكان أحد القادة العسكريين البارزين الذي أوكل إليه مع بعض القادة الإسماعيلية الآخرين مساعدة قوات الظاهر بيبرس في احتلال طرابلس الشام وطرد الصليبيين منها، وذلك في سنة (٦٦٥هـ/١٢٦٧م) وذلك على أثر توقيع الزعماء

الإسماعيليين معاهدة الصداقة مع بيبرس التي لم تعيش طويلاً، حيث نقضها بيبرس بمجرد شعوره أنه أصبح قوياً وليس بحاجة لموازرة الإسماعيليين له.

٣. جمال الدين شيحة:

إنه الفدائي المقدام الذي كثيراً ما كنا نعشق قصصه والحكايا التي يرويها لنا الآباء والأجداد عن ذاك الذي اشتهر باسم شيحة جمال الدين، الذي في بطولاته الخوارق.

ولد جمال الدين شيحة سنة (٦٥٧هـ/١٢٥٨م) في إحدى قرى مصياف ـ ولربما قرية شيحة القريبة من مصياف التي نسب إليها، وإن كان البعض يعود بنسبه إلى كثرة تغربه وانتقاله في أرجاء البلاد ـ توفي والده وهو طفل.

التحق في الثامنة من عمره بمراكز الدعوة الإسماعيلية في مصياف. وعندما استدعوه انضم إلى التنظيمات الفدائية. وقد استطاع خلال وقت قصير أن يتفقه في أمور الدعوة الإسماعيلية، وأن يتدرب على أعمال الفدائية ويظهر فيها براعة وقوة وشجاعة مما جعله يتدرج بسرعة في مراتب الفدائية ليصبح مقدماً فيها، وهو لم يبلغ سن الثلاثين، كما تمكن من اتقان عدة لغات كانت معروفة في عصره، وضرورية للفدائي آنذاك.

وبعد أن وقعت معاهدة الصداقة بين الإسماعيلية والسلطان بيبرس، انتقل جمال الدين شيحة إلى القاهرة، حيث عينه الظاهر بيبرس مستشاراً عسكرياً مختصاً بالمهمات الفدائية السرية، واتخذ من القاهرة مقراً له قريباً من السلطان بيبرس.

ولقد اعتمد بيبرس على جمال الدين شيحة في تنفيذ المهمات السرية الخطيرة للثقة التي كان يتحلى بها عنده، والشجاعة الخارقة التي اتصف بها. فما من مهمة سرية إلا ولجأ إلى تنفيذها. ولا يذكر التاريخ قط أن شيحة فشل يوماً في عمل بطولي أسند إليه، فضرب به المثل، وأصبح رمزاً للتضحية. وقد أصبح

بالنسبة للعامة في ذلك الوقت رمزاً يقتدى به في الشهامة والرجولة. فاكتنفت حياته كثير من القصص والحكايات. وأحيطت حياته بالروايات الخارقة، نتيجة لشغف الناس به، وإعجابهم بعبقريته.

ويقي في مصر حتى توفي بها سنة (٧٢٩هـ/١٣٢٨م) في مدينة دمياط ودفن فيها.

٤. إبراهيم بن إسماعيل العجمي:

من الدعاة الإسماعيليين المشهورين في حلب في عهد الملك السلجوقي رضوان بن تتش. وهو من أصل فارسي، قدم من بلاد فارس في أواخر القرن الرابع الهجري إلى حلب، وكسب ثقة ومحبة الملك رضوان، مما جعل الملك يعينه على قلعة حلب. وكان قائداً عسكرياً فذاً ومقداماً لا يهاب الصعاب، ولا يثنيه عما عزم عليه غير الموت.

لقد عاش أحداث مذبحة حلب الكبرى التي حلت بالإسماعيليين في عهد الملك السلجوقي ألب أرسلان بن رضوان الذي تسلم مقاليد حلب بعد وفاة والده، وكان أحد زعماء الإسماعيليين الذي تمكن من النجاة بنفسه والهرب خارجاً، ميمماً وجهه نحو شيزر، ليتمكن ومجموعة من الإسماعيليين من احتلال قلعة شيزر لمدة قصيرة، ليعاود أهلها وزعماؤها من بني منقذ الذين كانوا خارجها من إعادة السيطرة عليها، وليقتل إبراهيم مدافعاً عنها، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

وليس هناك معلومات عن مكان ولادة هذا الداعي والقائد العسكري، ولا عن تاريخ ولادته، إلا أن البعض يرى أن ولادته قد تكون بين سنتي (٤٦٥ - ٤٧٠هـ/١٠٧٢ - ١٠٧٧م) ووفاته في قلعة شيزر سنة (٥٠٧هـ/١١١٤م).

ولقد بقي للإسماعيلية تواجداً في قلاعهم ومناطقها، حتى بعد عصر شيوخ الجبل والقادة المشهورين. وهذا هو (ابن بطوطة) في رحلته الشهيرة مروراً

بمنطقة الإسماعيلية في النصف الأول من القرن الثامن الهجري (النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي)، وتحديداً من البعض في سنة (٧٢٧هـ/١٣٢٦م)، يذكر بعد زيارته لقلعة صهيون ومدينتها العديد من القلاع التي شملتها رحلته، وذلك بقوله: "ثم سافرت منها - أي من قلعة صهيون ومدينتها - فمررت بحصن القدموس، ثم بحصن المينقة، ثم بحصن القليعة، ثم بحصن مصياف، ثم بحصن الكهف. وهذه الحصون لطائفة يقال لها الإسماعيلية، ويقال لها الفداوية، ولا يدخل عليهم أحد من غيرهم. وهم سهام الملك الناصر[1]، بهم يصيب من يعدو عليه من أعدائه بالعراق وغيرها، ولهم المرتبات. وإذا أراد السلطان أن يبعث أحدهم إلى اغتيال عدوٍ له أعطاه ديته، فإن سلم بعد تأدية ما يراد منه فهي له، وإن أصيب فهي لولده. ولهم سكاكين مسمومة يضربون بها من بعثوا إلى قتله...".

---

(1) الملك الناصر: لقب لصلاح الدين الأيوبي، حيث كما أشرنا سابقاً أن صلاح الدين اعتمد على الفدائية في تنفيذ بعض خططه ضد أعدائه وأعداء الإسماعيلية بآن واحد، وذلك في فترة الاتفاق والتوافق بين الطرفين.



المصادر والمراجع

١ ـ أحمد وصفي زكريا "جولة أثرية في بعض البلاد الشامية". دار الفكر، دمشق، ط١٩٨٤/٢.

٢ـ ابن الأثير "الكامل في التاريخ" دار الكتاب العربي، ط٢٠٠١/٣، ج٩، ج١٠.

٣ ـ ابن بطوطة "رحلة ابن بطوطة" دار صادر، بيروت، ١٩٦٤.

٤ـ ابن جبير "رحلة ابن جبير"، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١.

٥ـ ابن العديم (كمال الدين) "زبدة الحلب من تاريخ حلب". دمشق، المعهد الفرنسي/١٩٥١.

٦ـ ابن الفرات "تاريخ الدول والملوك". ج١

٧ـ ابن النديم "الفهرست". بيروت. دون تاريخ.

٨ـ أبي شامة "كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول، القسم الثاني، وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٢.

٩ـ أ. س. بيكلي "مدخل إلى تاريخ الإسماعيلية". ترجمة: مكتبة عالم المعرفة، دار الباحث، سلمية، ١٩٩٤.

١٠ ـ جمال حسن حيدر "اللاذقية وأهم المعالم الأثرية والسياحية" المرساة، اللاذقية، ٢٠٠٦.

١١ ـ رحاب عكاوي "الحشاشون: حكام آلموت... نشأتهم وتاريخهم" دار الحرف العربي، بيروت، ١٩٩٤.

١٢ـ رشيد الدين فضل الله الهمذاني "جامع التواريخ". عن الطبعة التي نشرها (كاترمير). المجلد الثاني/ج١. دار إحياء الكتب العربية، مصر. نقله إلى العربية. محمد صادق نشأت، وآخرون.

١٣ ـ زكريا بن محمد بن محمود القزويني "آثار البلاد وأخبار العباد". دار صادر، بيروت، دون تاريخ.

١٤ ـ سميرة بن عمو "آل. موت: أو إيديولوجيا الإرهاب الفدائي". المؤسسة الجامعية، بيروت، ١٩٩٢.

١٥ـ الشيخ أبو فراس "مناقب المولى سنان راشد الدين". تحقيق: مصطفى غالب. ضمن كتاب (سنان راشد الدين).

١٦ـ طه أحمد شرف "دولة النزارية أجداد آغاخان: كما أسسها الحسن الصباح". مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٥٠.

١٧ـ عطا ملك الجويني "تاريخ فاتح العالم/ جها نكشاي". نقله عن الفارسية: محمد التونجي، دار الملاح، دمشق، ط١، ١٩٨٥.

١٨ـ علي موسى، محمد حرية "محافظة حماه". وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٥.

١٩ ـ علي موسى "السياحة في سورية". دار نينوى، دمشق، ٢٠٠٣.

٢٠ـ علي موسى، محمد الحمادي "جغرافية القارات". دار الفكر، دمشق، ط١٢، ٢٠٠٦.

٢١ ـ فرهاد دفتري "الإسماعيليون: تاريخهم وعقائدهم ج٣/ الإسماعيلية النزارية". ترجمة: سيف الدين القصير، دار الينابيع، دمشق، ١٩٩٥.

٢٢ـ فرهاد دفتري "خرافات الحشاشين وأساطير الإسماعيليين". ترجمة: سيف الدين القصير، دار المدى، ط٢، ٢٠٠٤

٢٣ ـ محمد السعيد جمال الدين "دولة الإسماعيلية في إيران". الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٩.

٢٤ ـ محمد عثمان الخشت "حركة الحشاشين"، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ١٩٨٨.

٢٥ ـ محمد كرد علي "خطط الشام". ج١،٢،٣.

٢٦ـ محمود حسين أمين "القلاع الإسلامية في وجه المغول والصليبيين". دمشق، دار البلعاس، ٢٠٠٦م.

٢٧ ـ مصطفى غالب "سنان راشد الدين: شيخ الجبل الثالث"، دار اليقظة العربية، بيروت، ١٩٦٧.

٢٨ ـ مصطفى غالب "أعلام الإسماعيلية"، دار اليقظة العربية، بيروت، ١٩٦٤.

٢٩ ـ مصطفى غالب "الثائر الحميري: الحسن بن الصباح" دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٧م.

٣٠ ـ مصطفى غالب "الإمامة وقائم القيامة". دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١.

٣١ ـ ميشيل لباد "الإسماعيليون: الدولة الإسماعيلية بمصياف". مطبعة الاتحاد، دمشق، ط١، ١٩٦٢.

٣٢ ـ ياسر صاري "صفحات من تاريخ اللاذقية". وزارة الثقافة، دمشق.

٣٣ ـ نظام الملك؛ سياسة نامة.

34- the Geat Ismaili Heroes, Pakistan, 1973.

35- W. Ivanow, Alamut and Lamasar. Ismailj society, Tehran,1960